

إصدار مؤسسة السادة للفكر والثقافة

موسوعة السلوك والتربية

هكذا علمني الإسلام

إعداد محمود أبو نور الدين



الجزء الأول

هكذا علمني الإسلام

إعداد: محمود أبو نور الدين

فقه ، حديث ، تفسير ، أعلام ، سلوك ، سيرة

تقريب

الأستاذ الدكتور مصطفى مراد صبيحي

المستشار العلمي لجامعة الأزهر الشريف، والأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

الأستاذ الدكتور سعيد قرني الفيومي

الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة والأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية

للبنات فرع الفيوم

المشرف العام

ناصر بن صالح السادة

دارمشكاة

للطبع والنشر والتوزيع

اسم الكتاب:	هكذا علمني الاسلام
تفريظ	الدكتور مصطفى مراد ، الدكتور سعيد قرني
المؤلف:	محمود أبو نور الدين
تنسيق وتدقيق:	د حسين رأفت _ د أمير محفوظ
مصمم الغلاف:	شركة دوام للخدمات التقنية
رقم الايداع:	٢٠٢٥/٥١٤٥
الترقيم الدولي:	٩٧٨_٩٧٧_٨٨٢٥_٩٦_١

٣٤ شارع يحيى إبراهيم - محمد مظهر - الزمالك - القاهرة

٠١٠٠٢٢٦٩٥٤٧ - ٠١٠١٤٤٤٤٦٤٨ - ٠١١١٤٣٩٨٩٩٤ / ت

جميع الحقوق متاحة لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة للفكر والثقافة

الحمد لله رب العالمين،،، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين،،، وبعد

فلما كان للعلوم الشرعية المنضبطة الأهميَّة الكبرى في حياة كل مسلم، وصار العلم الشرعي والحاجة إليه من أساسيات الحياة، وخاصة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الفتن، والشُّبهات والمشكِّكين في ثوابت الدين من هنا وهناك، و حيث انتشر الجهل والبُعد عن طلب العلم والتَّفَقُّه في دين الله تعالى، فكانت الحاجة للعلوم الشرعية ونشرها كالشمس للدنيا والصِّحة للأبدان.

ومن أجل هذا حملت على عاتقي تأسيس هذه المؤسسة العلميَّة وبمساعدة طيبة من بعض الإخوة المخلصين، والهدف منها نشر العلم الشرعي الصحيح المنضبط المعتدل على منهج أهل السُّنة والجماعة، حتى نقدم لأبناء الأمة الإسلامية مساهمة طيِّبة، ولو كانت بسيطة، عدَّة لهم وتحصيناً أمام الشُّبهات والفتن بجميع أشكالها. ولقد تعمَّدنا السهولة واليسر، حتى تكون متاحة لعموم المسلمين ولمحي دراسة العلوم الشرعيَّة، والتَّفَقُّه في الدين.

و انطلاقاً من حديث رسول الله ﷺ عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان ؓ، قال رسول الله: "مَنْ يُرِدِ اللهَ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ". (صحيح البخاري)

وحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله! أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ فقال: أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهرًا...^(١) .

ولقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أموراً سبعة يجري ثوابها على الإنسان في قبره وبعد موته، وذلك فيما رواه البزار في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس

(١) (رواه الطبراني في الأوسط والصغير)

نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفاً ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته »^(١) وفي رواية ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره ، ولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه أو مسجدا بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته »^(٢)

وروى أحمد والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت : من مات مرابطا في سبيل الله ، ومن علم علما أجرى له عمله ما عمل به ، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت ، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له »^(٣) وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »

وقد نظمها السيوطي في أبيات فقال :

إذا مات ابن آدم ليس يجري عليه من فعال غير عشر
علوم بثها ، ودعاء نجل وغرس النخل ، والصدقات تجري
وراثه مصحف ، ورباط ثغر وحفر البئر ، أو أجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي إليه ، أو بناء محل ذكر

ونسأله تعالى بجميل فضله وكرمه أن يجعله عملاً صالحاً ولوجه خالصاً، وأن يكون زخراً لنا ولكل مسلم، ونوراً على الصراط، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولعموم المسلمين... اللهم آمين يارب العالمين،،،

المشرف العام :

ناصر بن صالح بن حسين السادة

(١) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم : ٣٥٩٦].

(٢) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه برقم ١٩٨]

(٣) [وانظر صحيح الجامع حديث رقم ٨٩٠]

تقريظ

للأستاذ الدكتور مصطفى مراد صبحي الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر الشريف وعميد معهد القرآن الكريم الأسبق والحاصل على الدرجة الأولى في القرآن الكريم.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد

فقد طالعت في كتب الأستاذ الفاضل الأستاذ ، أبي نور الدين حول الأطفال كتاب الحديث ، وكتاب العقيدة ، وكتاب السيرة النبوية ، وكتاب الاخلاق ، وكتاب الفقه.

فوجدت أن هذه المجموعة مفيدة جدا للمسلمين ونافعة لهم، لتأخذ بأيديهم إلى الطريق القويم والصراط المستقيم ، والبعد عن المنهج البدعي . كما أن الكتاب يجمع بين التدقيق والتحقيق والأسلوب السهل الجميل ، وتقريب المعلومة للنشء المسلم وهذا الكتاب أيضا يمتاز بأنه يعد مفتاحا وبابا لكل صبي و غلام لكي يتعلم علوم الدين ، وليحرص علي ذلك وليكون فيما بعد من الدعاة الصالحين والعلماء العاملين.

فجزى الله المؤلف خيرا الجزاء وبارك فيه وفي تصنيفه وبارك في تصانيفه كلها وجعل لها القبول والانتشار

المقرظ:

الأستاذ الدكتور مصطفى مراد صبحي : الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر الشريف

وعميد معهد القرآن الكريم السابق، وأحد علماء الجمعية الشرعية الرئيسية.

تقريظ الأستاذ : الدكتور سعيد قرني الفيومي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،،

وبعد

فلقد اهتم الإسلام بتربية الجيل المسلم أشد اهتمام، فنجد النبي ﷺ دائما التعليم والنصح لهم في كل وقت وكل مناسبة، وهذا ثابت في السنة كثيرا جدا.

فعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد زبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصخرة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا غلام، سم الله تعالى، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك))، فما زالت تلك طعمتي به بعد)) متفق عليه وهذا العمل المتعلق بالأشبال الذي بين أيدينا عمل طيب ورائع راعي فيه مؤلفه بين تأصيل الموضوع، وسهولة العرض وعمق الفكرة وقوة الاستدلال

ومما يمتاز به، أنه يهتم بموضوع من الأهمية بمكان خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الاضطرابات والمشكلات الحياتية والنفسية وغيرها.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل منه هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناته إنه نعم المولى ونعم النصير.

ا.د. سعيد قرني الفيومي.

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية جامعة الأزهر

والأستاذ بكلية البنات فرع الفيوم جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين

وبعد

فلقد نزل القرآن علي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكان أول ما نزل قوله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]؛ ولذا كان العلم من أشرف الأعمال التي يتقرب بها المسلم لربه سبحانه قال تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ ﴾ [محمد: ١٩].

ولقد أخبرنا رسولنا عليه الصلاة والسلام أَنَّ العلم النافع من الأعمال التي لا تنقطع بعد الموت ، فقال: صلى الله عليه وسلم "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" أخرجه مسلم في صحيحه: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولقد كان سيدنا علي رضي الله عنه يقول : "كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمماً أن يتبرأ منه من هو فيه".^(١)

فالعلم هو النور الذي يمحو ظلام الجهل ويزيد المسلم حكمة ورفعة يقول جل شأنه "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ" [البقرة: ٢٦٩]

وقال الله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة - الآية ١١

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين». [رواه مسلم]

ولقد بين رسولنا صلى الله عليه وسلم أن مجالس العلم روضة من رياض الجنة فقال: {إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعَوْا} قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِیَاضُ الْجَنَّةِ قَالَ: "مَجَالِسُ الْعِلْمِ {

[عن أنس بن مالك رواه الألباني في صحيح الترمذي]

^١ تذكرة السامع ص (٧٠)

وقال أيضا: {مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ} [صحيح ابن حبان]

وكان السلف رحمهم الله يقولون مجالس العلم أفضل من كثير من العبادات لأن الرسول قال: {طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْجَيْتَانُ فِي الْبَحْرِ} صححه الألباني، في صحيح الجامع

ومن فَضَّلَ طَلَبَ الْعِلْمِ أَنَّهُ طَرِيقُ الْوَصُولِ إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضَى بِمَا يَصْنَعُ...» حَدِيثٌ حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، بَابُ الْحَبِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ.

ولقد بين رسولنا صلى الله عليه وسلم أنه أفضل شيء في الدنيا

فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ)) [رواه الترمذي].

وكان من علامات الساعة رفع العلم وكثرت الجهل فقال صلى الله عليه وسلم فقال: ((إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُثَبِّتَ الْجَهْلُ، وَيَشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيُظْهَرَ الزُّنَا)) [رواه البخاري عن أنس بن مالك].

ولهذا الأمر كان العلماء ورثة الأنبياء فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)) [رواه الترمذي]. رزقنا الله وإياكم العلم النافع والقلب الخاشع

أكاديمية ترتيل قرآن وسنة

سورة الحجرات توجهات ربانية

بين يدي السورة

سورة الحجرات سورة مدنية نزلت في العام التاسع الهجري، وعدد آياتها ثمان عشرة آية، نزلت بعد سورة المجادلة، وسُميت بالحجرات نسبةً إلى حجرات أمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان للنبي ﷺ تسع حجرات

١- السيدة سودة بنت زمعة

٢- السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق

٣- السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب

٤- السيدة زينب بنت خزيمة

٥- السيدة رملة بنت أبي سفيان

٦- السيدة هند بنت أمية

٧- السيدة زينب بنت جحش

٨- السيدة جويرية بنت الحارث

٩- السيدة صفية بنت حيي بن أخطب

وكان بناء الحجرات النبوية من الطين واللبن وجريد النخل، وجميع الحجرات كانت في الجهة الشرقية من المسجد النبوي الشريف كما أجمع المؤرخون وأهل السير، وكانت مساحة كل حجرة لا تزيد على أربعة أمتار ونصف المتر طولاً وأربعة أمتار عرضاً، وبارتفاع نحو مترين ونصف المتر تقريباً.

وقد ظلت الحجرات على بنائها حتى عهد الوليد بن عبد الملك، فأمر والي المدينة سيدنا عمر بن عبد العزيز، حيث قام بتوسعة المسجد النبوي وضم جميع الحجرات داخل المسجد، والمحافظة على

حجرة السيدة عائشة والتي تضم قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.^(١)

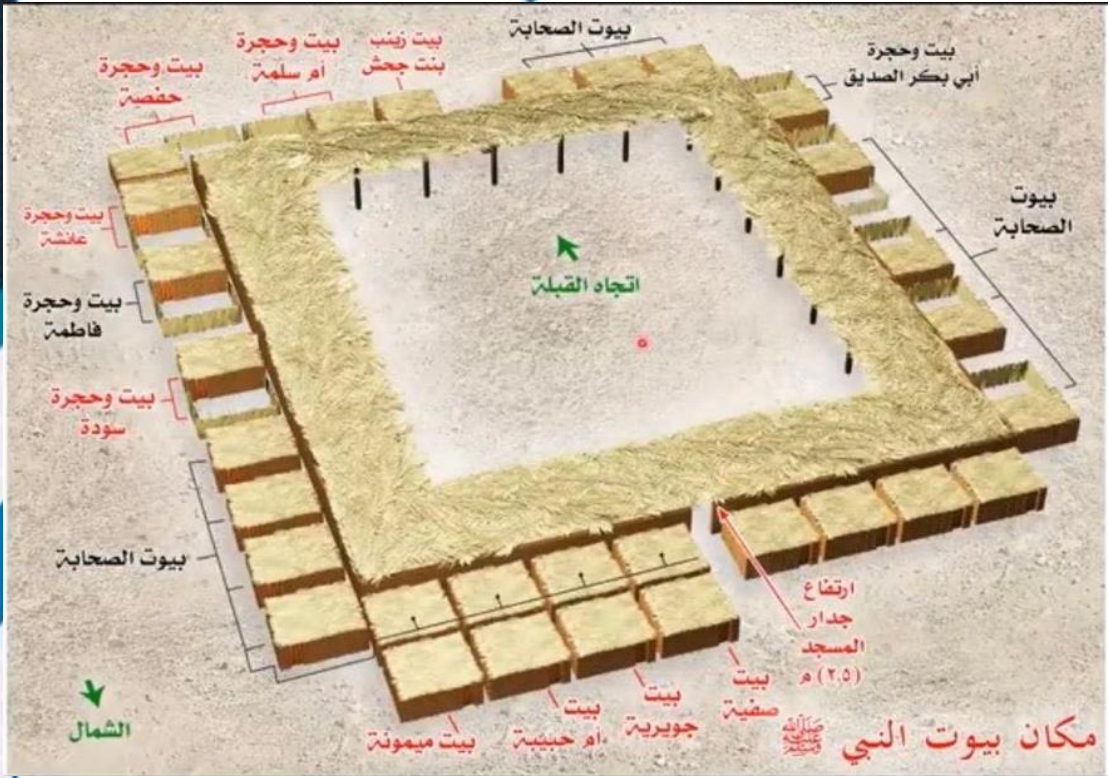
وقد كان ﷺ يسكن قبل بناءه للحجرات في بيت الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، ومن المعلوم أنه ﷺ لم بينها دفعة واحدة، وإنما بدأ ببناء حجرة السيدة سودة بنت زمعة ثم في السنة الثانية من الهجرة بنى حجرة للسيدة عائشة، ثم توالي بناء الحجرات كلما تزوج رسول الله ﷺ بواحدة من أمهات المؤمنين

رسم توضيحي للحجرات الشريفة



(١) راجع مقالات المدير التنفيذي لمتحف دار المدينة المنورة، المهندس حسان طاهر: بتصرف

والحجرات الشريفة سيرة وتاريخاً صفوان داودي





وعن عبد الله بن عباس -من طريق عطاء الخُراساني-: أن سورة الحجرات مدنيّة، ونُزلت بعد سورة المجادلة.^(١)

وتتحدث السورة عن جملة من الأخلاق الحسنة والآداب الرفيعة ومنها كيفية التعامل مع الله ورسوله، والأمر بالثبوت في الأخبار، وقتال الفئة الباغية، ووجوب الصلح بين المسلمين والنهي عن السخرية والاستهزاء والتنازع بالألقاب، والنهي عن سوء الظن والتجسس والغيبة، وفضل التقوى

^١ «موسوعة التفسير المأثور» (٢٠ / ٣٦٠):

الدرس الأول

الاستجابة لله وللرسول ﷺ

الآيات الكريمة من (١) إلى (٥)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغْضَوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾

معاني مفردات الآيات الكريمة

﴿لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: لَا تَتَقَدَّمُوا بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ عَلَيَّ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مُخَاطَبَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾: أَن تَضَيَّعَ أَعْمَالُكُمْ.

﴿يَغْضَوْنَ أَصْوَاتَهُمْ﴾: يَخْفِضُونَ أَصْوَاتَهُمْ.

﴿امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: اخْتَبَارَ وَامْتِحَانِ

﴿الحجرات﴾: حِجْرَاتُ زَوَاجَاتِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

التوجيهات الربانية

تبدأ الآيات بأمر المؤمنين بتنفيذ أوامر الله وأوامر رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعدم تركها

ثم أمرهم سبحانه بعدم رفع أصواتهم في حضرته تعظيماً له، وإجلالا وتوقيراً وألا ينادوه باسمه، مجردا بدون ذكر رسول أو نبي الله، لكي لا تذهب أعمالهم سدى في حالة عدم تأديهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

ومعنى قوله تعالى

{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى} أي إن الذين يخفضون أصواتهم في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم أُولَئِكَ الَّذِينَ أَخْلَصَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى وَمَرَّنَهَا عَلَيْهَا وَجَعَلَهَا صَفَةً رَاسِخَةً فِيهَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَي أَخْلَصَهَا لِلتَّقْوَى وَجَعَلَهَا أَهْلاً وَمَحَلًّا {الْهَمُّ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} أي لهم في الآخرة صفحٌ عن ذنوبهم، وثواب عظيم في جنات النعيم.^(١)

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: {لا تقدموا بين يدي الله ورسوله}: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

وقال الضحاك: لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم، وقال سفيان الثوري: {لا تقدموا بين يدي الله ورسوله} بقول ولا فعل.

وعن معاذ بن جبل: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله؟ قال أجتهد رأيي ولا آلو؟ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله. وقد رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه

«أي: لا تتقدموا بين يدي الله ورسوله، والمراد: لا تسبقوا الله ورسوله بقول أو بفعل»^(٢)

^١ صفوة التفاسير (٣ / ٢١٦)

^٢ «تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد» (ص٧):

سبب نزول الآيات

أسباب نزول الآية (١) : عن عبد الله بن الزبير قال : «قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر : أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي، وقال عمر : ما أردت خلاfk، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما . فنزلت في ذلك الآيات». رواه البخاري .

وعن ابن أبي مليكة قال: كاد الخياران أن يهلكا، أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما، رفعاً أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر -قال نافع: لا أحفظ اسمه- فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. قال: ما أردت خلاfk. فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض} الآية، قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه: يعني أبا بكر رضي الله عنه.^(١)

وعن أبي بكر الصديق قال: لما نزلت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي}، قلت: يا رسول الله، والله لا أكلمك إلا كأخي السرار) رواه البزار «(أي كصاحب السر)»^(٢)

أسباب نزول الآية (٢) : قال قتادة : «كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم في حضرته . فأنزل الله ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ...﴾ [الحجرات:٢] الآية». أخرجه ابن جرير .

وعن أنس بن مالك قال : «لما نزلت هذه الآية ﴿لا ترفعوا أصواتكم ...﴾ [الحجرات:٢] الآية، قعد ثابت بن قيس بن شماس في الطريق يبكي، فمر به عاصم بن عدي فقال : ما يبكيك ؟ قال هذه الآية، أتخوف أن تكون نزلت فيّ فيحبط عملي وأكون من أهل النار، وأنا رجل صيت رفيع الصوت، فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا به فقال له : أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة ؟

^١ صحيح البخاري برقم (٤٨٤٥) .

^٢ «التفسير الوسيط - الزحيلي» (٣/ ٢٤٧٠):

«(أي كصاحب السر)»

قال: رضيت ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله، فلما كان يوم اليمامة قتل». رواه البخاري ومسلم.

قال ابن كثير: «أن ثابت بن قيس كان رفيع الصوت، فلما نزلت الآية قال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ َ أنا من أهل النار، حبط عملي، وجلس في أهله حزيناً، فافتقده رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ َ فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له: تفقدك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ َ ما لك؟ فقال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ َ حبط عملي أنا من أهل النار، فأتوا النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ َ فأخبروه بما قال، فقال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ َ: لا بل هو من أهل الجنة» وفي رواية «أترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ فقال: رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ َ ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ َ»

قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة. فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس، وقد تحنط ولبس كفنه، فقال: بنسما تعودون أقرانكم. فقاتلهم حتى قتل^(١)

٣- أسباب نزول الآيتين (٤-٥): عن زيد بن أرقم قال: «جاء ناس من العرب إلى حجر النبي فجعلوا ينادون: يا محمد، يا محمد، اخرج إلينا فمدحنا زين، وذمنا شين، فأذى صوتهم رسول الله فنزلت الآيتان». رواه ابن جرير.

دروس مستفادة من الآيات

احترام كل ما جاء من عند الله - سبحانه وتعالى - وما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - والعمل به، وعدم الحكم بما يخالف كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

احترام الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتعظيمه وتوقيره وذلك باحترام سنته وما جاء به من عند الله، والاقتداء به والصلاة والسلام عليه عند سماع اسمه، وفي كل وقت.

^١ تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣٦٦)

أن نذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه والعلماء الأجلاء بألقابهم الشريفة، ولا نتجرأ عليهم بذكر أسمائهم، ولا نذكرهم في مجالس اللهو أو المزاح؛ احتراماً لهم وتقديراً لمكانتهم.^(١)

فائدة

قال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته؛ لأنه محترم حيا وفي قبره، صلوات الله وسلامه عليه^(٢)

نماذج ومواقف من حياة الصحابة والتابعين في الاستجابة لله ولرسوله ﷺ

اروى البخاري ومسلم عن أنس قال: كنت ساقى القوم يوم حُرمت الخمر في بيت أبي طلحة، فإذا مناد ينادي قال: فاخرج فانظر، فإذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حُرمت فجرت في سكك المدينة، فقال لي أبو طلحة: اخرج فاهرقها فهرقها.

وفي رواية أحمد: كنت أسقي فلاناً وفلاناً عند أبي طلحة حتى كاد الشراب يأخذ منهم، فأتى من المسلمين، فقال: أما شعرتُم أن الخمر قد حرمت؟ فقالوا: يا أنس، اسكب ما بقي في إنائك فوالله ما عادوا فيها.

وري ابن جرير: بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وفلان، فسمعت منادياً ينادي ألا إن الخمر قد حرمت، فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج، حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال، وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا، وأصبنا من طيب أم سليم، ثم خرجنا إلى المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ﴾ [المائدة: ٩٠].

وفي تحويل القبلة خرج أحد الصحابة إلى مسجد قباء بظاهر المدينة، فوجد أهله لم يبلغهم تحويل القبلة، وهم يصلون إلى بيت المقدس، فأخبرهم بتحويل القبلة إلى الكعبة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه قرآن وهو قوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا

^١ تفسير سورة الحجرات للناشئين (الآيات ١ - ١٨) أ. د. عبدالحليم عويس

^٢ تفسير ابن كثير ت سلامة (٣٦٨ / ٧)

وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}، [البقرة: ١٤٤] وأنه **صلى الله عليه وسلم** استقبل الكعبة..

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنًا، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكُعْبَةَ فَاسْتَقْبَلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكُعْبَةِ) [صحيح] - [متفق عليه]

المرأة المسلمة وسرعة الاستجابة بالحجاب

جاء في صحيح سنن أبي داود عن أم سلمة قالت: لما نزلت (يدين علمين من جلابيين)، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية؛ أي إنهن غطين رؤوسهن ووجوههن طاعة لله ورسوله.

عن ابن عباس: (أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** رأى خاتما من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده، فقيل للرجل، بعدما ذهب رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله، لا أخذه أبداً وقد طرحه رسول الله **صلى الله عليه وسلم**)؛ رواه مسلم في صحيحه.

الاستجابة في رفع الظلم:

روى عن أبي مسعود البدرى قال: "كنتُ أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعتُ صوتاً من خلفي: ((اعلم أبا مسعود))، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - فإذا هو يقول: ((اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود)) قال: فألقيتُ السَّوط من يدي، فقال: ((اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام))، قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً؛ رواه مسلم.

نموذج آخر: عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: لما استوى رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - يوم الجمعة، قال: ((اجلسوا))، فسمع ذلك ابن مسعود فجلس على باب

المسجد، فرآه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((تعال يا عبد الله بن مسعود))؛ رواه أبو داود وصححه الألباني.

قصة خلع النعال:

خلع النبي -صلى الله عليه وسلم- نعليه في الصلاة خلع الصحابة نعالهم؛ تأسيًا ومُتَابَعَةً لَهُ، وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: بينما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُصَلِّي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما على يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاته، قال: ((ما حملكم على إلقاء نعالكم؟)) قالوا: رأيناك ألقى نعليك فألقينا نعالنا، فقال -صلى الله عليه وسلم-: ((إن جبريل -عليه السلام- أتاني فأخبرني أن فيها قذرًا))، أو قال: ((أذى)) وقال: ((إذا جاء أحدكم إلى المسجد فليَنْظُرْ فإن رأى في نعليه قذرًا أو أذى فليَمْسَحْهُ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا)) (١)

هذا أثر فيه قوة في زجر الصحابة لمن لا يستجيب لقول الله ورسوله، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لا تمنعوا إماء الله أن يُصَلِّيْنَ فِي الْمَسْجِدِ)) فقال ابنُّ له: "إنا لنمنعن"، فغضب غضبًا شديدًا، وقال: "أحدِّثْكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وتقول: إنا لنمنعن؟!!" [٤]؛ وهو غير قصَّة ولد ابن عمر في الصحيحين.

عن أبي ذرٍّ -رضي الله عنه- قال: كنتُ أمشي مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في حرة المدينة فاستقبلنا أحدٌ، فقال: ((يا أبا ذر)) فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: ((ما يسرُّني أن عندي مثل أحد ذهبًا تمضي علي ثلاثة وعندي منه دينار، إلا شيئًا أرصده لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا، وهكذا، وهكذا)) عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، ثم مشى فقال: ((إن الأكثرين هم الأقلُّون يوم القيامة، إلا مَنْ قال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، وقليلٌ ما هم))، ثم قال: ((مكانك لا تبْرُحَ حتى آتيك))، ثم انطلق في سواد الليل حتى

(١) رواه الدارمي (١٣٧٨) أبو داود (٦٥٠).

تواری فسمعتُ صوتًا قد ارتفع فتخوّفتُ أن يكون قد عرَضَ للنبي -صلى الله عليه وسلم- فأردتُ أن آتيه، فذكرتُ قوله لي: ((لا تبرح حتى آتيك))؛ فلم أبرح حتى أتاني، فقلتُ: يا رسول الله، لقد سمعتُ صوتًا تخوّفتُ فذكرتُ له، فقال: ((وهل سمعته؟))، قلت: نعم، قال: ((ذلك جبريل أتاني فقال: مَنْ مات مِن أمتك لا يُشركُ بالله شيئًا، دخل الجنة))، قلت: وإن زنى؟ وإن سرق؟ قال: ((وإن زنى، وإن سرق))^(١).

- محبة طعام أحبّه النبي -صلى الله عليه وسلم-:

عن أنس -رضي الله عنه- أن خياطًا دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لطعام صنّعه، قال أنس: "فذهبتُ مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى ذلك الطعام، فقربَ إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خبزًا ومرقًا فيه دُبَّاء وقديد، فرأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- يتتبع الدباء مِن حوالي القصة"، قال: "فلم أزل أحبُّ الدُبَّاء مِن يومئذٍ"^(٢).

الفتاة الصالحة:

عن أبي بَرزة الأسلمي -رضي الله عنه- قال: كانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يُزوّجها حتى يعلم هل للنبي -صلى الله عليه وسلم- فيها حاجة أم لا؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لرجل من الأنصار: ((زوّجني ابنتك))، فقال: نعم وكرامة يا رسول الله ونُعم عيني، فقال: ((إني لست أريدها لنفسِي))، قال: فلمن يا رسول الله؟ قال: ((لجلبيب))، قال: يا رسول الله، أشاور أمّها، فأتى أمّها فقال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يخطب ابنتك، فقالت: نعم ونُعمة عيني، فقال: إنه ليس يخطبها لنفسه؛ إنما يخطبها لجلبيب، فقالت: أجلبيب إنية؟ أجلبيب إنية؟ أجلبيب إنية؟ فقال لا لعمرك الله، لا تزوّجه، فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليُخبره بما قالت أمّها، قالت الجارية: مَنْ خطبني إليكم؟ فأخبرها أمّها، فقالت: أتردّون على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمره؟! ادفعوني؛ فإنه لم يُضيعني، فانطلق أبوها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبره،

(١) رواه البخاري (٦٤٤٤).

(٢) رواه البخاري (٢٠٩٢) ومسلم (٢٠٤١).

فقال: شأنك بها، فزوّجها جليبيئاً، قال: فخرّج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة له، قال: فلمّا أفاء الله عليه، قال لأصحابه: ((هل تفقدون أحداً؟)) قالوا: لا، قال: ((لكني أفقد جليبيئاً))، قال: ((فاطُلبوه في القتلى))، فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأثاه النبي -صلى الله عليه وسلم- فقام عليه، فقال: ((قتل سبعة وقاتلوه؟ هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه)) مرّتين أو ثلاثاً، ثمّ وضعه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ساعديه وحفر له، ما له سرير إلا ساعداً رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم وضعه في قبره، ودعا لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((اللهم صبّ عليها الخير صبّاً، ولا تجعل عيشها كدّاً كدّاً))، فما كان في الأنصار أيّمْ أنفق منها ^(١)

الاستجابة لوصية رسول الله ﷺ: بلغ مصعب بن الزبير عن عريف الأنصار شيء؛ فهمّ به أي (أرد زجره والنيل منه)، فدخل عليه أنس -رضي الله عنه- فقال له: سمعتُ رسول الله يقول: ((استوصوا بالأنصار خيراً - أو قال: معروفاً - اقبلوا من مُحسِنهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم))، فألقى مُصعب نفسه عن سيره، وألّزق خدّه بالبساط، وقال: أمّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الرأس والعين، فترك ^(٢).

الاستجابة في الأسرى:

قال ابن اسحاق: وحَدَّثني نبيه بن وهب أخو بني عبدالدار أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه، وقال: ((استوصوا بالأسارى خيراً)) قال: وكان أبو عزيز بن عُمير بن هاشم - أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه - في الأسارى، قال: فقال أبو عزيز: مرّ بي أخي مصعب بن عمير ورجلٌ من الأنصار يأسرني، فقال: شُدّ يدك به؛ فإن أمّه ذات متاع لعلّها تفديه منك، قال: وكنتُ في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداًهم وعشاءهم خصّوني بالخُبزِ وأكلوا التمر؛ لوصية رسول الله -صلى

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد.

الله عليه وسلم- إِيَّاهُمْ بِنَا، مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كِسْرَةٌ خُبْزٍ إِلَّا نَفَحَنِي بِهَا، قَالَ: فَأَسْتَحْيِي
فَأَرُدُّهُ عَلَى أَحَدِهِمْ فَيَرُدُّهَا عَلَيَّ مَا يَمَسُّهَا ^(١)

(١) السيرة النبوية لابن هشام

الدرس الثاني

التثبيت في الأخبار

الآيات الكريمة من (٦) إلى (٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَزِينَةٌ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضَلَا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾

معاني مفردات

﴿فاسق﴾: متهم في صدقه وعدالته.

﴿بنبأ﴾: بخبر.

﴿فتبينوا﴾: فتثبتوا وتأكدوا من صحة الخبر.

﴿أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾: لكيلا تصيبوا وتؤذوا قوماً بأذى بعدم معرفتك الحقيقة.

﴿لعنتم﴾: لوقعتم في الحرج والإثم «لوقعتم في العنت، قال ابن الأثير: العنت: المشقة، والفساد، والهلاك»^(١)

﴿وزينة في قلوبكم﴾: وحسنه في قلوبكم.

﴿الفسوق﴾: الخروج عن طاعة الله.

﴿العصيان﴾: جميع المعاصي.

^١ «روائع البيان تفسير آيات الأحكام» (٢/ ٤٧٢):

﴿ الراشدون ﴾ : الثابتون على دينهم والمهتدون.

﴿ فضلاً من الله ونعمة ﴾ : عطاء من الله وكرم.

التوجهات الربانية

يأمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالتثبت في نقل الأخبار وعدم التسرع فيها حتي لا يحدث فساد وهلاك بسبب هذا التسرع ونصبح بعد ذلك نادمين لأننا كنا سببا في فساد وقع ، وكذلك الأمر بعدم نشر الأخبار الكاذبة والمعلومات المغلوطة ، حتي لا تحدث فتنة في المجتمع

يقول الإمام السعدي

«بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب، مردود»^(١)

«واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم السيد المبجل، والنبى المعظم (رسول الله صلى الله عليه وسلم) المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، الذي يطلعه الله على الخفايا، فلا تحاولوا أن تستميلوه لرأيكم، ولو أنه استجاب لكم، وأطاعكم في غالب ما تشيرون به عليه، لوقعتم في الجهد والهلاك، ولكن الله - بمئة وفضله - حفظه وحفظكم، ونور بصائر أتباعه المؤمنين، وحبب إليهم الإيمان، وبغض إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وأرشدكم إلى سبيل الخير والسعادة»^(٢)

سبب نزول الآيات

«عن ثابت مؤلى أم سلمة، عن أم سلمة، قالت: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا في صدقات بني المصطلق بعد الواقعة، فسمع بذلك القوم، فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، قالت: فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال: فبلغ القوم

^١ «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص ٨٠٠):

^٢ «روائع البيان تفسير آيات الأحكام» (٢ / ٤٧٤):

رجوعه قال: فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا ، له حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلا مصدقا، فسررنا بذلك، وقرت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق، فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله ومن رسوله، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال، وأذن بصلاة العصر؛ قال: ونزلت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)»^(١)

قال مجاهد وقتادة: أرسل رسول الله الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليصدقهم، فتلقوه بالصدقة، فرجع فقال: إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك -زاد قتادة: وإنهم قد ارتدوا عن الإسلام- فبعث رسول الله خالد بن الوليد إليهم، وأمره أن يتثبت ولا يعجل. فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه، فلما جاءوا أخبروا خالدا أنهم مستمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، فأنزل الله هذه الآية. قال قتادة: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "التبين من الله، والعجلة من الشيطان".^(٢)

يقول ابن الجوزي

«نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق ليقبض صدقاتهم، وقد كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إنه رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة وأرادوا قتلي، فصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إليهم، فنزلت هذه الآية»^(٣)

يقول وهبة الزحيلي

«تناقل الأخبار آفة المجتمعات، فقد يكون بعضها إشاعة، أو كذبا، وقد يكون هناك كثير من المبالغة في الخبر وتضخيمه، وغالبا ما يكون نقل الخبر بحاجة ماسة إلى الدقة في النقل، وضبط اللفظ، وفهم المراد، وتأويل المسموع، لذا كان لا بد من الكتابة أو التدوين أو التسجيل ليكون الخبر صحيحا أو

^١ «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٨٧ ط التربية والتراث):

^٢ تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣٧٢)

^٣ «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ١٤٦):

مطابقا للواقع، وقد يكون الخبر كله ملفقا أو موضوعا لدوافع سياسية أو مناصرة اتجاه معين أو لبذر بذور الفرقة، وتأجيج نار الخلاف بين الناس، الأقارب أو الأبعاد، لذا أوجب القرآن التثبت من الأخبار، تحقيقا للمصلحة العامة أو الخاصة، ومنعا من إيقاع الفتنة، وزرع الفرقة، فقال الله تعالى^(١) «

»- قال مقاتل بن سليمان: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ} يعني: التصديق، {وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ} للثواب الذي وعدكم، {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ} يعني: الإثم، {وَالْعِصْيَانَ} يعني: بغض إليكم المعاصي للعقاب الذي وعد أهله، {أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} يعني: المهتدين، {فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً} يقول: الإيمان الذي حببه إليكم فضلا من الله ونعمة، يعني: ورحمة، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} بخلقه، {حَكِيمٌ} في أمره. (٢)»

ما ترشد إليه الآيات

التثبت في الأخبار؛ حتى لا يؤدي عدم التثبت إلى نتائج سيئة وأثار ضارة بالأفراد والمجتمعات.

يجب أن نصدق المؤمنين الموثوق بهم فيما ينقلون إلينا من أخبار وأقوال ما دُمنّا لم نجرب عليهم كذبا قبل ذلك.^(٣)

^١ «التفسير الوسيط - الزحيلي» (٣/ ٢٤٧١):

^٢ «موسوعة التفسير المأثور» (٢٠/ ٣٩٢):

^٣ تفسير سورة الحجرات للناشئين (الآيات ١ - ١٨) عبد الجليم عويس

الأخوة الإسلامية

الآيات الكريمة ٩ - ١٠

قال تعالى

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠)﴾

التوجيهات الربانية

يأمرنا الله تعالى بالإصلاح بين المسلمين والحكم بالعدل والقسط ، وإن حدث من مسلم تجاوز وطغيان فلا بد أن نقف مع المظلوم ضد الظالم والمعتدى حتى يرجع عن ظلمه لما فيه مصلحة للمجتمع ، وكذلك بين الله ﷻ أن المسلم أخو المسلم لا يظلمه أبداً ويكون بجواره عند الحاجة ، وأن نتقي الله تعالى لكي تنزل علينا الرحمت

عن عبد الله بن عمرو؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن، بما أقسطوا في الدنيا". ورواه النسائي

يقول الإمام الصابوني

إذا رأيتم أمة المؤمنون طائفتين من إخوانكم جنحتا إلى القتال والعدوان، فابذلوا جهدكم للتوفيق بينهما، وادعوهما إلى النزول على حكم الله، فإن اعتدت إحدى الطائفتين على الأخرى وتجاوزت حدّها بالظلم والطغيان، وأرادت أن تبغي في الأرض، فقاتلوا تلك الطائفة الباغية، حتى تثوب إلى رشدها، وترضى بحكم الله عز وجل، وتقلع عن البغي والعدوان، فإذا كفت عن العدوان فأصلحوا بينهما بالعدل، لأنهم إخوانكم في الدين، ومن واجب المسلمين أن يصلحوا بين الإخوان، لا أن يتركوا البغضاء

تدبّ، والفرقة تعمل عملها، لأنّ المؤمنين جميعاً إخوة، جمعتهم (رابطة الإيمان) وليس ثمة طريق إلى إعادة الصفاء إلاّ بالإصلاح بين المتخاصمين، فهو سبيل الفلاح وطريق الفوز والنجاح، واتقوا الله لتنالكم رحمته، وتسعدوا بمرضاته ولقائه^(١)

معاني الكلمات

﴿ طائفتان ﴾: فئتان وجماعتان.

﴿ بَعَثَ ﴾: تجاوزت حدها.

﴿ التي تبغي ﴾: الفئة الباغية.

«تبغي: لا ترضى بصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٢)

﴿ حتى تفيء إلى أمر الله ﴾: حتى ترجع إلى حكم الله

﴿ وأقسطوا ﴾: واعدلوا

﴿ المقسطين ﴾: الحاكمين بالعدل.

أسباب نزول الآية

عن أنس قال: «قلت يا نبي الله لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ، فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي قال: إليك عني، فو الله لقد أذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: لحمار رسول الله أطيب ريحا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، وكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما ﴾ [الحجرات: ٩]». رواه البخاري ومسلم.

فضل الأخوة في الله ﷺ

^١ «روائع البيان تفسير آيات الأحكام» (٢/ ٤٧٤):

^٢ «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٩٤ ط التربية والتراث):

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الإخوة في الله صفة ملازمة للإيمان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

و عن أنس رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ... أن يحب المرء لا يحبه إلا الله ...)؛ رواه مسلم وغيره.

فالحب في الله سبب لتذوق حلاوة الإيمان

وقال ﷺ: (من سره أن يجد طعم الإيمان، فليحب المرء لا يحبه إلا الله عز وجل)؛ رواه أحمد وسنده حسن.

وقال ﷺ: (إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)؛ رواه أحمد وإسناده حسن.

وقال عليه الصلاة والسلام: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه...)؛ رواه مسلم

فضل العدل وحرمة الظلم.

قال تعالى: (فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ) [الشورى / ١٥].

وقال تعالى: (وَأَقِمْوْا لَوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) [الرحمن: ٩].

وقال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) [النحل: ٩٠].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (رواه مسلم).

بعض ما جاء في تحريم الظلم:

قال تعالى: {وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً} (سورة الكهف: ٥٩)، وقال سبحانه: {وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين} (سورة الزخرف: ٧٦)، وقال: {والله لا يحب الظالمين} (سورة آل عمران: ٥٧)، وقال: {ولا يظلم ربك أحداً} (سورة الكهف: ٤٩)، وقال: {وما ربك بظلام للعبيد} (سورة فصلت: ٤٦)، وقال: {ألا إن الظالمين في عذاب مقيم} (سورة الشورى: ٤٥)، والآيات كثيرة في القرآن الكريم تبين ظلم العبد لنفسه، وأن هذا الظلم على نوعين: الشرك، وهو أعظم الظلم كما بينا، والمعاصي، قال تعالى: {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير} (سورة فاطر: ٣٢)، أما ظلم العبد لغيره بالعدوان على المال والنفس وغيرها، فهو المذكور في مثل قوله تعالى: {إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم} (سورة الشورى: ٤٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد}» (رواه البخاري ومسلم).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لأبي سلمة بن عبد الرحمن، وكان بينه وبين الناس خصومة: يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» (رواه البخاري ومسلم).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وُطِّئُوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا» (رواه الترمذي).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم كفل. نصيب. من دمها، لأنه كان أول من سنَّ القتل» (رواه البخاري ومسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها

هنا . ويشير إلى صدره ثلاث مرات . بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» (رواه مسلم).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم»

وكان معاوية رضي الله عنه يقول: «إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرًا إلا الله»

وقال أبو العيناء: «كان لي خصوم ظلمة، فشكوتهم إلى أحمد بن أبي داود، وقلت: قد تضافروا عليّ وصاروا يدًا واحدة، فقال: يد الله فوق أيديهم، فقلت له: إن لهم مكرًا، فقال: ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، قلت: هم من فئة كثيرة، فقال: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله».

وقال يوسف بن أسباط: «من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يُغصَى الله في أرضه».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لما كشف العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم، حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه».

وقال غيره: لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم، لأوشك أن تخرب».

وقال بعض الحكماء: «أذكر عند الظلم عدل الله فيك، وعند القدرة قدرة الله عليك، لا يعجبك رَحْبُ الذراعين سَفَاكُ الدماء، فإن له قاتلاً لا يموت».

وكان يزيد بن حاتم يقول: «ما هُبْتُ شيئاً قط هبتي من رجل ظلمته، وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله، فيقول: حسبي الله، الله بيني وبينك»

وبكى علي بن الفضيل يوماً، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي على من ظلمني إذا وقف غداً بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة.

ونادى رجل سليمان بن عبد الملك . وهو على المنبر : يا سليمان اذكر يوم الأذان، فنزل سليمان من على المنبر، ودعا بالرجل، فقال له: ما يوم الأذان؟ فقال: قال الله تعالى: {فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين} (سورة الأعراف: ٤٤).

وقال أبو الدرداء **رضي الله عنه**: «إياك ودعوة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تسري بالليل والناس نيام».

وقيل: إن الظلم ثلاثة: فظلم لا يُغفر، وظلم لا يُترك، وظلم مغفور لا يُطلب، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك **بالله**، نعوذ **بالله** تعالى من الشرك، قال تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} (سورة النساء: ٤٨)، وأما الظلم الذي لا يترك، فظلم العباد بعضهم بعضاً، وأما الظلم المغفور الذي لا يطلب، فظلم العبد نفسه.

ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج، فقال: يا رب إن حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين، فنام تلك الليلة، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد دخل الجنة، فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين، وإذا منادٍ ينادي، حلني على الظالمين أحلّ المظلومين في أعلى عليين.

كان يقال: «من طال عدوانه زال سلطانه». قال عمر **رضي الله عنه**: «واتق دعوة المظلوم، فإن دعوة المظلوم مستجابة».

وقال علي **رضي الله عنه**: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى استشرى، وبسطوا الجور حتى افتدى»،

وقال ابن الجوزي: «الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها، لأنه لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب، ولو استنار بنور الهدى لاعتبر».

وقال ابن تيمية: «إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة»، ويروى: «إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة»^(١).

نماذج من الأخوة في الله تعالى

عن الفاروق عمر بن الخطاب **رضي الله عنه** قوله (ما حاجبت أحداً إلا وتمنيت أن يكون الحق على لسانه) .

(١) راجع : د/سعيد عبد العظيم مساوي الأخلاق بتصرف

أخرج أبو نعيم في الحلية عن نافع قال : كان ابن عمر رضي الله عنهما يُفِرَّقُ في المجلس ثلاثين ألفاً ثم يأتي عليه شهر فما يأكل مزعة لحم).

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (ثلاثة لا أكافهم ، رجل يبدأني بالسلام ، ورجل وسع لي في المجلس ، ورجل اغبرت قدماه في المشي إليّ يريد السلام عليّ ، أما الرابع : فلا يكافئه عني إلا الله : قيل من هو ؟ قال : رجل نزل به أمراً فبات ليلته يفكر بمن ينزله ، ثم رأني أهلاً لحاجته فأنزلها بي) .

شتم رجل الأحنف ، وجعل يتبعه حتى بلغ حيه ، فقال الأحنف : يا هذا إن بقي في نفسك شيء فهاته وأنصرف ، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره .

كان ابن عباس كأبي بكر وكثير من الصحابة يرى أن الجد في الميراث يُسْقَطُ جميع الأخوة كالأب ، وكان زيد كعلي وأبن مسعود يرى بتوريثهم مع الجد فقال ابن عباس يوماً (ألا يتقي الله زيد يجعل الابن ابناً ولا يجعل أب الأب أباً) ثم قال : (وددت إن الذين يخالفوني يجتمعون بي عند الركن ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) وذلك لثقتة بصحة إجهاده .

وبعد وقت رأى ابن عباس زيد بن ثابت راكباً دابة فأخذ بركابه يقوده فقال له زيد تنح يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا فقال زيد : أرني يدك فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسولنا صلى الله عليه وسلم ، ولما مات زيد قال ابن عباس هكذا يذهب العلم لقد دُفِنَ اليوم علماً كثيراً .

كان الشافعي حين يحدث عن أحمد لا يسميه تكريماً له بل يقول : (حدثنا الثقة من أصحابنا أو أخبرنا الثقة من أصحابنا) .

روى أبو نعيم عن أبي وائل الراسبي قال : (أتني ابن عمر بعشرة آلاف ففرقها وأصبح يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة) .

ورد عن عطاء بن رباح أنه قال : (إن الشاب ليحدثني حديثاً فاستمع له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن تلده أمه) .

عند البخاري أن أبا هريرة **رضي الله عنه** وهو يصف كرم جعفر بن أبي طالب لإخوانه فقال : (كان خير الناس للمساكين فكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إنه ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها) .

وفي طبقات ابن سعد عن حُسن عشرة ابن عمر **رضي الله عنهما** عن مجاهد قال : (كنت أسافر مع عبد الله بن عمر فلم يكن يطبق شيئاً من العمل الأعمله ولا يكله إلينا ولقد رأيته يطأ على ذراع ناقتي حتى أركبها) .

- قال ابن مفلح في الآداب الشرعية عن إيثار الإمام أحمد : قال يحيى بن هلال الوراق : (جئت إلى محمد بن عبد الله بن نمير فشكوت إليه ، فأخرج أربعة دراهم أو خمسة وقال : هذا نصف ما أملك وجئت مرة إلى الإمام أحمد فأخرج إلي أربعة دراهم وقال : هذا جميع ما أملك) .
- في الأدب المفرد عن أخوة أنس بن مالك **رضي الله عنه** أنه إذا أصبح دهن يده بدهن طيب لمصافحة إخوانه) .

وعند الطبري في الكبير ورجاله رجال الصحيح عن سلامة صدر ابن عباس **رضي الله عنهما** (أن أبي بريدة الأسلمي قال شتم رجل ابن عباس فقال له : أتستمني وفي ثلاث خصال إني لا أتى على أية إلا تمنيت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ، ولا سمعتُ بقاضي عادل الا فرحت ودعوت له وليس لي عنده قضية ، ولا سمعت بالغيث في بلد إلا حمدت الله وفرحت وليس لي ناقة ولا شاة) .

وفي السلسلة الصحيحة عن أبي سليمان الدارني أنه قال : (إني لأضع اللقمة في فم أخٍ من أخواني فأجد طعمها في حلقي) .

وفي الآداب الشرعية قال عبد الله بن عثمان شيخ البخاري : (ما سألي أحد حاجة إلا أقمتم بها بنفسي فإن تم وإلا أقمتم بها بمالي فإن تم وإلا إستعنتُ له بالآخوان فإن تم وإلا إستعنتُ له بالسلطان)

- في تاريخ بغداد قال ابن مزار : تكلم عبد الله بن عياش المنتوف بكلام أراد به إساءة ابن عمه عمر ابن ذر فقام عمر فدخل منزله فندم ابن عياش فأتى عمر فقال: أيدخل الظالم فقال نعم ، مغفور له والله ما كافأت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه).

دخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة فمر برجل نائم فعثر به فرفع رأسه فقال أمجنون أنت فقال عمر: لا ، فهم الحرس فقال عمر : مه ، إنما سألتني أمجنون أنت فقلت: لا.

عن عبيد الله بن أبي الوسيم الجمال قال أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دين على رجل من أصحابنا فأمر بالموائد فنُصبت ثم قال لا حتى تُصيب من طعامنا فيجب علينا حقكم وذمامكم قال: فأصبنا من طعامه فأمر لنا بعشرة آلاف درهم في قضاء دين وخمسة آلاف درهم نفقة لعياله (مكارم الأخلاق)

قال محمد بن مناذر كنت أمشي مع الخليل بن احمد فأنقطع شسعي فخلع نعله فقلت ما تصنع قال أواسيك في الحفاء.

كان الحسن البصري رحمه الله إذا فقد الرجل من إخوانه أتاه فسلم عليه وسأله عن حاله فإذا خرج من عنده دعا الخادمة فأعطاه صرة فيها دراهم فقال أدفعها لمولاتك فقولن استعملها ولا تخبري بها سيدك).

قال مسور بن الوراق : ما كنت لأقول لرجل إني أحبك في الله تعالى فأمنعه شيئاً من الدنيا.

وجاءت يزيد بن عبد الملك بن مروان غلة من عماله فجعل يصبرها ويبعث بها إلى إخوانه ويقول إني أستعي من الله عز وجل أن أسال الجنة لأخ من إخواني وأبخل عنه بدينار أو درهم.

كان الحسن إذا فقد الرجل من إخوانه أتى منزله فإن كان غائباً وصل أهله وعياله وإن كان شاهداً سأله عن أمره وحاله ثم دعا بعض ولده من الأصاغر فأعطاهم الدراهم ووهب لهم وقال أبا فلان أن الصبيان يفرحون بهذا.

كان بشر بن منصور إذا زاره الرجل من إخوانه قام معه حتى يأخذ بركابه.

كان طلحه بن مصرف يأتي أم عمارة بن عمير يبرها بالنفقة والكسوة والصلة وذلك بعد أن مات عمارة ببضع عشرة سنة.

لقي الحسن بعض إخوانه فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته فألبسه وقال: إذا أتيت أهلك فبعها وأستخدم ثمنها.

في مناقب الإمام أحمد أن أبا بكر المروزي قال: قال لي أبو عبد الله وذكر رجلاً فقيراً فقال لي: أذهب إليه وقل له أي شيء تشتهي نعمل لك ودفع إليّ طيباً وقال لي طيبه.

دخل علي بن الحسين زين العابدين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده فبكى ابن أسامة فقال ما يبكيك قال عليّ دين قال وكم هو قال خمسة عشر ألف دينار وفي رواية سبعة عشر ألف دينار قال هي عليّ.

عن الحسن قال: إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة.

قال مجاهد: صحبت ابن عمر أريد أن أخدمه فكان هو الذي يخدمني.

قام عمر بن عبد العزيز رحمه الله يطلب النصيحة من عمرو بن مہاجر وقال له: (يا عمرو إذا رأيته قد ملت عن الحق فضع يدك في تلايبي ثم هزني ثم قل لي: ماذا تصنع). تاريخ بغداد

قال عبد الله بن الإمام أحمد: (لما أطلق أبي من المحنة خشي أن يجرى إليه إسحاق بن راهوية فرحل أبي إليه فلما بلغ الري دخل إلى مسجد فجاء مطر كأفواه القرب فلما كانت العتمة قالوا له: أخرج من المسجد فأنا نريد أن نغلقه فقال لهم هذا مسجد الله وأنا عبد الله فقيل له: أيهما أحب أن تخرج أو تجر رجلك قال أحمد فقلت سلاماً فخرجت من المسجد والمطر والرعد والبرق فلا أدري أين أضع رجلي ولا أين أتوجه فإذا رجل قد خرج من داره فقال لي: يا هذا أين تمر في هذا الوقت؟ فقلت لا أدري أين أمر فقال لي أدخل فأدخلني داراً ونزع ثيابي وأعطوني ثياباً جافة وتطهرت للصلاة فدخلت إلى بيت فيه كانون فحم ولبود ومائدة منصوبة فقيل لي: كل فأكلت معهم فقال لي: من أين أتيت فقلت من بغداد فقال لي تعرف رجلاً يقال له أحمد بن حنبل فقلت أنا أحمد بن حنبل فقال لي: وأنا إسحاق بن راهوية المناقب لابن الجوزي.

- وفي تاريخ بغداد : (إن فتح الموصلجي جاء إلى صديق له يقال له عيسى النجار فلم يجده فقال للخادمة أخرجي إلى كيس أخي فأخرجته ففتحه فأخذ منه درهمين وجاء عيسى لمنزله فأخبرته الخادمة بأخذ الدرهمين فقال إن كنت صادقة فأنت حره لوجه الله فنظر فإذا هي صادقة فعُتقت)

قال الإمام عبد الرحمن بن أبي ليلى (ما ماريتُ أخي أبداً لاني أن ماريتُهُ إما أن أكذبه وإما أن أغضبه) (الأدب الشرعية)

يذكر الإمام أحمد عن ابن راهوية وكان يخالفه في أمور فيقول (لم يعبرُ الجسر إلى خرسان مثل إسحاق بن راهوية وإن كان يخالفنا في أشياء فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً)

روى الخطيب بسنده عن عبد الله بن عبد الكريم قال : (سمعت أحمد بن حنبل وذكر عنده إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً من علة فاستوى جالساً وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيُتَكَيَّ)

روى الخطيب عن عبد الله بن الخطيب (أن الطيب إسماعيل أبا حمدون من القراء المشهورين كانت له صحيفة مكتوب فيها ٣٠٠ من أصدقائه وكان يدعو لهم كل ليلة فتركهم ليلة فنام فقيل له في نومه لم لم تُسرح مصابيحك الليلة فقعد فأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لهم واحداً واحداً حتى فرغ)

وعن تحريم تحقير المسلمين قال تاج الدين السبكي (كنت جالساً بدھليز دارنا فأقبل كلب فقلت أخساً كلب بن كلب فزجرني الوالد من داخل البيت فقلت أليس هو كلب بن كلب قال: شرط الجواز عدم قصد التحقير فقلت هذه فائدة) .

عن عبد الله بن الزبير مع معاوية بن أبي سفيان في الحلم وحُسن العشرة وطيب الأخوة. إنه كان لعبد الله بن الزبير مزرعة بمكة بجوار مزرعة معاوية وكان عمال معاوية يدخلونها فكتب ابن الزبير لمعاوية خطاباً كتب فيه (من عبد الله بن الزبير أبناً ذات النطاقين وأبن حواري الرسول صلى الله عليه وسلم إلى معاوية بن هند بنت أكلت الأكباد أن عمالك يدخلون مزرعتي فإن لم تنهم ليكون بيني وبينك شأن والسلام) . فلما وصل الخطاب لمعاوية كتب له خطاباً ذكر فيه (من معاوية بن هند بنت أكلت الأكباد إلى ابن الزبير أبناً ذات النطاقين وأبن حواري الرسول صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا لي فسألتها لأعطيتها ولكن إذا وصلك خطابي هذا فضم مزرعتي إلى مزرعتك وعمالي إلى عمالك فهي لك والسلام)

فلما قرأها بلها بالدموع وركب من مكة إلى معاوية في الشام وقبّل رأسه وقال له لا أعدمك الله عقلاً
أنزلك هذه المنزلة. ^(١)

(١) المسلم بن المسلم صيد الفوائد

الدرس الرابع

من صفات المسلم الحميدة

الآيات ١١-١٢-١٣

قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾

التوجيهات الربانية

أمرنا الله تعالى بعدم السخرية والاستهزاء من الناس فمن الممكن أن يكون الشخص الذي سخر منه أفضل عند الله ﷻ ، وكذلك أمرنا الله تعالى بعدم التنازع بالألقاب وتسمية بعضنا بعضاً بأسماء قبيحة ، وكذلك أمرنا سبحانه بأن نحسن الظن وعدم التعامل مع الناس بالشك والافتراء الباطلة.

وكذلك أمرنا الله تعالى بعدم التجسس وتتبع العورات ففي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً".

يقول بن كثير

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليجتنب كثير منه احتياطاً، وروينا عن أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً^(١)

معاني الكلمات

﴿ لا يسخر ﴾: من السخرية والاستهزاء .

﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾: ولا يعب بعضكم بعضاً ولا يطعن فيه.

واللمز: بالقول، والهمز: بالفعل

﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾: ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب يكرهه.

﴿ بئس الاسم الفسوق ﴾: الذي يفعل هذا يسمى الفاسق.

﴿ إن بعض الظن إثم ﴾: إنَّ بعض الظن ذنب يستحق صاحبه العقوبة عليه.

﴿ ولا تجسسوا ﴾: ولا تتبعوا عورات المسلمين ولا تبحثوا عن عيوبهم.

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾: ولا يذكر أحدكم أخاه بما يكرهه، وإن كان فيه ما يذكره به.

﴿ ذَكَرٌ وَأُنْثَى ﴾: آدم وحواء عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم بنو آدم. وآدم

خلق من تراب

﴿ لَتَعَارَفُوا ﴾ لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لَا لِيُفَاخِرُوا بِعُلُوِّ النَّسَبِ وَإِنَّمَا الْفَخْرُ بِالتَّقْوَى

ومعني التجسس

كما قال الأوزاعي: التجسس: البحث عن الشيء. والتجسس: الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون، أو يتسمع على أبوابهم. والتدابير: الصرم. رواه ابن أبي حاتم.

^١ تفسير ابن كثير ت سلامة (٧ / ٣٧٧)

وقوله: {ولا يغتب بعضكم بعضاً} فيه نهي عن الغيبة، وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: حدثنا القعنبي، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: "ذكرك أخاك بما يكره". قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته". ورواه الترمذي^(١)

يقول الامام الطبري

«يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين (عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ) يقول: المهزوء منهم خير من الهازئين (وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ) يقول: ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات، عسى المهزوء منهن أن يكنّ خيراً من الهازئات»^(٢)

يقول السعدي

أي: بسما تبدلت من الإيمان والعمل بشرائعه، وما تقتضيه، بالإعراض عن أوامره ونواهيه، باسم الفسوق والعصيان، الذي هو التنازع بالألقاب»^(٣)

حرمة المسلم

عن عبد الله بن عمر قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: "ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن يظن به إلا خير. رواه ابن ماجه .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً". رواه البخاري

^١ تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣٧٧)

^٢ «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٩٧ ط التربية والتراث):

^٣ «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص ٨٠١):

وعن أنس [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام". رواه مسلم والترمذي -

حرمة الغيبة

جاء في الآيات التحريم الشديد، في الغيبة والنهي عنها

يقول ابن كثير

ولهذا شبهها تعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت، كما قال تعالى: {أوجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه} ؟ أي: كما تكرهون هذا طبعاً، فاكروهوا ذاك شرعاً؛ فإن عقوبته أشد من هذا وهذا من التنفير عنها والتحذير منها، كما قال، **عليه السلام**، في العائد في هبته: "كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه"^(١)

ولقد حرم الإسلام الأموال والأعراض فقال رسول الله ﷺ

"إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا".

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل المسلم على المسلم حرام: ماله وعرضه ودمه، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم". رواه الترمذي

أسباب نزول الآية (١١) :

عن أبي جبير بن الضحاك قال: «نزلت فينا بني سلمة . قدم النبي المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا : يا رسول الله ﷺ، إنه يكرهه ويغضب منه فنزلت ﴿ولا تنابزوا بالألقاب ...﴾ [الحجرات: ١١]». رواه أحمد وأصحاب السنن .

^١ تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣٧٧)

أسباب نزول الآية (١٣) :

«لما كان يوم الفتح رقى بلال على ظهر الكعبة فأذن فقال بعض الناس : أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة ؟ فقال بعضهم : إن يرد الله شيئاً يغيره، فأنزل الله الآية». رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر .

ولقد نهى الإسلام عن العصبية القبلية

فقال الله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...] (سورة النساء)

فالناس جميعهم متساوون، عربهم وعجمهم، وجاء التفضيل بالتقوى والعمل الصالح

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الرسول صلى الله عليه وسلم ُ : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَّهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ، لِيَدْعَنَّ رِجَالٌ فُخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمٍ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِغَلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّيْنَ) رواه أبو داود وهو في صحيح الجامع.

مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: "إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول" متفق عليه، وروى أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى قال: إصلاح ذات البين، فإن إفساد ذات البين هي الحالقة".

قال ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواج: قال الحافظ المنذري أجمعت الأمة على تحريم النميمة، وأنها من أعظم الذنوب عند الله . عز وجل ..

[نماذج من الحسد المذموم]

حسد إبليس: خلق الله جل وعلا آدم عليه السلام وشرفه وكرمه، وأمر الملائكة بالسجود له، ولكن إبليس تكبر وبغى وحسده على هذه المنزلة؛ قال تعالى: ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين [الأعراف: ١١ - ١٢] قال قتادة: (حسد عدو الله إبليس آدم عليه السلام ما أعطاه من الكرامة، وقال: أنا ناري وهذا طيني)، وقال ابن عطية: (أول ما عصي الله بالحسد، وظهر ذلك من إبليس).

ومن شدة حسد إبليس أنه لما تبين مقت الله له وغضبه عليه، أراد أن يغوي بني آدم ليشاركوه المقت والغضب، وقد ذكر الله حال إبليس هذا، قال تعالى: قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين [الأعراف: ١٦ - ١٧]

قال ابن القيم: (الحاسد شبيه بإبليس، وهو في الحقيقة من أتباعه؛ لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم الله عنهم، كما أن إبليس حسد آدم لشرفه وفضله، وأبى أن يسجد له حسداً، فالحاسد من جند إبليس).

حسد قابيل لأخيه هابيل:

قال تعالى: واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين [المائدة: ٢٧ - ٣٠]

قال سراج الدين ابن عادل: (وأيضاً فإن آدم - عليه السلام - لما بعث إلى أولاده، كانوا مسلمين مطيعين، ولم يحدث بينهم اختلاف في الدين، إلى أن قتل قابيل هابيل؛ بسبب الحسد والبغى)

حسد إخوة يوسف:

قال تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين [يوسف: ٧ - ٩]

قال الماوردي: (كان يعقوب قد كلف بهما لموت أمهما وزاد في المراجعة لهما، فذلك سبب حسدهم لهما، وكان شديد الحب ليوسف، فكان الحسد له أكثر، ثم رأى الرؤيا فصار الحسد له أشد^(١))

(١) كتاب موسوعة الأخلاق الإسلامية

نعمة الإيمان

الآيات الكريمة من ١٤ إلى ١٨

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بَدِينَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَامُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾

معاني مفردات الآيات الكريمة

﴿الْأَعْرَابُ﴾: قوم يسكنون البوادي والصحراء.

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: عندما يدخل الإيمان إلى قلوبكم.

﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾: لا ينقصكم.

﴿لَمْ يَرْتَابُوا﴾: لم يشكوا في إيمانهم

﴿أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بَدِينَكُمْ﴾: أخبرونه - سبحانه وتعالى - بقولكم: (آمنا)؟! (والاستفهام للتوبيخ والإنكار عليهم فالله تعالى يعلم حالهم

﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾: يزكون ويفضلون عليك يا محمد بإسلامهم

﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾: فالله هو صاحب الفضل عليكم الذي يمن .

﴿غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما غاب فيهما ولم تصل إليه العقول والإدراك

التوجهات الربانية

بين الله تعالى أنه صاحب الكرم والجود على الإنسان فالله تعالى هو الهادي إلى الطريق المستقيم

ولا يجوز لأحد أن يمن علي الله تعالى ويتكبر بعبادة وطاعة فالله تعالى فهو المنان الكريم

وعندما فعل ذلك مجموعة من الأعراب أنكر الله تعالى عليهم، وبين سبحانه أنه يعلم ما في الصدور ومطلع عليه، وأن درجات الإيمان أعلي من درجات الإسلام فالإسلام ظاهر والإيمان باطن خفي لا يعلمه إلا الله

ووصف الله تعالى حال الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ويشكوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون

ثم قال تعالى: {وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً} أي لا ينقصكم من أجوركم شيئاً {إن الله غفور رحيم} أي لمن تاب وأناب

يقول الصابوني رحمه الله «أي زعم الأعراب أنهم آمنوا قل لهم يا محمد: إنكم لم تؤمنوا بعد، لأن الإيمان تصديق مع ثقة واطمئنان قلب، ولم يحصل لكم، وإلا لما مننتم على الرسول بالإسلام وترك المقاتلة، ولكن قولوا استسلمنا خوف القتل والسبي»^(١)

سبب نزول الآيات

الآية (١٧): عن ابن عباس قال: «قدم عشرة من بني أسد على رسول الله سنة سبع وفهم طلحة بن خويلد، وكان رسول الله في المسجد مع أصحابه فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبده ورسوله، وجئناك ولم تبعث إلينا بعثاً، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، ونحن لمن وراءنا سلم، فأنزل الله الآية». رواه البزار والطبراني.

قال ابن كثير

^١ «صفوة التفاسير» (٣/ ٢٢٠):

قال مجاهد: نزلت في بني أسد بن خزيمة، وقال قتادة: نزلت في قوم امتنوا بإيمانهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحيح الأول أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يحصل لهم بعد فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا، وإنما قيل لهؤلاء تأديبا: {قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} أي لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد.^(١)

مراتب الدين

المرتبة الأولى: الإسلام

والإسلام: هو الانقياد والتسليم لله ﷻ، والخضوع له بفعل أوامره، وترك نواهيه، قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

وقوله تعالى: (ورضيت لكم الإسلام ديناً) المائدة/٣، وقوله: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) آل عمران/٨٥

المرتبة الثانية: الإيمان

وهو قول باللسان، وتصديق بالجنان (القلب)، وعمل بالأركان (الجوارح)، قال الإمام أحمد بن حنبل: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

وقال الإمام الشافعي -كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة-: وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان: قول، وعمل، ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر.

قال صلى الله عليه وسلم: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون أخرجه مسلم

وصفاتهم في قوله تعالى

^١ مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٩)

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الأنفال/٢-٤.

في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة/١٧٧،

والفارق بين الإسلام والإيمان دل عليه حديث جبريل الذي رواه مسلم في صحيحه

(عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يَرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَبْرَهُ وَشَرَّهَ " قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ: " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ " قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ؟ قَالَ: " أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحَقَّاءَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ " قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: " يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ " ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: " فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ "

المرتبة الثالثة: الإحسان

الإحسان لغة : هو فعل ما هو حسن، مع الإجادة في الصنع. وشرعا : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك.

ومقام المحسنين هو مقام الإخلاص [والمراقبة]

ففي الحديث : " فإن لم تكن تراه فإنه يراك " فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك "

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ سورة النحل.

ويكون الإحسان في كل شيء

مع الزوجة والولد والجيران ومع المسلم وغير المسلم وحتى مع الدواب والحجر والشجر فعن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته [أخرجه مسلم،].

نماذج من الإحسان عند الصحابة

- إحسان أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

من صور إحسان أبي بكر رضي الله عنه إنفاقه على قرابته، ومنهم مسطح، لكنه لما تكلم في عائشة رضي الله عنها قطع عنه أبو بكر هذه النفقة، ثم عفا عنه امتثالاً لأمر الله، وأعاد إليه النفقة التي كان يجريها عليه؛ ففي الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها عن حادثة الإفك قالت: (قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه -وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه-: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله تعالى: ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا [النور: ٢٢] إلى قوله: والله غفور رحيم [النور: ٢٢] ، فقال أبو بكر: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه) .

- إحسان أبي هريرة رضي الله عنه إلى أمه:

يخبر أبو هريرة رضي الله عنه عن حاله مع أمه فيقول: (كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً، فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره! فأُتيت رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أُمي إلى الإسلام، فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أُم أبي هريرة، فقال: اللهم اهد أُم أبي هريرة، فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أُمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت، ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله! فرجعت إلى رسول الله فأتيته وأنا أبكي من الفرح! قال: قلت: يا رسول الله، أبشر، قد استجاب الله دعوتك، وهدى أُم أبي هريرة، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال خيرا، قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأُمي إلى عبادته المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم حبب عبيدك هذا -يعني أبا هريرة- وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين؛ فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني).

- إحسان ابن عمر رضي الله عنهما إلى صديق أبيه:

عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه كان إذا خرج إلى مكة، كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الرحلة، وعمامة يشد بها رأسه، فبينما هو يوما على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي، فقال: ألسنت ابن فلان بن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا، والعمامة، قال: اشدد بها رأسك، فقال له: بعض أصحابه: غفر الله لك! أعطيت هذا الأعرابي حمارا كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك! فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي))، وإن أباه كان صديقا لعمر. فأحسن عبد الله بر أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بعد مماته بهديته لهذا الأعرابي؛ فمن أفضل أنواع البر إحسان الرجل لأهل ود أبيه، وهم أهل محبة أبيه وصداقته، بعد أن «يولي» وهو كناية عن الموت، وإنما كانت الوصية بأولياء الوالد بعد موته أبر؛ لأن ذلك يؤدي إلى كسب الدعاء له وبقاء المودة.

- إحسان سعيد بن العاص:

- باع أبو الجهم العدوي داره بمائة ألف درهم، ثم قال: فيكم تشترون جوار سعيد بن العاص؟ قالوا: هل يشتري جوار قط؟! قال: ردوا علي داري وخذوا مالكم، ما أدع جوار رجل إن قعدت سأل عني، وإن

رَأْنِي رَحِبَ بِي، وَإِنْ غَبْتُ حَفْظَنِي، وَإِنْ شَهِدْتُ قَرِيبَنِي، وَإِنْ سَأَلْتَهُ قَضَى حَاجَتِي، وَإِنْ لَمْ أَسْأَلْهُ بَدَأَنِي، وَإِنْ نَابَتَنِي جَائِحَةٌ فَجَّرَ عَنِي. فَبَلَغَ ذَلِكَ سَعِيدًا فَبَعَثَ إِلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ !

- إِحْسَانُ أَبِي الْيَسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

-عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: ((خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ غِلَامٌ لَهُ، مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صَحْفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسْرِ بَرْدَةٌ وَمَعَافِرِي، وَعَلَى غِلَامِهِ بَرْدَةٌ وَمَعَافِرِي...، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ أَنَا: يَا عَمُّ، لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بَرْدَةَ غِلَامِكَ، وَأَعْطَيْتَهُ مَعَافِرِيكَ، وَأَخَذْتَ مَعَافِرِيهِ وَأَعْطَيْتَهُ بَرْدَتِكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حَلَةٌ وَعَلَيْهِ حَلَةٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، يَا ابْنَ أَخِي، بَصَرَ عَيْنِي هَاتَيْنِ، وَسَمِعَ أُذُنِي هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا -وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ- رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: أَطْعَمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَكَانَ أَنْ أُعْطِيْتَهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ!!).

وَعَنْ عِبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: ((خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ غِلَامٌ لَهُ، مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صَحْفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسْرِ بَرْدَةٌ وَمَعَافِرِي، وَعَلَى غِلَامِهِ بَرْدَةٌ وَمَعَافِرِي، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمُّ، إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ! قَالَ: أَجَلٌ، كَانَ لِي عَلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْحَرَامِي مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ، فَسَلَّمْتُ، فَقُلْتُ: ثُمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لَا، فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنُ لَهْ جَفَرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةً أُمِّي! فَقُلْتُ: أَخْرَجْ إِلَيَّ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ، فَخَرَجَ، فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا -وَاللَّهِ- أَحَدْتُكَ ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ -وَاللَّهِ- أَنْ أَحَدْتُكَ فَأَكْذِبُكَ، وَأَنْ أَعْدَكَ فَأَخْلَفَكَ، وَكَنْتُ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَنْتُ وَاللَّهِ مَعْسِرًا، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ؟ قَالَ: اللَّهُ. قُلْتُ: اللَّهُ؟ قَالَ: اللَّهُ. قُلْتُ: اللَّهُ؟ قَالَ: اللَّهُ. قَالَ: فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاها بِيَدِهِ! فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلَّا أَنْتَ فِي حَلٍّ، فَأَشْهَدُ بِصَرِّ عَيْنِي هَاتَيْنِ -وَوَضَعَ إصْبَعِيهِ عَلَى عَيْنَيْهِ- وَسَمِعَ أُذُنِي هَاتَيْنِ،

ووعاه قلبي هذا -وأشار إلى مناط قلبه- رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: من أنظر معسرا أو وضع عنه، أظله الله في ظله)).

فقد أحسن الصحابي أبو اليسر رضي الله عنه إلى المدين، وجعله في حل من السداد ما دام معسرا، ومن إحسانه أنه محا ما كان مكتوبا في الصحيفة بيده؛ لئلا يبقى الدين مسجلا، وإنما فعل ذلك لأنه عزم على ألا يطالبه بالدين بعد ذلك إلا أن يجد سعة فيؤديه بنفسه^(١)

تم بفضل الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(١) موسوعة الأخلاق والسلوك الدرر السنية

الحديث النبوي



الحديث الأول

(إنما الأعمال بالنيّات)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». [متفق عليه]

راوي الحديث:

هو أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، المُلقب بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أشهر القادة في التاريخ الإسلامي.

اسمه: الصحابي الجليل عمر بن الخطّاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي،

وكنيته أبو حفص، وأمّه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابة الكرام.

ولد بعد عام الفيل، وبعد مولد الرسول صلي الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة

وتولّى الخلافة الإسلامية بعد وفاة سيدنا أبو بكر الصديق في جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ.

تزوَّج في الجاهليّة بزَيْنَب بنت مِظْعُون أخت عثمان بن مِظْعُون، فأُنْجِبَتْ لَهُ عبد الله، وعبد الرحمن الأكبر، وحفصة.

وبلغ عدد أولاده ثلاثة عشر ولداً، وأمّا نساؤه فقد بلغ عددهنّ سبعة نساء ممّن تزوجهنّ في الجاهليّة والإسلام،

وكان إسلام عمر بن الخطاب بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة والتي كانت في العام الخامس من البعثة، وقيل إنّه أسلم في السنة السادسة من البعثة.

ومن أهم الفتوحات والأحداث في زمانه فتوحات الشام؛ مثل دمشق، والأردن، ، وبيت المقدس، وفتوح العراق؛ ومعركة الجسر، ووقعة البويب، ومعركة القادسيّة، وفتح المدائن، وفتح مصر وغيرها من الفتوحات.

وكان استشهاده يوم الأربعاء ومات يوم الخميس، وكان عمره ثلاث وستون عاماً، وقيل: واحد وستون

- في السّنة ٢٣ هـ الثالثة والعشرين للهجرة على يد أبو لؤلؤة المجوسيّ لعنه الله أثناء الصلاة .

وسبب تسميته بالفاروق، لأنه فرق الله عز وجل به بين الحق والباطل.

معاني كلمات الحديث

النّية: هي القصد والإرادة والنيات: جمع نية، وشرعاً عزم القلب على الشيء مقترناً بفعله.

ومعني الهجرة: الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام ، أو من دار المعصية إلى دار الطاعة .

معني ينكحها أي يتزوجها .

إنما الأعمال: إنما للحصر، أي جميع الأعمال الظاهرة والباطنة

معني امرئ: الإنسان.

معني ما نوى: ما قصد من خير أو شر.

والهجرة لغة: الترك، وشرعاً: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام أو من بلد المعاصي إلى بلد الاستقامة ، و دار الطاعة .

سبب الحديث

قيل أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة ، ليس لله تعالى ولا لرسول الله ﷺ ، ولكن لكي يتزوج امرأة يقال لها: أم قيس، ولا يريد بذلك أجروثواب الهجرة في سبيل الله، فكان يقال له: مهاجر أم قيس.

فعن شقيق قال : قال عبد الله : " من هاجر يبتغي شيئاً فهو له ، قال : هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها : أم قيس وكان يسمى مهاجر أم قيس ^(١) .

قال ابن حجر - رحمه الله - : " وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين " لكن ليس فيه أن حديث الأعمال سيق بسبب ذلك ، ولم أرفي شيء من الطرق ما يقتضي التصريح بذلك " انتهى ^(٢)

وقال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - : " وقد اشتهر أن قصة " مهاجر أم قيس " هي كانت سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم (من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها) وذكر ذلك كثير من المتأخرين في كتبهم ، ولم نزل ذلك أصلاً يصح " انتهى ^(٣)

أهمية هذا الحديث

هذا حديث عظيم ومهم جداً: يقول الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -: (هذا الحديث ثلث العلم ، ويدخل في سبعين باباً في الفقه) .

والسبب أن أعمال المسلم تكون بالقلب وتسمى الأعمال القلبية كالحب والبغض والحسد والحقد والرياء والإخلاص

ثانياً العمل باللسان وتسمى الأقوال كذكر الله تعالى وقراءة القرآن وغير ذلك
والقسم الثالث عمل الجوارح كعمل اليد والرجل والنظر وهكذا .

المعنى العام للحديث

يفهم من الحديث أن المؤمن يثاب بحسب نيته ، فمن كانت أعماله خالصة لله تعالى ، فهي مقبولة عند الله تعالى ، وإن كانت قليلة يسيرة بشرط أن تكون موافقة للسنة ، ومن كانت أعماله من أجل الدنيا ومن أجل الناس ، ولكي يكون مشهوراً ومعروفاً عند الناس ، فهي غير مقبولة عند الله عز وجل وإن كانت أعماله عظيمة وكثيرة .

(١) رواه الطبراني في " الكبير " (٨٥٤٠) .

(٢) من " فتح الباري " (١٠ / ١) .

(٣) من " جامع العلوم والحكم " (ص ١٤) .

فكل عمل أراد المسلم به غير وجه الله، لا يقبله الله منه أبداً ويكون العمل مردود عليه.

الدروس المستفادة من الحديث:

- ١_ أن الله عز وجل - لا يقبل عملاً بدون نية.
- ٢_ أن الله - سبحانه وتعالى - يعطي الأجر والثواب أيضاً على الأعمال العادية من الأكل والشرب والنوم واليقظة وغيرها لو قصد المسلم بها وجه الله سبحانه .
- ٣_ المسلم الذكي يمكن أن يتحصل على أجور كثيرة على قيامه بالعمل الواحد إذا نوى فيه أكثر من نية في نفس الوقت.
- ٤_ يجب على المسلم أن لا ينتظر مدحاً ولا ثناء من أحد ، فلا بد من العمل أن يكون خالصاً لوجه الله عز وجل.
- ٥_ ضرورة الإخلاص لله - سبحانه وتعالى - في جميع الأعمال والأقوال.
- ٦_ ترك الرياء والشرك والنفاق وحب الشهرة وكل ما يغضب الله تعالى.

التحذير من الرياء

حذر الإسلام من الرياء والافتخار بالعمل لأن هذه الصفة من صفات المنافقين

فقال عز وجل: ﴿يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مُدَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾

[النساء ١٤٢]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً

أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)) [مسلم]

شروط قبول العمل الصالح

١: أن يكون العمل خالصاً لله.

٢ أن يكون موافقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما قال الله تعالى { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } (الكهف : ١١٠).

بعض ما جاء في النية

رواية حنبلي: أَحِبُّ لِكُلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا مِنْ صَلَاةٍ، أَوْ صِيَامٍ، أَوْ صَدَقَةٍ، أَوْ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ أَنْ تَكُونَ النِّيَّةُ مُتَقَدِّمَةً فِي ذَلِكَ قَبْلَ الْفِعْلِ، قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، فَهَذَا يَأْتِي عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ.

وقال الفضل بن زياد: سألتُ أبا عبد الله - يعني: أحمد - عَنِ النِّيَّةِ فِي الْعَمَلِ، قُلْتُ: كَيْفَ النِّيَّةُ؟ قَالَ: يُعَالِجُ نَفْسَهُ، إِذَا أَرَادَ عَمَلًا لَا يَرِيدُ بِهِ النَّاسَ.

وقد صَنَّفَ أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا مُصَنَّفًا سَمَّاهُ: كِتَابَ الْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ

وروى ابنُ أبي الدُّنْيَا بِإِسْنَادٍ مُنْقَطِعٍ عَنْ عُمَرَ، قَالَ: لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسَبَةَ لَهُ، يَعْنِي: لَا أَجْرَ لِمَنْ لَمْ يَحْتَسِبْ ثَوَابَ عَمَلِهِ عِنْدَ اللَّهِ - عز وجل -.

عن ابنِ مسعودٍ، قَالَ: لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمَا وَافَقَ السُّنَّةَ.

وعن يحيى بن أبي كثير، قَالَ: تَعَلَّمُوا النِّيَّةَ، فَإِنَّهَا أَبْلَغُ مِنَ الْعَمَلِ .

وعن زُبَيْدِ الْيَامِي، قَالَ: إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ تَكُونَ لِي نِيَّةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ،

وَعَنهُ أَنَّهُ قَالَ: أَنُو فِي كُلِّ شَيْءٍ تَرِيدُهُ الْخَيْرَ، حَتَّى خُرُوجَكَ إِلَى الْكُنَاسَةِ .

وعن داود الطَّائِي، قَالَ: رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ إِنَّمَا يَجْمَعُهُ حُسْنُ النِّيَّةِ، وَكَفَاكَ بِهِ خَيْرًا وَإِنْ لَمْ تَنْصَبْ.

وعن سفيان الثَّوْرِيِّ، قَالَ: مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّةٍ؛ لِأَنَّهَا تَتَقَلَّبُ عَلَيَّ .

وعن يوسف بن أسباط، قال: تَخْلِيصُ النِّيَّةِ مِنْ فُسَادِهَا أَشَدُّ عَلَى الْعَامِلِينَ مِنْ طُولِ الْجَهْدِ .

وقيل لنافع بن جبير: ألا تشهدُ الجنازة؟ قال: كما أنتَ حتَّى أنوي، قال: فَفَكَّرَ هُنَيْئَةً، ثُمَّ قَالَ: امضِ .

وعن مطرّف بن عبد الله قال: صَلَاحُ الْقَلْبِ بِصَلَاحِ الْعَمَلِ، وَصَلَاحُ الْعَمَلِ بِصَلَاحِ النِّيَّةِ .

وعن بعض السَّلَفِ قال: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْمُلَ لَهُ عَمَلُهُ، فَلْيُحْسِنِ نِيَّتَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ

- عز وجل - يَأْجُرُ الْعَبْدَ إِذَا حَسُنَتْ نِيَّتُهُ حَتَّى بِاللُّقْمَةِ.

وعن ابن المبارك، قال: رَبُّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تَعْظِمُهُ النِّيَّةُ، وَرَبُّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ.

وقال ابن عجلان: لَا يَصْلُحُ الْعَمَلُ إِلَّا بِثَلَاثٍ: التَّقْوَى لِلَّهِ، وَالنِّيَّةَ الْحَسَنَةَ، وَالْإِصَابَةَ.

وقال الفضيل بن عياضٍ: إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ - عز وجل - مِنْكَ نِيَّتَكَ وَإِرَادَتَكَ.

وعن يوسف بن أسباط، قال: إِثَارُ اللَّهِ - عز وجل - أَفْضَلُ مِنَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ.

وروى فيه بإسنادٍ منقطعٍ عن عُمَرَ - رضي الله عنه -، قال: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ - عز وجل

-، وَالْوَرَعُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ - عز وجل -، وَصِدْقُ النِّيَّةِ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ - عز وجل -.

وبهذا يعلم معنى ما رُوِيَ عن الإمام أحمد: أَنَّ أَصُولَ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ أَحَادِيثٌ: حَدِيثُ الْأَعْمَالِ بِالنِّيَّاتِ ،

وحديثُ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ ، وحديثُ: الْحَلَالُ بَيْنَ وَحَرَامٍ بَيْنَ . فَإِنَّ الدِّينَ كُلَّهُ

يَرْجِعُ إِلَى فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ، وَتَرْكِ الْمَحْظُورَاتِ، وَالتَّوَقُّفِ عَنِ الشُّبُهَاتِ، وَهَذَا كُلُّهُ تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ النُّعْمَانِ

بن بشيرٍ. وَإِنَّمَا يَتِمُّ ذَلِكَ بِأَمْرَيْنِ:

أحدهما: أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ فِي ظَاهِرِهِ عَلَى مُوَافَقَةِ السُّنَّةِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ: مَنْ

أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ .

والثاني: أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ فِي بَاطِنِهِ يُقَصِّدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ - عز وجل -، كما تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ عُمَرَ: الْأَعْمَالُ
بِالنِّيَّاتِ (١)

الحديث الثاني.

آداب الطعام والشراب

عن عمر بن أبي سلمة قال :

كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ. فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طُعْمَتِي بَعْدُ. متفق عليه

تطيش في الصحفة، يعني: يحركها في جوانب إناء الطعام؛ ليلتقطه، فأمره بالتسمية عند الطعام، وأن يأكل بيمينه، وأن يأكل من الجانب الذي يقرب منه من الطعام، يقول عمر بن سلمة: أنني التزمت بما أمر به صلى الله عليه وسلم، فأنا أفعل ذلك في طعامي منذ سمعت ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم.

متن الحديث

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: (كنت غلامًا في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا غلام، سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك))، فما زالت تلك طُعْمَتِي بعد). متفق عليه

(١) خرَّج ذلك ابنُ أبي الدنيا في كتاب "الإخلاص والنية". راجع العلوم والحكم ابن رجب الحنبلي

معاني الكلمات :

- معنى الغلام: الصَّبِيُّ من أول أن يُولَد إلى أن يكون شاباً.
- معنى تطيش يده في الصحفة، أي يأكل من هنا وهنا ولا يأكل من أمامه.
- معنى الصحفة قصعة الطعام والأواني التي يوضع فيها الطعام.
- معني حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي: في كَنَفِهِ وحمايته وكان ابن زوجة الرسول ﷺ.
- معني طُعْمَتِي أي أكلتي .

راوي الحديث

هو الصحابي عمر بن أبي سلمة المخزومي يكنى بأبي حفص، ولد قبل الهجرة بسنتين بأرض الحبشة وتوفي سنة ٨٣ هـ هجرية)

وهو ربيب النبي صلى الله عليه وسلم (أي ابن زوجته أم سلمة أم المؤمنين)

روى أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولاء سيدنا علي بن أبي طالب على البحرين وبلاد فارس.

المعنى العام للحديث

يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم، بأن نأكل باليد اليمنى وأن نأكل من الإناء والماعون الذي أمامنا .
وان نقول قبل الطعام والشراب بسم الله، حتي نبعد عنا الشيطان فلا يشاركنا في الطعام والشراب،
لأن الشيطان إن شاركنا في الطعام والشراب سوف يصبح قوي فيكثر من الإغواء والإفساد في الأرض.
وكذلك لا نأكل باليد اليسرى لأن الذي يأكل بشماله يكون شبيه بالشيطان الرجيم ، وإن لا ينسى
المسلم أن يسمي في أول الطعام فإن نسي فيُسَمَّى بعد ذلك فيقول: "بسم الله أوله وآخره"

الدروس المستفادة من الحديث.

الدروس الأول : أن يحرص المسلم علي التسمية عند الطعام، لأن ذكر الله يطرد الشيطان.

الدروس الثاني : الحرص علي أن يأكل المسلم بيمينه، وهذا هو فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، والمسلمون.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تأكلوا بالشمال؛ فإن الشيطان يأكل بالشمال))؛ رواه مسلم
ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله))؛ رواه مسلم

الدرس الثالث : أهمية تعليم الأطفال الصغار آداب الطعام.



آداب الطعام والشراب في الإسلام

التسمية قبل تناول الطعام:

أولاً : من آداب الطعام قول (بسم الله) ويجوز أن يقول "بسم الله الرحمن الرحيم" قبل البدء قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا أكل أحدكم طعاماً، فليقل: بسم الله، فإن نسي في أوله، فليقل: بسم الله في أوله وآخره".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ويقول عند الأكل: باسم الله. فإن زاد «الرحمن الرحيم» كان حسناً؛ فإنه أكمل.

ثانياً: الدعاء فنقول كما ورد عن الرسول ﷺ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه " (إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه) رواه أبو داود.

ثالثاً: تناول الطعام باليد اليمنى: فالأكل والشرب باليد اليمنى من أهم آداب الطعام والشراب.

عن عبد الله بن عمر قال رسول الله ﷺ "لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا) صحيح مسلم.

رابعاً : عدم تناول الطعام متكئاً: لقول رسول الله ﷺ : "أَمَّا أَنَا فَلَا أَكُلُ مُتَّكِّئًا" أخرجه ابن حبان.

خامساً : إكرام الطعام وعدم اهانتة:

قال رسول الله ﷺ : "أَكْرِمُوا الْخَبْزَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ، وَأَخْرَجَهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" حديث حسن

سادساً : أن يحمد الله بعد انتهاء الطعام:

فلقد كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من الطعام والشراب قال "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ" سنن أبي داود

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" سنن أبي داود

سابعاً: ألا يعيب الطعام ولا يذمه أبداً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه. حديث صحيح

ثامناً: أن يجعل ثلثاً لطعامه وثلثاً لشرابه وثلثاً لنفسه: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يُقِمِّنُ صلبه، فإن كان لا محالة فتُلثْ لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه) رواه الترمذي

ولا ننسى هذه النصائح المفيدة

• غسل اليدين قبل وبعد الأكل:

- عدم ترك بواقي طعام في الإناء ومسح الإناء إن أمكن:
- إغلاق الفم أثناء الأكل:
- عدم ملء الفم بالطعام:
- تناول الطعام على لقيمات صغيرة ، ومضغه بشكل جيد وبلعه قبل أخذ اللقمة الثانية.
- لعق الأصابع بعد الانتهاء من الطعام.
- تناول الطعام ببطء وهدوء.
- عدم إصدار أصوات مزعجة من الفم عند المضغ أو عند شرب السوائل و أخذ الوقت الكافي في المضغ
- عدم الاستعجال في تناول الطعام.
- عدم استخدام الأجهزة الالكترونية على المائدة:
- عدم النفخ في الطعام والشراب
- عدم ترك اللقمة الساقطة فيزيل عنها الأذى ويأكلها.

ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل طعاما لعق أصابعه الثلاث. قال: وقال: إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان، وأمرنا أن نسلت القصعة. (نمسخ الإناء) قال: فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة)

قال النووي في شرح صحيح مسلم أثناء ذكره سنن الأكل: واستحب أكل اللقمة الساقطة بعد مسح أذى يصيبها، هذا إذا لم تقع على موضع نجاسة، فإن وقعت على موضع نجس تنجست ولا بد من غسلها إن أمكن، فإن تعذر أطعمها حيوانا ولا يتركها للشيطان.

الحديث الثالث

فضل تعلم القرآن الكريم

متن الحديث



عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) [رواه البخاري].

راوي الحديث

هو عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْأُمَوِيُّ الْقُرَشِيُّ وكنيته أبو عَبْدِ اللَّهِ ، كان يعرف بين الصحابة ذو النورين والسبب لأنه تزوج اثنتين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تزوج من السيدة رقية ثم بعد وفاتها تزوج من السيدة أم كلثوم رضي الله عنهن.

وهو ثالث الخلفاء الراشدين، و أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام.

وكان عثمان أول مهاجر إلى أرض الحبشة ومعه بنت الرسول صلى الله عليه وسلم السيدة رقية ، ثم تبعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة. ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة المنورة. وكان رسول الله يثق به ويحبه ويكرمه لحيائه وأخلاقه ، وكان كثير الإنفاق علي الفقراء والمساكين ، وأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه سيموت شهيداً. ولد سنة (٤٧ ق.هـ - أستشهد سنة ٣٥ هـ) رضي الله عنه

معني العام للحديث: يوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي يتعلم القرآن ويعلم الناس القرآن ويصحح لهم القراءة هو من خير الناس شرفا وفضلا ومنزلة ، وهذه الخيرية يستحقها ويفوز بها المسلم في الدنيا وفي القبر ، وفي الآخرة ، ويعيش المسلم حياة سعيدة طيبة.

ومن ضمن المحاسن التي يفوز بها المسلم عند تعلم القرآن.

ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) رواه مسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» رواه الترمذي



فضل تعلم وحفظ القرآن

تعلم القرآن الكريم له ثواب عظيم وأجر كبير. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها) رواه أبو داود الترمذي.

ثواب الصبر علي تعليم القرآن الكريم:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والماهر هو الذي يجيد القرآن ويتقن أحكام التجويد ، يكون مع السفارة الكرام البررة ، وهم الملائكة ؛ كما قال تعالى ﴿ في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة ﴾ "عبس : ١٣ - فالماهر مع الملائكة في الدرجة عند الله ، وأما الذي يتتبع فيه يتجهجاه وهو عليه شاق ، له أجران : الأول : للتلاوة ، والثاني : للتعب والمشقة :

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا ، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ) متفقٌ عَلَيْهِ .

الغبطة هنا معناها ، أن يتمنى مثل النعمة التي عند غيره من غير زوالها عن صاحبها .

ولا ننسى أن حافظ القرآن :

يلبس والداه تاجًا يوم القيامة ؛ إكرامًا لهما على تربيته وعلى حفظه القرآن الكريم ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، ألبس والداه تاجًا يوم القيامة ، ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم ، فما ظنكم بالذي عمل بهذا ؟ » .

وفي رواية (من قرأ القرآن ، وتعلمه ، وعمل به ، ألبس والداه يوم القيامة تاجًا من نور ، ضوءه مثل ضوء الشمس ، ويكسى والداه حلتين لا تقوم بهما الدنيا ! فيقولان : بم كسينا ؟ ! فيقال : بأخذ ولدكما القرآن) . قال الألباني صحيح

ويروى أن الإمام السَّمْعَانِي : رُؤِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ : فَقَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لِي بِتَعْلِيمِي الصِّبْيَانَ الْفَاتِحَةَ

ولابد أن يفتخر المسلم أنه من أهل القرآن

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ) قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمُ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ ("صحيح ابن ماجة ")



الدروس المستفادة من الحديث

- بيان منزلة القرآن وفضل
- بيان فضل حافظ القرآن الكريم
- بيان منزلته في الدنيا والآخرة
- فضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه.

فأهل القرآن هم الذين قال الله تعالى فيهم: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) [فاطر: ٣٢].

وعن عبد الله بن بريدة -رضي الله عنه- قال: كنت عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسمعتَه يقول: "إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب يقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول له: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأت نهارك، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، قال: فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين، لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ قال: فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً^(١)

(١) رواه الإمام أحمد وحسنه الحافظ بن كثير.

قال ابن الجزري -رحمه الله:-

وَبَعْدُ فَالْإِنْسَانُ لَيْسَ يَشْرُفُ لِدَاكَ كَانَ حَامِلُو الْقُرْآنِ
وَأَنَّهُمْ فِي النَّاسِ أَهْلُ اللَّهِ وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ عَنْهُمْ وَكَفَى
وَهُوَ فِي الْأُخْرَى شَافِعٌ مُشَفَّعٌ يُعْطَى بِهِ الْمَلِكُ مَعَ الْخُلْدِ إِذَا
يَقْرَأُ وَيَرْقَى دَرَجَ الْجَنَانِ إِلَّا بِمَا يَحْفَظُهُ وَيَعْرِفُ
أَشْرَافَ الْأُمَّةِ أُولَى الْإِحْسَانِ وَإِنْ رَبَّنَا بِهِمْ يَبْتَاهِي
بِأَنَّهُ أَوْرَثَهُ مَنْ اصْطَفَى فِيهِ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ يُسْمَعُ
تَوَجَّهْ تَاجَ الْكَرَامَةِ كَذَا وَأَبَوَاهُ مِنْهُ يُكْسِيَانِ (١)

وأهل القرآن هم أسياد الأمة، والمدافعون عن الملة فلقد حافظوا على كتاب الله تعالى، من الضياع فالشرف كل الشرف لهم، فحسبهم أن كل قارئ لكتاب الله تعالى يعود الثواب لهم وينالون مثل أجره، لأنهم هم الذين نقلوه وبلغوه، قال السيوطي رحمه الله: «ثم لما اتسع الخرق وكاد الباطل يلتبس بالحق، قام جهابذة الأمة وبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزَّوا الوجوه والروايات، وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ، بأصول أصَّلوها وأركان فصلوها» (٢)

ويكفي مجالسهم شرفاً بأن الله تعالى

يباهي ملائكته بها روى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَقَّقَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (٣)

(١) [طبية النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٣١]

(٢) [الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ٢٥٣]

(٣) [صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر].

وهؤلاء هم الذين يحسدوا، وأعني بالحسد الحسد الم محمود الذي لا يحمل حقدا ولا بغضا ولكن يحمل حبا واحتراما وتقديرا ورجاء أن ننال ما نالوه من فضل واختصاص.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الله ابن عمر: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ"

وأهل القرآن هم أهل التقدير والتوقير فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال صلى الله عليه وسلم: "إن لله أهلين من الناس" قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال "هُمُ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ". رواه النسائي وابن ماجه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ»^(١) فعن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: "كان القراء أصحاب مجلس عمر -رضي الله عنه- ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً". ويقول ابن القيم: "من استظهر القرآن -أي حفظ القرآن- ورأى أن أحد أفضل منه، فما قدر نعمة الله عليه".

يقول الإمام الشاطبي في "حزر الأمانى ووجه التهاني:

جَزَى اللَّهُ بِالْخَيْرَاتِ عَنَّا أُنْمَةً. فَمِنْهُمْ (بُدُورٌ سَبْعَةٌ) قَدْ تَوَسَّطَتْ

لَهَا شُهُبٌ عَنْهَا اسْتَنَارَتْ فَنَوَّرَتْ وسوف تراهم واحدا بعد واحد

تخيرهم نقادهم كل بارع فأما الكريم السر في الطيب نافع

وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم لَنَا نَقَلُوا الْقُرْآنَ عَذْبًا وَسَلْسَلًا

سَمَاءَ الْعُلَى وَالْعَدْلِ زُهْرًا وَكُمْلًا سَوَادَ الدُّجَى حَتَّى تَفَرَّقَ وَأُنْجَلَا

مع اثنين من أصحابه متمثلا وليس على قرآنه متأكلا

فذاك الذي اختار المدينة منزلا بصحبته المجد الرفيع تأثلا

(١) المعجم الكبير للطبراني، باب العين: الضحاك، عن ابن عباس ص ١٢٥

الحديث الرابع

صفات المؤمن

متن الحديث

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)) رواه البخاري ومسلم.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ،
وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ،
وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ

رواه البخاري ومسلم.

راوي الحديث

أَبُو هُرَيْرَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَخْرَ الدَّؤُسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَلَدَ سَنَةَ ٢١ قَبْلَ الْهَجْرَةِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٩ هـ

هـ

وهو صحابي و محدث و فقيه و حافظ للسنه ، و يعد أكثر الصحابة روايةً وحفظاً للحديث النبوي الشريف . وعدد الأحاديث التي تروى عن أبي هريرة في كتب السنة ، نحو (٥٣٧٤) حديث

أسلم سنة ٧ هـ، ولأزم النبي صلى الله عليه وسلم طوال حياته ولم تركه أبدا .

تولى أبو هريرة ولاية البحرين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، و تولى إمارة المدينة في أكثر من مرة :
وكان يجاهد في سبيل ولا يخاف من الأعداء عاش في المدينة المنورة لكي يُعلّم الناس الحديث النبوي،
ويُفتيهم في أمور دينهم، حتى وفاته سنة ٥٩ هـ

معاني كلمات الحديث :

• يؤمن: أي الإيمان الكامل.

• ليصمت: يسكت.

المعني العام للحديث

أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ اللسان ، فالمسلم لا يؤذي أحداً بلسانه أبداً ولا يشتم ولا
يقول إلا الكلام الطيب الجميل الذي يرضي الله تعالى،

وكذلك أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نكرم الجيران ولا نؤذيهم بأي شيء ونحسن إليهم

وأمرنا أيضا بإكرام الضيوف والإحسان إليهم.

والسبب من هذه الأشياء ، لكي يكون المجتمع مجتمع مترابط مبني علي الاخوة في الله عز وجل والحب
في الله تعالى:



أهمية هذا الحديث

هذا الحديث مهم جدا لكل مسلم لأنه يدعو إلى الترابط المجتمعي ، والحفاظ علي الحب والأخوة في الله تعالى.

وهذا الحديث: من الآداب الإسلامية الجامعة

• قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله وهو أحد العلماء الكبار: هذا الحديث من القواعد العظيمة؛ لأن الرسول بين فيه أحكام اللسان الذي هو أكثر الجوارح فعلاً، فهو بهذا الاعتبار يصح أن يقال فيه: إنه ثلث الإسلام وقيل فيه: إنه نصف الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ سورة ق - الآية ١٨

فلا بد أن نعلم أن كل ما يفعله الإنسان يحاسب عليه يوم القيامة.

سبب ورود الحديث:

أن رجلاً ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أذاني جاري، فقال: ((اصبر))، ثم عاد إليه الثانية، فقال: أذاني جاري، فقال: ((اصبر))، ثم عاد إليه الثالثة فقال: أذاني جاري، فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة حفظ اللسان و ان يقول الانسان الكلام الجميل وإكرام الضيوف وعدم التعرض للإنسان بأي إيذاء)



حديث: حُسن الخلق

عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:

« مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ
مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ».

سنن أبي داود (4799)



الدروس المستفادة من الحديث:

١ - وجوب إكرام الجار؛ بكف الأذى، وبذل المعروف.

٢ - وجوب إكرام الضيف.

٣ - حث الإسلام علي حسن الجوار وكرم ولضيافة.

٤ - التحذير من آفات اللسان.

٥ - الحث على التخلق بمكارم الأخلاق.

٦ - هذه الخصال من شُعَب الإيمان.

ومن أسباب دخول الجنة :

ما قاله النبي -صلى الله عليه وسلم- : (يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس

نيام تدخلون الجنة بسلام) صححه الألباني.

وفي الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (إن في الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها، وظهورها من بطونها " فقال أعرابي: يا رسول الله لمن هي؟ قال: " لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وصلى لله بالليل والناس نيام) " رواه أحمد وحسنه الأرنؤوط.

حب الخير للناس



متن الحديث

عن أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه البخاري ومسلم

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، وكنيته أبو حمزة ، صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم وخادمه من أخوال النبي فبنو النجار ، وهم أخوال عبدالمطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم، خَدَمَ الرسولَ صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فيقول أنس: فما قال له النبي صلى الله عليه وسلم :- أفيّ قط، ولا قال لشيءٍ فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيءٍ تركته: لم تركته؟ ، وهذا يدل على أخلاق النبي العظيمة. واستمر في خدمته للرسول ﷺ إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم وهو عنه راضٍ، جاهد سيدنا أنس وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان غزوات، وأقام بالمدينة، وشهد الفتوحات

الإسلامية ، ثم انتقل إلى البصرة في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٢٨٦ حديثاً ، ومات بالبصرة سنة ثلاث وتسعين ، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة

معاني كلمات الحديث:

لا يؤمن: أي الإيمان الكامل. ما يحب لنفسه: أي مثل الذي يحب لنفسه: من الخير، والخير اسم جامع لكل أنواع الفضائل
أحدكم: أي الواحد منكم وهو المسلم ، ومعني لأخيه :: في الإسلام.



أهمية هذا الحديث:

هذا الحديث مهم جدا حيث أنه يرسخ معني الحب والأخوة والتراحم في المجتمع المسلم، وفيه نهى عن البغضاء والكراهية والشحناء والأشياء التي تفسد المجتمع المسلم.

قال أبو داود السجستاني -وهو أحد العلماء رحمهم الله -: إنه من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام

وهذا الحديث يتفق مع قول الله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

المعنى العام للحديث:

يوضح النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين فيقول ((لا يؤمن أحدكم)) أي لا يكتمل إيمانه

حتى يحب لأخيه : المسلم، ما يحب لنفسه أي من الخير، والخير معناه جميع الأشياء التي فيها نفع سواء في الدنيا والآخرة.

وهذا المعنى بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير

فالمسلم كامل الإيمان يحب أن يكون أخوه المسلم سعيد مطمئن معافي من الأمراض والأحزان.

ولا يتمنى له إلا الخير فأهل الإيمان مع بعضهم كالجسد الواحد القوي

وهذه الأشياء تجعل المسلم كامل الإيمان

قال صلى الله عليه وسلم : وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً

كما جاء في الحديث - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (مَنْ يَأْخُذْ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلْ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمَهُنَّ مَنْ يَعْمَلْ بِهِنَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي فَعَقَّدَ فِيهَا خَمْسًا وَقَالَ اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ وَأَحْسِنَ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ) رواه الطبراني

الدروس المستفادة من الحديث:

- ١ - فيه الحث على محبة الخير للمؤمنين.
- ٢ - تقوية الروابط بين المؤمنين.
- ٣ - إن من خصال الإيمان أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه.
- ٤ - الحديث يدل على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وفعل الخيرات، وينقص بالمعصية.



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،، وبعد :

أهمية علم الفقه:

لا بد أن نعلم جيداً أن التفقه في الدين من أفضل الأعمال وأجل الأفعال، وأطيب الخصال؛ فبالفقه تصح العبادة، ويستقيم السلوك، ويتقرب الإنسان إلى مولاه سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وفي حديث معاوية رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» [رواه الشيخان].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: «بابٌ من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً».

وقال سفيان ابن عيينة: «لم يعط أحدٌ بعد النبوة أفضل من العلم والفقه في الدين».

ولا شك أن الجيل المسلم الصغير يحتاج إلى رعاية واهتمام، وتربية وتوعية وتعليم؛ لذا قمت بهذا العمل المتواضع، سائلاً المولى - سبحانه وتعالى - أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وعن عُمرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». (رواه البخاري ومسلم).

الدرس الأول: أولاً الطهارة

كانت البداية دائماً بالطهارة في كتب الفقه؛ لأن الطهارة هي مفتاح الصلاة، وهي شرط من شروط صحة الصلاة، فلا تكون الصلاة صحيحة إلا بالطهارة.

وتتحقق الطهارة بشيئين اثنين: (أصل، وبديل):

الأصل هو الماء، والبديل هو التراب، ويستخدم في حالة عدم وجود الماء، أو عدم القدرة على استعمال الماء، ويعرف بالتيميم وسوف نتكلم عنه إن شاء الله.

فالحديث الآن عن الأصل وهو الماء، والماء هو: السائل الذي جعله الله عماد الحياة في الأرض، ويتركب من اتحاد الأكسجين والهيدروجين معاً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

أقسام الماء:

القسم الأول الماء المطلق، أي: الذي لم يختلط بشيء، وهو الماء الصافي تماماً.
حكمه: الطهارة المطلقة، أي: أنه طاهر في نفسه مطهرٌ لغيره بمعنى أنه تجوز الطهارة به، كما يجوز استخدامه عبادةً في الغسل والوضوء، وعادةً في المشرب والمأكّل، وفي كل شيء.

أنواع الماء المطلق:

١- ماء المطر والثلج والبرد: والثلج والبرد ينزلان من السماء على شكل كورٍ ثلجية، قال الله تعالى: ﴿وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال: ١١].



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كَبَّرَ في الصلاة سكت قليلاً قبل القراءة، وقال: اللهم باعدْ بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقّني من

خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني بالثلج والماء والبرد» [الحديث صحيح].

٢ - ماء البحر:

عن أبي هريرة قال: «سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء؛ فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته» [حديث صحيح].

٣ - ماء زمزم،

لما روي من حديث الإمام علي رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بسجل - وهو الدلو المملوء - من ماء زمزم فشرب منه، وتوضأ» [رواه أحمد].

٤ - الماء الموجود في المصارف،

أو الترع وغيرها، وخالطه شيء لا يذهب عنه في الغالب، كالطحلب، وورق الشجر، والتراب،، وهكذا.

القسم الثاني:

الماء المستعمل، أي: الذي سبق استخدامه، وانفصل، ونزل من أعضاء المتوضي أو المغتسل. وحكمه: أنه طهور أيضا كالماء المطلق، بشرط المحافظة على طهارته، وعدم تغير لونه، أو طعمه، أو رائحته.

والدليل: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأسه بما بقي من وضوء - أي ماء - في يديه» [رواه أحمد وأبو داود].

القسم الثالث:

الماء الذي خالطه شيء طاهر؛ كالصابون والزعفران، والدقيق،، وغيرها من الأشياء الطاهرة وحكمه: أنه طهور بشرط أن يكون هذا شيء قليلاً، وليس بكثير، ولم يخرج عن كونه ماء صافياً ونظيفاً، ففي حديث أم هانئ: «أن النبي صلى الله عليه وسلم اغتسل هو وزوجته ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها من إناء واحد، قصعة فيها أثر العجين» [صحيح: الألباني].

فإن خرج عن أصله بحيث صار لا يتناول اسم الماء المطلق كان طاهرًا في نفسه، غير مطهر لغيره؛ بمعنى أنه لا يجوز استخدامه في الطهارة، ولكن يجوز استخدامه في الطعام والشراب والحياة كغسيل، وغيره.

فمثلاً: لا يجوز الوضوء والاعتسال بماء العجين الكثير، أو ماء الفاكهة، أو الماء الذي لجّقه صابون كثير، أو معطرات وروائح، كماء الورد، والماء المعطر فلا يجوز استخدامه في الوضوء والغسل.

القسم الرابع: الماء الذي خالطه نجاسة:

وله حالتان: الحالة الأولى إن غيّرت النجاسة طعمه، أو لونه، أو ريحه وهو في هذه الحالة لا يجوز التطهر به.

والحالة الثانية أن يبقى الماء على طهارته، بأن لا يتغير أحد أوصافه الثلاثة.

وحكمه: أنه طاهر مطهر، بشرط أن يكون الماء كثير والنجاسة قليلة.

والماء يزيد عن القلتين، والقلتين تساوي (٢٧٠) لتر من الماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بلغ الماء قلتين لم ينجس شيء » [صحيح ابن ماجه].

التقويم:

س١. ما أقسام المياه التي يجوز التطهر بها ؟

س٢. هل يجوز الوضوء من ماء البحر ؟

س٣. ما الحكم لو سقط فأز في الماء القليل وغيّر أحد أوصافه ؟

س٤. ما الحكم لو سقطت ورقة شجر في الماء القليل ولم تغيّر أحد أوصافه ؟

الدرس الثاني: السُّور

السُّور هو: ما بقي في الإناء بعد الشرب سواء أكان الشارب إنساناً أو حيواناً. والسؤال هل يجوز استخدامه في الطهارة ؟

وهو أنواع:

(١) سُّور الأدمي: وهو طاهر سواء كان مسلماً، أو كافراً، أو جنباً، أو حائضاً. ففي حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: « كنتُ أشرب وأنا حائضٌ، فأناوله النبي صلى الله عليه وسلم، فيضع فاهُ على موضع فيّ » [رواه مسلم].

(٢) سُّور ما يؤكل لحمه، مثل: الغنم، والبقرة، والماعز، والخيول، والطيور، وكل ما يؤكل لحمه. وحكمه: الطهارة، فيجوز للإنسان أن يشرب منه، ويتطهر به، ويتوضأ.

(٣) سُّور البغل والحمار والسباع والحيوانات المفترسة وجوارح الطير: وهو طاهر أيضاً، لحديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «سئل: أنتوضأ بما أفضلت الحمير؟ قال نعم. وبما أفضلت السباع كلها» [رواه الشافعي في مسنده/ ضعيف]، وعبد الله بن عمر سئل عن الماء يكون بالفلاة من الأرض، وما ينوبه من الدواب والسباع.



(٤) سُّور الهرة: وهو طاهر أيضاً؛ لحديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم «إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات» [صحيح البخاري].

(٥) سُّور الكلب والخنزير: وهو نجس يجب اجتنابه؛ فأما سُّور الكلب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا شرب الكلب في إناء أحكم فليغسله سبعاً» [صحيح البخاري]. وأما سُّور الخنزير فليخبطه وقذارته.

ونفهم مما مضى أن كل أنواع السُّور طاهرة يجوز الطهارة بها والشرب منها عدا سُر الكلب والخنزير.



التقويم:

- س١- هل يجوز الوضوء من الماء الذي شربت منه الهرة ؟
- س٢- هل يجوز الوضوء من الماء الذي شرب منه كلبٌ ؟
- س٣- هل يجوز الوضوء من الماء الذي شرب منه الكافر ؟

الدرس الثالث: النجاسة وأنواعها:

النجاسة هي: القذارة التي يجب على المسلم أن يتنزه، ويتباعد عنها، ويغسل ما أصابه منها. قال الله تعالى: ﴿وَتِيَابُكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطَّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ» [صحيح مسلم].

أنواع النجاسات:

(١) الميتة: وهي التي تموت من غير ذبح، وتزكية، ويدخل معها ما قطع من الحي كمن قطع رجل دابة أو بهيمة: لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما قطع من البهيمة وهي حيّة فهو ميتة» [رواه أبو داود والترمذي وحسنه]، فلا يجوز أن نأكل شيئاً قطعناه من حيوان حيّ.

ويستثنى من الميتة:

أ - ميتة السمك والجراد، فإنها طاهرة، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُحِلَّ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ؛ أَمَّا الْمَيْتَتَانِ، فَالْسَمَكُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانُ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ» [رواه أحمد]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم في البحر: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته». [صحيح].

ب - مَيْتَةُ الْحَشَرَاتِ التي لا يوجد فيها دم سائلة؛ كالنمل والنحل والذباب، أو البرغوث والبعوض؛ لأن الدم فيها قليل معفو عنه، وإذا وقعت في شيء وماتت فيه لا تنجسه.

ح - عَظْمُ الْمَيْتَةِ، وَقَرْنُهَا، وَظُفْرُهَا، وَشَعْرُهَا، وَرِيشُهَا وَجِلْدُهَا، وكل ما هو من جنس ذلك طاهر؛ لأن الأصل في هذه كلها الطهارة، ولا دليل على النجاسة.

(٢) - الدم: أيضاً من النجاسات إذا كان مسفوحاً يُرَاق، بمعنى أن يكون مصبوحاً وكثيراً.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

أما إذا كان الدم قليل جداً فلا بأس به، فلقد «كان أبو هريرة رضي الله عنه لا يرى بأساً بالقطرة والقطرتين في الصلاة».

ودم الشهيد ليس بنجسٍ أيضاً، لأمره صلى الله عليه وسلم «بدفن الشهداء في دماهم» [أخرجه البخاري].

وأما ما ينزل من الدَّمَامل، وَحَبَّ الشَّبَابِ فَإِنَّهُ يَعْفَى عَنْهُ، فَلَقَدْ سَأَلَ أَبُو مَجْلَزٍ عَنْ الْقِيحِ يَصِيبُ الْبَدْنَ وَالثُّوبَ؟ فَقَالَ: لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ الدَّمَ وَلَمْ يَذْكُرِ الْقِيحَ.

(٣) - ومن النجاسة أيضا لحم الخنزير: قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

(٤، ٥، ٦) - في الأدمي وبوله ورجيعه: إلا أنه يعفى عن يسير القيء، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَالْقَيْءُ نَجَسٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَاءَ فَتَوَضَّأَ)، والسبب أن القيء نجس لأنه يخرج من المعدة بعد أن تغير فأصبح قريبا من الفضلات، فإن نجاسة هذه الأشياء متفق عليها.

أما في بول الصبي الذي لم يأكل الطعام فيكتفي في تطهيره برش الماء على موضع البول، لحديث أم قيس رضي الله عنها « أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم بابتها لم يبلغ أن يأكل الطعام، وأن ابنتها ذاك بال في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فنضحه -أي رشه- على ثوبه ولم يغسله غسلا » [متفق عليه].

وعن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بول الغلام الرضيع ينضح وبول الجارية يغسل»، قال قتادة: وهذا ما لم يطعم فإذا طعم غسلا جميعا. [رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن].

والسبب كثرة حمل الولد والخروج به، وكثرة مصاحبته -في الغالب- ولضيق محل بول الغلام، ولسعته من البنت فيندلق البول، فيشق على الناس غسل بول الغلام، وبول الولد أيضا يخرج بقوة وشدة دفع، فينتشر على الملابس فيشق غسل ما نزل عليه بخلاف بول البنت فبول البيت ينزل في مكان محدد، ويكون بولها أشد رائحة، من بول الولد والسبب حرارة الجسم عند البنت أكثر.

عن عائشة قالت: « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصبي يحنكه فبال عليه فأتبعه الماء » [رواه البخاري]، أما إذا كان الطفل يأكل الطعام فبوله نجس سواء.

ولقد قال العلماء " الخارج من الإنسان إما أن يكون طاهر أو نجس؛ فالطاهر، مثل: الدمع، والعرق، والريق، والمخاط، والبصاق. والنجس، مثل: البول والغائط، والودي والمذي، والدم وما في معناه، والقيء".

بول وروث ما لا يؤكل لحمه: وهما نجسان، ففي الحديث «أن النبي صلى الله عليه وسلم ألقى الروث، وقال: «هذا رِجْسٌ» [رواه البخاري]، ويعفى عن اليسير منه، لمشقة الاحتراز عنه.

وأما بول وروث ما يؤكل لحمه، فقد ذهب إلى القول بطهارته مالك وأحمد وجماعة من الشافعية.

ومن النجاسات أيضًا الخمر ولعاب الكلب: يجب غسل ما شرب فيه من إناء سبع مرات، وألاهن بالتراب، لحديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «طَهُورُ إِنَاءٍ أَحَدُكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَوْ لَاهُنَ بِالتَّرَابِ» [رواه مسلم].

ولو ولغ في إناء فيه طعام جامد أَلْقِيَ ما أصابه، وما حوله، وانتفع بالباقي، كما لو سقط فأرّ في الشيء فإن كان صلبًا طرح ما حوله، وإن كان سائلًا تنجس كله، ويترك استقذارًا، وعَفَثَهُ النفس.

ففي حديث ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين **رضي الله عنها**: قالت أن فأرة وقعت في سمنٍ فماتت، فسُئِلَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عنها؟ فقال: «ألقوها وما حولها وكلوها» [رواه أحمد، والنسائي]، أما شعر الكلب فإنه طاهر، ولم تثبت نجاسته.

التقويم

- س١. ما أنواع النجاسات ؟
- س٢. ما حكم الدمع، والعرق، والريق، والمخاط، والبصاق ؟
- س٣. ما حكم لو ولغ الكلب في إناء أحدنا ؟
- س٤. ما حكم بول الطفل الذي يأكل الطعام ؟
- س٥. ما حكم قيء الأدمي وبوله ورجيعه ؟
- س٦. ما حكم عَظْمُ الْمُيْتَةِ وقرنها وظفرها وشعرها وريشها وجلدها ؟

الدرس الرابع: الجلالة:

وهي الحيوانات والطيور التي تأكل من القاذورات، وتترك في الشوارع بدون رعاية ونظافة.



ورد النهي أيضًا عن ركوب الجلالة وأكل لحمها وشرب لبنها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرب لبن الجلالة» [رواه الخمسة إلا ابن ماجه] ، فإن حبست بعيدة عن القاذورات وقتًا، حتى تصبح طاهرة جَوَّزَ أكلها، وشرب لبنها.

وقيل المدة التي تحبس حتى تطهر أربعين يومًا إن كانت من الإبل، أو عشرين يومًا إن كانت من البقر، أو عشرة إن كانت من الغنم، وثلاثة أيام إن كانت من الطيور.

التقويم

س ١ ما حكم أكل لحم الجلالة ؟

س ٢ ما حكم ركوب الجلالة ؟

س ٣ ما المدة الكافية في طهارة الجلالة للبقر والغنم والطيور ؟

الدرس الخامس المطهرات:

تَطْهِيرُ الْبَدَنِ وَالثَّوْبِ: إِذَا أَصَابَتِ الثَّوْبَ وَالْبَدَنَ نَجَاسَةٌ يَجِبُ غَسْلُهُمَا بِالْمَاءِ حَتَّى تَزُولَ عَنْهُمَا النِّجَاسَةُ، فَإِنْ كَانَتِ النِّجَاسَةُ مَرْتَبَةً كَالْدَمِ، فَإِنْ بَقِيَ بَعْدَ الْغَسْلِ أَثَرٌ يَصْعُبُ زَوَالُهُ فَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، وَأَمَّا إِنْ لَمْ تَكُنْ مَرْتَبَةً: كَالْبَوْلِ فَإِنَّهُ يُكْتَفَى بِغَسْلِهِ، وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً.



وَإِذَا أَصَابَتِ النِّجَاسَةُ طَرَفَ ثَوْبِ الْمَرْأَةِ تَطْهَرُ الْأَرْضُ النَّظِيفَةُ الَّتِي تَمْشِي فِيهَا، لِمَا رَوَى أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لَأُمِّ سَلَمَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: إِنِّي أُطِيلُ ذَيْلِي وَأَمْشِي فِي الْمَكَانِ الْقَذَرِ فَقَالَتْ لَهَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يُطَهَّرُهُ مَا بَعْدَهُ» [رواه أحمد وأبو داود].

تَطْهِيرُ الْأَرْضِ: إِذَا أَصَابَتِ الْأَرْضَ نَجَاسَةٌ تَطْهَرُ بِصَبِّ الْمَاءِ عَلَيْهَا؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَامَ أَعْرَابِي فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ، - أَيْ يَضْرِبُوهُ - فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنْوَبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مَيْسَرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مَعْسَرِينَ» [رواه الجماعة]، كَمَا تَطْهَرُ - أَيْضًا - بِالْجَفَافِ وَالْيَبَسِ قَالَتْ عَائِشَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: «زَكَاةُ الْأَرْضِ يَبَسُهَا» [رواه ابن أبي شيبَةَ].



هَذَا إِذَا كَانَتِ النِّجَاسَةُ سَائِلَةً، فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ جَامِدَةً فَلَا تَطْهَرُ إِلَّا بِإِزَالَةِ النِّجَاسَةِ عَنْهَا، كَالْفَضَلَاتِ فَلَا بَدَّ مِنْ إِزَالَتِهَا تَطْهِيرُ السَّمَنِ وَنَحْوِهِ: لَهَا حَالَتَانِ الْحَالَةُ الْأُولَى إِنْ كَانَتْ جَامِدَةً وَوَقَعَتْ فِيهَا نَجَاسَةٌ يَلْقَى بِالنِّجَاسَةِ، وَمَا حَوْلَهَا، وَيَجُوزُ اسْتِخْدَامُ الْبَاقِي فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** - أَنْ

النبي -صلى الله عليه وسلم- سئل عن فأرة سقطت في سمن فقال: «أَلْقُوهَا، وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ وَكُلُوا سَمْنَكُمْ» [رواه البخاري]، أما إذا كانت سائلة، أصبحت نجسة كلها فلا يجوز استخدامها.

تَطْهِيرُ جِلْدِ الْمَيْتَةِ: يطهر جلد الميتة جميعه بالِدَبَاغِ، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دُبِغَ الْإِهَابُ فَقَدْ طَهِّرَ» [رواه الشيخان]



تَطْهِيرُ الْأَشْيَاءِ الصَّلْبَةِ: تطهير المرأة والسكين والسيف والظفر والعظم والزجاج والأنية بالمسح الذي يزول به أثر النجاسة، فقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- يصلون وهم يحملون سيوفهم، وقد أصابها الدم، فكانوا يمسحونها.

تَطْهِيرُ النَّعْلِ: يطهر النعل المتنجس والخُفُّ بالدَّلَكِ بالأرض، لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا وَطِئَ أَحَدُكُمْ بِنَعْلِهِ الْأَذَى فَإِنَّ التُّرَابَ لَهُ طَهْرٌ» [رواه أبو داود].

طين الشوارع طاهر: فقد كان سيدنا علي -رضي الله عنه- يخوض في طين المطر، ثم يدخل المسجد فيصلي ولم يغسل رجليه.

إذا انتهى الرجل من صلاته، ثم رأى على ثوبه، أو بدنه نجاسة لم يكن عالمًا بها، أو كان يعلمها، ولكنه نسيها، أو لم ينسها ولكنه عَجَزَ عن إزالتها فصلاته صحيحة، ولا إعادة عليه، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب ٢٢] ومن خفي عليه موضع النجاسة من الثوب يجب عليه غسله كله.

التقويم:

س١. كيف نظهر الأرض التي أصابها نجاسة، والسكين التي استخدمت في الذبح؟

س٢. ما الحكم لو وقعت نجاسة في السمن أو الزيت السائل؟

الدرس السادس:

آداب قضاء الحاجة، ودخول الخلاء والحمامات

١- ألا يكون معه شيء فيه اسمُ الله عز وجل، إلا أن يخاف عليه الضياع، وذلك لحديث أنس رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس خَاتَمًا نقشه: "محمد رسول الله" فكان إذا دخل الخلاء وضعه» [رواه الأربعة أصحاب السنن].

٢- البعد والاستتار عن الناس؛ فلا يجوز للإنسان التبول والتبرؤ أمام الناس؛ تعففًا عن كشف العورات، وسترًا للسوءات، ولئلا يسمع له صوت، أو تشم له رائحة كريهة، ويتأذى منه الناس، وذلك لحديث جابر رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكان لا يأتي البراز أي مكان قضاء الحاجة حتى يغيب فلا يرى» [رواه ابن ماجه].

٣- الجهر بالتسمية والاستعاذة عند الدخول، وذلك لحديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يدخل الخلاء قال: «بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث» [رواه الجماعة].

و(الخُبث) جمع خبيث، وهم ذكور الجن، و(الخبائث) جمع خبيثة وهن إناث الجن.

٤- أن يمتنع عن الكلام مطلقًا، سواء كان بذكر الله تعالى، أو غيره، إلا لضرورة، فإن عطس وهو في الخلاء حمد الله في نفسه، ولا يحرك به لسانه، وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما «أن رجلاً مرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه» [رواه الجماعة إلا البخاري].

٥- أن يعظم القبلة فلا يستقبلها ولا يستدبرها، في الفضاء، أما إذا كان داخل البنيان فيجوز الأولى تركه، بأن ينحرف يمناً أو يسرة، وذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جلس أحدكم لحاجته فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها» [رواه أحمد ومسلم].

٦- أن يتقي الجحور ومعناه: الفتحات الموجودة في الأرض، وذلك لحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبَالَ في الجُحْرِ» [رواه أبو داود والنسائي]، وسبب ذلك أنها مساكن الجن، قال ابن قدامة: "فَيُكْرَهُ أَنْ يُبُولَ فِي شَقٍّ أَوْ ثَقْبٍ".

٧- أن يتجنب أماكن ظل الناس وطريقهم، وذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ»، قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلى -أي يتبول- في طريق الناس، أو في ظلهم» [رواه أحمد ومسلم].

٨ - ألا يبول في الماء سواء كان ماءً راكدًا أو ماءً جارياً، ففي حديث جابر رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يبال في الماء الراكد» [رواه أحمد والنسائي وابن ماجه]، وعنه رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يبال في الماء الجاري» [رواه الطبراني].

٩ - ألا يبول قائماً، ففي حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «من حدثكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بال قائماً فلا تصدِّقوه، ما كان يبُولُ إِلَّا جَالِسًا» [رواه الخمسة إلا أبو داود]، ويجوز البول قائماً لضرورة، قال النووي: "البول جالساً أحب إليّ، وقائماً مباح، وكل ذلك ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".

١٠ - ألا يستنحي بيمينه تنزيهاً لها عن لمس الأقدار، فلقد كان رسول الله ﷺ يستخدم يده اليمنى فيما هو طيبٌ، ويستخدم يده اليسرى فيما دون ذلك .

١١ - أن يقدم رجله اليسرى في الدخول، وفي الخروج يقدِّم رجله اليمنى ثم ليقل: «غُفْرَانُكَ»، فعن عائشة رضي الله عنها «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من الخلاء قال: «غُفْرَانُكَ» [رواه الخمسة إلا النسائي]، وعن النبي -أيضاً-: «أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى وَعَافَانِي» [رواه ابن ماجه وأخرجه].

التقويم:

س ١ ما هي آداب قضاء الحاجة؟

س ٢ هل يجوز للإنسان أن يتبول في وسط الطريق أو أماكن الظل؟

س ٣ هل يجوز التبول أمام الناس؟

الدرس السابع سنن الفطرة:



وهي السنن التي فَطَّرَ الله تعالى عليها الناس، وهي من سنن الأنبياء، والمرسلين الذين أَمَرَنَا الله تعالى بالاعتداء بهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [سورة النحل: ١٢٣]. وقال تعالى: ﴿فِيهِدَاهُمْ أَفْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقد جاء في السنة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقص الشارب» [رواه مسلم]، وعن عائشة أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ:

قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البرجاء، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء -يعني الاستنجاء-»، قال: راوي الحديث «ونسيت العاشرة.. إلا أن تكون المضمضة» [رواه الإمام أحمد وغيره].

١- الختان: يُعرَف الآن بالطهارة، وهو: (إزالة قطعة الجلد الزائدة)، ومن أسبابه لثلاث تجتمع الأوساخ، وليمكن من الاستبراء من البول وعدم نزول البول على الجسد، وهو سنة قديمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اختن إبراهيم خليل الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة، واختن بالقدوم» والقدوم موضع بالشام [رواه البخاري].

ويرى فقهاء الشافعية استحبابه يوم السابع، ولم يثبت في تحديد وقت الختان شيء، والأمر في ذلك واسع، ويجب الختان قبل البلوغ، ويستحب أن يكون في اليوم السابع إلا أن يكون عند الطفل مانع طبي، فيجب استشارة الطبيب، وعن جابر قال: «عق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن والحسين -أي ذبح عقيقة-، وختنهما لسبعة أيام» [وروى البيهقي (٣٢٤/٨) سننه ضعيف].

والختان واجب للرجال مكرمة للنساء، ومن العلماء من قال: واجب للرجال والنساء جميعًا، وبالنسبة للنساء الأمر يعود فيه إلى الطبيب الثقة وهو من يقرر بعد الفحص والكشف إذا كانت البنت تحتاج إليه أم لا.

٢- الاستحداد، وهو: (حلق العانة أي الشعر الموجود حول أماكن العورة).

٣- نتف شعر الإبط، ويمكن فيه الحلق والقص، ونتف أفضل.

٤- تقليم الأظافر أي: قصها.

٥. قص الشارب أو حلقه والمقصود أن لا يطول الشاربُ كي لا يتعلق به الطعام، والشارب، كما لا تجتمع فيه الأوساخ، وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا» [رواه أحمد والنسائي، والترمذي وصححه]، ويستحب فعل هذا كل أسبوع، استكمالاً للنظافة وراحة للنفس، فإن بقاء بعض الشعر في الجسم يجعل الإنسان في ضيق وكآبة، ويجوز ترك هذه الأشياء إلى أربعين يومًا، ولا يزيد عن الأربعين.

٦ - إعفاء اللحية وتركها حتى تظهر بحيث تكون مظهرًا من مظاهر الوقار، فلا تقصر تقصيرًا يكون قريبًا من الحلق، ولا تترك حتى تكون سيئة المنظر، بل يحسنُ التوسطُ فإنه في كل شيء حسن، ثم إنها من تمام الرجولة، وكمال الفحولية، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم



عليه وسلم: «خَالِفُوا الْمَشْرِكِينَ: وَقَرُّوا اللَّحَى - أي كبروا-، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ أي قصوا» [متفق عليه]، وزاد البخاري «وكان ابن عمر إذا حجَّ أو اعتمرَ قبض على لحيته فما فضل أخذه»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر» [رواه الجماعة].

٧ - إكرام الشعر بأن يضع محسنات من زيوتٍ وغيره، ويسرَّحه، ويهدِّبه، وذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كان له شعرٌ فليُكْرِمْهُ» [رواه أبو داود].



مسألة هامة: حَلَقُ بعضِ الرأسِ، وتركُ بعضه يُكره، وهو ما يفعله كثير من الشباب الآن، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَحْلِقُوا كُلَّهُ أَوْ ذَرُّوا كُلَّهُ» [رواه أحمد ومسلم]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القزع، ف قيل لنافع: ما القزع؟ قال: أن يحلق بعض رأس النبي ويترك بعضه».

٨ - ترك الشيب وإبقاؤه سواء كان في اللحية أو في الرأس، والمرأة والرجل في ذلك سواء، وذلك لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تنتف الشيب فإنه نور المسلم، ما من مسلم يشيب شيباً في الإسلام، إلا كتَبَ الله له بها حسنة، ورفعَهُ بها درجة، وحقَّ عنه بها خطيئة» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه]، وعن أنس رضي الله عنه قال: «كنا نكره أن ينتف الرجلُ الشَّعْرَةَ البيضاءَ مِنْ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ» [رواه مسلم].

ويجوز تغييرُ الشيبِ بالحناء والصبغةِ بغيرِ الأسود، ونحوها، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحسن ما غيِّرْتُم به هذا الشيبَ الحناء والكثم» [رواه الخمسة]، ولقد أمر رسول الله بعدم الصبغِ بالسود فقال في شأن والد سيدنا أبي بكر «جَبَّيْهُ السَّوَادَ» [رواه الجماعة إلا البخاري]، إلا أن يكون في الجهادِ في سبيلِ الله، فيجوز له الصبغُ بالسودِ من باب إظهار القوة وإخافة العدو.

١٠ - التطيب بالمسك وغيره من الطيب الذي يسر النفس، ويشرح الصدر، ويبعث في البدن نشاطاً وقوة، وذلك لحديث أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حُبِّبَ إِلَيَّ من الدنيا النساء، والطيبُ وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» [رواه أحمد والنسائي]، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ عَرِضَ عَلَيْهِ طِيبٌ فَلَا يَرِدْهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمَلِ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ» [رواه مسلم].

س٢ هل يجوز تغيير الشيب بالسواد؟

س١ أذكر سنن الفطرة كاملة؟

س٣ أذكر حديث

في فضل الطيب؟

الدرس الثامن الوضوء:



الوضوء شرط الدخول إلى الصلاة: لقد جاء الأمر بالوضوء في القرآن والسنة والإجماع: وجوب الوضوء من القرآن، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾

[سورة المائدة: ٦]،

ومن السنة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» [رواه الشيخان وأبو داود والترمذي]، وأما الإجماع فلقد انعقد إجماع المسلمين على مشروعية الوضوء من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، حتى صار من المعلوم من الدين بالضرورة، فمن أنكر الوضوء يعد خارج من الإسلام.



فضل الوضوء: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» [رواه مسلم]، ومعنى (الرباط): من المراقبة، وهو الجهاد في سبيل الله، أي: المواظبة على الطهارة والعبادة تساوي الجهاد في سبيل الله.



فرائض وسنن الوضوء:

لابد أن نعلم أن للوضوء فرائض، وسنن، ومعنى (فرائض) أي: مفروضة من الله تعالى، فمن تركها بطل وضوؤه؛ لوجوب القيام بها، ومعنى (السنن) أي من فعل النبي صلى الله عليه، فلا بد أن نحافظ عليها، وهي أقل من الفرض.



.فرائض الوضوء:

فرائض الوضوء :

- 1 - النية
- 2 - غسل الوجه
- 3 - غسل اليدين إلى المرفقين
- 4 - مسح الرأس
- 5 - غسل الرجلين إلى الكعبين
- 6 - الدلك
- 7 - الفور

(الفرض الأول): النية، وهي قصدُ ابتغاءِ رضا الله تعالى وامتنالِ حكمِهِ، والنية هي عمل قلبي محض؛ فلا دخل للسان فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...» الحديث [رواه الجماعة]، فلو غسل المسلم يديه ووجهه ورجليه ومسح علي رأسه، وهكذا بدون أن ينوي الوضوء من أجل ابتغاء رضا الله تعالى، وامتنالاً لحكمه،



فلا يُعد وضوءاً، وإنما يعد من باب النظافة بمسّ الماء، فلا يجوز له أن يصلي به.

(الفرض الثاني): غسل الوجه، وتحديد الوجه من منبت الشعر أعلى الجبهة، إلى أسفل الذقن طوفاً، ثم من شحمة الأذن إلى شحمة الأذن الأخرى عرضاً.

(الفرض الثالث): غسل اليدين إلى المرفقين والمرفق: العظم البارز من مفصل الذراع، وهو عرفا (الكوع)، وهو داخل في الغسل.



(الفرض الرابع): مسح الرأس، والمسح معناه: مرور اليد على الرأس حتى يحدث البلل، ولا يجوز غسل الرأس، بل الواجب المسح فقط، دون الغسل.

قال رسول الله ﷺ:



«وَيْلٌ

لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ

أَسْبَغُوا الْوُضُوءَ»

» صحيح مسلم « (241)

www.sadaqah.net

(الفرض الخامس): غسل الرجلين مع الكعبين، وهذا هو الثابت من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «نادى رسول الله بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثا. [متفق عليه]، والأعقاب هي مكان العرقوبين والكعبين.

(الفرض السادس): الترتيب؛ لأن الله تعالى قد ذكر في الآية فرائض الوضوء مرتبةً.



٢- سنن الوضوء:



السنة ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، من غير لزومٍ وحتمٍ .

(١) التسمية في أوله: وكما جاء في الحديث «كل أمرٍ لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أبتَر» [رواه الإمام أحمد]، ومعنى (أبتَر)، أي: مقطوع البركة .

(٢) السواك: ويطلق على العود الذي يستاك به وهو ذلك الأسنان بالعود أو بأي شيء تنظف به الأسنان؛ كالفرشاة والمنديل، وخير ما يستاك به عود الأراك الذي يؤتى به من الحجاز في الغالب.



وللسواك فوائد كثيرة: فالسواك من أكثر السنن التي حافظ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ويشد اللثة، ويحیی من أمراض الأسنان والتسوس، وينظف الفم، ويساعد على الهضم، ويُدرّ البول، وغير ذلك من الفوائد، والسنة تتحقق بكل ما يزيل صفرة الأسنان وينظف الفم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُم بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ» [رواه مالك والشافعي والبيهقي والحاكم]،

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب» [رواه أحمد والنسائي والترمذي]، وهو مستحب في جميع الأوقات، ولكن في خمسة أوقات أشد استحبابا هي: (١) عند الوضوء. (٢) وعند الصلاة. (٣) وعند قراءة القرآن. (٤) وعند الاستيقاظ من النوم. (٥) وعند تغير الفم وقت الصيام.



(٣) **غسل الكفين** ثلاثاً في أول الوضوء: من السنن غسل اليدين؛ فيسن أيضاً إذا استيقظ من النوم قبل أن يضعهما في الإناء. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في إناء حتى يغسلها ثلاثاً، فإنه لا يدري أين باتت يده» [رواه الجماعة].

سنن الوضوء



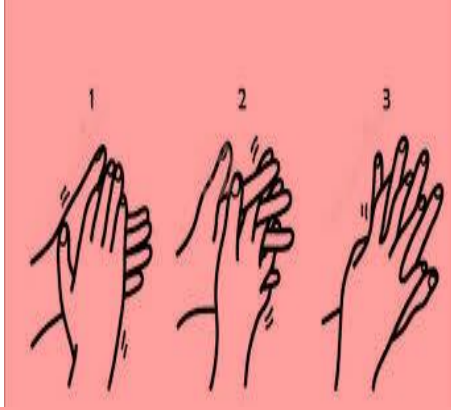
(٤) **المضمضة ثلاثاً**: لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إذا توضأت فمضمضة» [رواه أبو داود والبيهقي].

(٥) **الاستنشاق والاستنثار ثلاثاً**: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماءً ثم ليستنثر» [رواه الشيخان وأبو داود]. والسنة أن يكون الاستنشاق باليمنى، والاستنثار باليسرى، ومعنى (الاستنشاق): إدخال الماء في الأنف و(الاستنثار) إخراجة منه بقوة الهواء.



(٦) **تخليل اللحية**: لحديث عثمان رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته» [رواه ابن ماجه والترمذي وصححه]، ومعنى التخليل تمرير الأصابع في داخل شعر اللحية.

(٧) **تخليل الأصابع**: لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك» [رواه أحمد والترمذي].



سنن الوضوء:

1. التسمية.
2. غسل الكفين إلى الكوعين.
3. المضمضة.
4. الاستنشاق.
5. مسح جميع الرأس.
6. مسح الأذنين.
7. تقديم اليمنى على اليسرى.
8. الطهارة ثلاثاً.

(٨) تثليث الغسل: ومعناه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً أي:

ثلاثة مرات، فعن عثمان رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثاً ثلاثاً» [رواه أحمد ومسلم] ، أما مسح الرأس يكون مرة واحدة، وكذلك الأذنين مرة واحدة.

(٩) التيمُّن: وهو البدء بغسل اليمين قبل غسل

اليسار، وذلك من اليمين والرجلين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمُّن في تنعله وترجله وطهوره، وفي شأنه كله» [متفق عليه]، والتنعل هو: لبس النعل وهو الحذاء. والترجل أي تسريح شعره، وطهوره أي: وضوئه وغسله، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا لبستم وإذا توضأتم فابدءوا بأيمانكم» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي] .

(١٠) الدَّلْك: وهو إمرار اليد على العضو مع الماء أو بعده، فعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه «أن

النبي صلى الله عليه وسلم أتى بثلاثٍ مِ فتوضأ فجعل يدلك ذراعَيْه» [رواه ابن خزيمة]، وعنه رضي الله عنه، «أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فجعل يقول هكذا: يدلك» [رواه أبو داود وأحمد] .

(١١) الموالاة: وهي: (تتابع غسل الأعضاء بعضها بعد بعض) فهي متتابعة أفعال الوضوء بلا فاصل

من وقت طويل بين غسل عضو وآخر، فلا يقطع المتوضئ وضوؤه بأي عملٍ من الأعمال الأخرى.

(١٢) مسح الأذنين: والسنة مسح باطنهما بالسبَّابَتين، وظاهرهما بالإِصْبَاحَتين، فعن المقدام بن معد

يكرب رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح في وضوئه رأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما، وأدخل أصبعه في صِمَاخِي أُذُنَيْهِ» [رواه أبو داود]، وصماخ الأذن أي: فتحتها.

سنن الوضوء



في حال اليسر

يمكنك أن تستعد للصلاة بكل
من أركان وسنن الوضوء

تؤدي كل من السنن والأركان ثلاث مرات
ما عدا مسح الرأس فيكون مرة واحدة

المضمضة



غسل الكفين



مسح الأذنين



الاستنشاق والاستنثار



(١٣) **إطالة الغرة والتحجيل:** ومعنى إطالة الغرة: الزيادة على غسل الوجه ويصل إلى أول الرأس حتى يتأكد من تحقيق غسل الوجه. ومعنى التحجيل: غسل الزائد على الواجب من اليدين والرجلين من جميع الجوانب، وذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أمتي يأتون يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلِينَ من آثار الوضوء»، فقال أبو هريرة: فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» [رواه أحمد والشيخان]، والتحجيل: نور يعلو الوجوه والأيدي والأرجل يوم القيامة وهي أماكن الوضوء .

(١٤) **الاقتصاد في الماء** وإن كان الوضوء من البحر: لحديث أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد» [متفق عليه]، و(الصاع): أربعة أمداد، و(المد) قدر ملء يدَي رجلٍ متوسط البنية، وأما مقدار (المد) فيساوي (٠,٦٨٨) لترًا، أكثر من نصف لتر، وأما مقدار الصاع فأربعة أمدادٍ، فعلى هذا يكون الصاع الذي هو المقدار الكافي لغسل الجنبات (٢,٧٥٢) لترًا .



(١٥) الدعاء أثناء الوضوء: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ فسمعتة يقول يدعو: «اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي»، فقلت: يا بني الله سمعتك تدعو بكذا وكذا قال: «وهل تركن من شيء؟» [رواه النسائي وابن السني بإسناد صحيح].

(١٦) الدعاء بعد الوضوء: لحديث عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» [رواه مسلم]

(١٧) صلاة ركعتين بعده: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال: «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعتُ دفَّ نعليك بين يدي في الجنة» قال: ما عملت عملا أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورا في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي» [متفق عليه]، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين يقبل بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة» [رواه مسلم].

باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

**أنتم الغر المحجلون يوم القيامة
من إسباغ الوضوء**

فمن استطاع منكم فليطل غرته وتجييله

(رواه مسلم/246)

ذكر تفتح لك به

أبواب الجنة الثمانية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما منكم من أحد يتوضأ فينبغ، أو فيسبغ، الوضوء

ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله

وأن محمداً عبد الله ورسوله؛

ألا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء

رواه مسلم

نواقض الوضوء:



للوضوء نواقض تبطله، ولا تصح الصلاة إلا بعد أن يتوضأ مرة أخرى، منها ما يلي:

١ - كل ما خرج من السبيلين: (القبل والدبر)، وهما موضع العورة، ويشمل ذلك ما يأتي: (١) البول. (٢) البراز، لقول الله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ [المائدة: ٦]، وهو كناية عن قضاء الحاجة من بول وغائط.

(٣) خروج الريح: لحديث أبي هريرة رضي

الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» فقال رجل من حضرموت: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: «فساء أو ضراط» [متفق عليه].

(٤، ٥، ٦) المني والمذي والودي، لقول رسول الله في المذي: «فيه الوضوء» ولقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أما المني فهو الذي منه الغسل»، وأما المذي والودي فقال: «أغسل ذكرك أو مذاكيرك، وتوضأ وضوءك للصلاة» [رواه البيهقي في السنن]، والمذي: وهو ماء أبيض رقيق لزج، يخرج عند الملاعبة أو تذكر الجماع، لا بشهوة ولا تدفق، والودي: وهو ماء أبيض ثخين يخرج بعد البول، ومن أصابه فإنه يغسل ذكره ويتوضأ، ولا يغتسل.

٢ - النوم المستغرق، أما النوم الخفيف جداً، لا ينقض الوضوء؛ كمن نام جالساً أو واقفاً.

٣ - زوال العقل، سواء كان الجنون أو بالإغماء أو بالسكر أو بالدواء، وسواء قلَّ أو كثر، والسبب أن يحتمل أن يكون خرج منه ما ينقض الوضوء.

٤ - مسّ الفرج (موضع العورة) بدون حائل، لحديث بُسْرَةَ بنت صفوان



عنوان الدرس:

رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلَا يُصَلِّي حَتَّى يَتَوَضَّأَ» [رواه الخمسة].

ويرى فقهاء الأحناف أن مسَّ الذكر لا ينقض الوضوء لحديث سيدنا طلق: «أن رجلاً سأل النبي عن رجلٍ مَسَّ ذَكَرَهُ، هل عليه الوضوء؟ فقال: «لَا، إِنَّمَا هُوَ بَضْعَةٌ مِنْكَ» [رواه الخمسة، وصححه ابن حبان].

ما لا ينقض الوضوء:

توجد أشياء لو فعلها المتوضئ لا تنقض الوضوء هي كما يلي:

(١) لمس المرأة بدون حائل: فعن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبَّلَهَا، وهو صائم، وقال: «إِنَّ الْقُبْلَةَ لَا تُنْقِضُ الْوُضُوءَ وَلَا تُفْطِرُ الصَّائِمَ» [أخرجه البزار بسند جيد].

(٢) خروج الدم من غير الحيض والنفساء سواء كان جرحاً أو حجامه، أو رُعافاً، وسواء كان قليلاً أو كثيراً، قال الحسن رضي الله عنه: «مَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ يُصَلُّونَ فِي جُرَاحِهِمْ» [رواه البخاري]، وقد «أَصِيبَ عَبَادُ بْنُ بَشْرٍ بِسَهَامٍ وَهُوَ يَصَلِّي، فَاسْتَمَرَ فِي صَلَاتِهِ» [رواه أبو داود].



(٣) القيء: سواء أكان كان كثيراً، أو قليلاً: لأنه لم يأت فيه دليلٌ يُحتجّ به .

(٤) شك المتوضئ في الحدث: إذا شك المتطهر، هل أحدث أم لا؟ لا يضره الشك، ولا ينتقض وضوؤه سواء كان في الصلاة أو خارجها، حتى يتيقن أنه أحدث، وخرج منه شيء .

متي يستحب الوضوء:

يستحب الوضوء في الأحوال الآتية:

(١) عند ذكر الله عز وجل: تعظيماً لله تعالى.



(٢) عند النوم: لما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه

قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنك بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به» قال فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغت: «اللهم آمنك بكتابك الذي أنزلت: ورسولك، قال: لا... ونبيك الذي أرسلت» [رواه أحمد والبخاري].



(٣) يستحب الوضوء للجنب: إذا أراد أن يأكل أو

يشرب لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان جنباً فأراد أن يأكل أو ينام توضأ» [سنن النسائي].



(٤) تجديد الوضوء لكل صلاة: لحديث

بريدة رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة» [صحيح الجامع].

فوائد يحتاج المتوضئ إليها :

- ١ - الكلام الطيب أثناء الوضوء مباح، ولم يَرُدْ في السنة ما يدل على منعه.
- ٢ - لو شك المتوضئ في عدد الغسلات يبني على اليقين، وهو الأقل، فلو شك في اثنين، أو ثلاثة يبني على أنه غسل اثنان فقط.

- ٣ - وجود الحائل مثل: الشمع ومواد التجميل والحواجب الصناعية، إذا كانت مانعاً من وصول الماء إلى الموضع يجب إزالته، فإن لم يكن يمنع وصول الماء مثل: الحناء جاز.

- ٤ - من عندهم نزيف دم، ومن به سلس بول، أو انفلات ریح، أو غير ذلك من الأعذار يتوضؤون لكل صلاة .



- ٥ - يجوز أن يطلب المسلم المساعدة من الغير في الوضوء .



الدرس التاسع (المسح على الخفين)



دليل مشروعية المسح على الخفين: ثبت المسح على الخفين بالسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقاس عليه المسح على الجوربين؛ فيجوز المسح عليهما إذا كانا تَخِينَيْنِ، فلا يشقان عما تحتهما.

شروط المسح على الخف:

١. أن يلبس الخف أو الجورب على وضوء: لقول النبي صلى الله عليه وسلم «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين، فمسح عليهما» [رواه البخاري].

٢. مكان المسح: المشروع في المسح ظهر (فوق القدم) في الخف أو الجورب، وذلك لحديث المغيرة رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر الخفين» [رواه أحمد وأبو داود]، وعن علي رضي الله عنه قال: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه» [رواه أبو داود].



٣. توقيت المسح: مدة المسح على الخفين للمقيم في بلده يوم وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها، ودليل حديث صفوان بن عسّال رضي الله عنه: «أمرنا -يعني النبي صلى الله عليه وسلم- أن نمسح على الخفين إذا نحن أدخلناهما على طهرٍ ثلاثاً إذا سافرنا، ويوماً وليلة إذا أقمنا، ولا نخلعُهما إلا من جنابة» [رواه الشافعي وأحمد].



٤. صفة المسح: والمتوضئ بعد أن يتم وضوؤه، ويلبس الخف، أو الجورب يصح له المسح عليه كلما أراد الوضوء، بدلا من غسل رجليه، كما يرخص له في ذلك يوماً وليلة، إذا كان مقيماً، وثلاثة أيام ولياليها إن كان مسافراً.

ما يبطل المسح: يبطل المسح على الخفين: (١) انتهاء المدة. (٢) الجنابة. (٣) نزع الخف.

الدرس العاشر: الغسل

الغسل: معناه: تعميم البدن بالماء الصافي.

علامات البلوغ: هي التي يحكم بها بالبلوغ الذي يكون بها التكليف، وهي عند الذَّكَر الاحتلام وهو: خروج المني بشهوة في النوم، أو في اليقظة، وعلامات البلوغ عند الأنثى نزول الدورة الشهرية.

موجبات الغسل:



(١) خروج المني بشهوة في النوم أو اليقظة من ذكر أو أنثى وهو قول عامة الفقهاء، وذلك لحديث أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الماء من الماء» [رواه مسلم]، بمعنى أن نزول المني يوجب الغسل بالماء.

(٢) التقاء الختانين (ومعناه الجماع) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أصاب الختان الختان فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ» [رواه أحمد]، فالحديث أطلق (الختان) على وجه التغليب؛ فمعنى الختان أي: موضع الختانين، وهو الذَّكَرُ من الرجل، والفَرْج من المرأة.



(٣) انقطاع الحيض والنفاس: لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

(٤) الموت: فإذا مات المسلم وجب تغسيله والوجوب للأحياء وهو من الفروض

الكفاية بمعنى: إذا قام به البعض سقط عن الباقيين. (٥) الكافر إذا أسلم: إذا أسلم الكافر يجب عليه الغسل، ولقد «أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ثَمَامَةَ الْحَنْفِيَّ عندما أسلم أن يَغْتَسِلَ، فَأَغْتَسَلَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ» [رواه أحمد].

ما يحرم على الجنب: يحرم على الجنب ما يأتي من: (١) الصلاة. (٢) الطواف. (٣) مَسَّ المصحفِ وحمله. (٤) المكث في المسجد: يحرم على الجنب أن يمكث في المسجد، بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «فإني لا أُحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا لَجُنُبٍ» [رواه أبو داود]، ويستثنى في ذلك عابر السبيل، وهو المار مروراً سريعاً في المسجد: قال الله تعالى (ولا جنبا إلا عابري سبيل)

الاغتسال المستحب: أي التي يمدحُ المسلمُ على فعلها ويثاب، وإذا تركها لا لومٌ عليه، ولا عقاب، وهي

وهي

(١) **غسل الجمعة:** فيوم الجمعة يوم اجتماع للعبادة والصلاة فأمر الإسلام بالغسل، وأكد عليه ليكون المسلمون في اجتماعهم على أحسن حالٍ من النظافة، والتطهير، فعن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «غُسِّلَ الْجُمُعَةُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَالسَّوَالُكُ، وَأَنْ يَمَسَّ مِنَ الطَّيِّبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ» [رواه البخاري ومسلم]، والمراد بـ(المحتلم) أي: البالغ، والمراد بالوجوب تأكيد استحبابه، كما يستحب -أيضاً- أن يغتسل المسلم على الأقل مرة كل أسبوعٍ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا؛ يَغْتَسِلَ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ» [رواه البخاري ومسلم].

(٢) **غسل العيدين:** استحبَّ العلماءُ الغسلَ للعيدين لما فيها اجتماع للمسلمين، وبهجة وسرور.

(٣) **غسل الإحرام:** يُنْدَبُ الغسل لمن أراد أن يُحْرِمَ بحجٍّ، أو عمرة.

(٤) **غسل دخول مكة:** يُسْتَحَبُّ لمن أراد دخول مكة أن يغتسل.

(٦) **غسل الوقوف بعرفة:** يُنْدَبُ الغسل لمن أراد الوقوف بعرفة للحج، ودليل هذه الثلاثة ما رواه

الإمام مالك عن نافع، قال: «أن عبد الله

ابن عمر رضي الله عنهما كان يغتسل

لإحرامه قبل أن يحرم، ولدخول مكة،

ولوقوفه عشية عرفة» [مالك في الموطأ].

أركان الغسل: الأركان التي لا يتم

الغسل إلا بها ما يلي:

(١) **النية:** ومحلها القلب دون تلفظ بها.

(٢) **غسل جميع الأعضاء:** حيث يراعي المسلم سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الغسل بأن يفعل ما

يلي:

سنن يوم الجمعة

١. الاغتسال

٢. التطيب

٣. لبس الجميل

٤. التسوك

٥. تحري ساعة الإجابة

٦. الدعاء والصلاة على النبي

٧. قراءة سورة الكهف

٨. التذكير إلى المسجد

f t y o

EgyptDarAlIfta

(١) غسل يديه ثلاثاً.

(٢) ثم يغسل فرجه.

(٣) ثم يتوضأ وضوء كاملاً كالوضوء للصلاة، وله تأخير غسل رجليه إلى أن ينتهي من غسله. (٤) ثم يُفيضُ الماءَ على رأسِهِ ثلاثاً مع تخليل الشعر؛ ليصل الماء إلى أصول الرأس.

(٥) ثم يفيض الماء على سائر البدن بادئاً بالشق الأيمن، ثم الأيسر مع غسل تجايف البدن؛ من الإبطين، وداخل الأذنين، والسرّة، مع تخليل أصابع اليدين والقدمين،

والدليل على هذا كله ما جاء عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه، ثم يُفرغُ يَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فيغسلُ فرجَهُ، ثم يتوضأ وضوّه للصلاة، ثم يأخذ الماء، ويدخل أصابعه في أصول الشعر حتى إذا رأى أنه قد استبرأ حقنَ على رأسِهِ ثلاث حثيات، ثم أفاض على سائر جسده» [رواه البخاري ومسلم].

غُسلُ المرأة: إن غُسل المرأة كغُسل الرّجل، ولا يجب عليها أن تنقضَ ضَفيرَها، وشَعرَها بشرط أن يصل الماء إلى أصول الشعر؛ وذلك لحديث أم سلمة رضي الله عنها، أن امرأة قالت يا رسول الله، إني امرأة أشد ضفر رأسي، أفأنقضه للجنابة؟ قال: «إنما يكفيك أن تحثي عليه ثلاث حثيات من ماءٍ ثم تفضي على سائر جسديك، فإذا أنت قد طهرت» [رواه أحمد ومسلم والترمذي وقال: حسن صحيح]، وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال: «بلغَ عائشة - رضي الله عنها - أن عبد الله بن عمر يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهنّ، فقالت: «يَا عَجَبًا لابنِ عُمرَ يأمرُ النساء إذا اغتسلن ينقضن رؤوسهنّ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهنّ!، لقد كنتُ أغتسلُ أنا ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من إناءٍ واحدٍ، وما أزيدُ على أن أُفرغَ على رأسي ثلاثَ إفراغاتٍ» [رواه أحمد ومسلم].

س١. ما معنى الغُسل ؟

س٢. أذكر ثلاثة أشياء من الغُسل المُستحب ؟

س٤. ما هي سنن الغسل ؟

س٥. هل يجب على المرأة أن تفك ضفيرة شعرها في الغسل ؟

س٦. ما هي علامات البلوغ للولد وللبنات ؟

السيرة النبوية

و زوجات الرسول



مولد النبي ﷺ وحاجة البشرية إلى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي البعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فلقد رأت السيدة خديجة في منامها أن شمساً سقطت في دارها فأضاءت ما حولها، فذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي بشرها بأنها النبوة ستشرق من بيتها فتضيء العالم كله.

ويقول المؤرخ الإنجليزي "هربرت جورج ويلز": "لم يشهد العالم في تاريخه فترة أظلم ولا أسوأ ولا أكثر يأساً في المستقبل من القرن السادس الميلادي، فقد أصاب العالم في تلك الفترة الشلل الكامل، وكانت أوروبا أشبه برجل ضخم مات و تعفنت جثته، وكان ذلك حتى ظهر محمد نبي المسلمين"

حال البشرية قبل مولده وبعثته صلى الله عليه وسلم

كانت البشرية قبل مولده وبعثته صلى الله عليه وسلم في أسوأ حالاتها، فكان العرب يعبدون الأصنام ، ويعظمونها وكانوا يصنعونها ، من التمر ، أو الطين ، ولقد بلغ عدد الأصنام التي حول الكعبة المشرفة حوالي ٣٦٠ صنماً .

وفي بلاد الفرس كان المجوس يعبدون النار ، وكان زرادشت في بلاد فارس، الذي يعتبر من كبار الفلاسفة ، هو الذي دعا إلى تقديس النار، وكان يقول : إن نور الله عز وجل يسطع في كل ما هو مشرق وملتهب، وقد حرم الأعمال التي تحتاج النار، واكتفت الناس بالزراعة والتجارة.

وكان ملوك فارس تعبدهم الناس من دون الله تعالى، وكانوا يعتقدون أن دم كسرى دماً إلهياً، و كان الرجل إذا دخل على كسرى ارتعى ساجداً على الأرض، فلا يقوم حتى يؤذن له، وأقرب الطبقات إلى كسرى هم طبقة الكهان والأمراء والوزراء كانوا يقفون على بعد (٥) أمتار، ومن أدنى منهم درجة على

بعد (١٠) أمتار، والرسول كانوا يقفون على مسافة (١٥) متراً من كسرى ، من أراد أن يدخل على كسرى يضع على فمه قطعة من القماش الأبيض الرقيق، حتى لا تلوث أنفاسه أنفاس كسرى .

وكان كسرى يتزوج من أرد بدون مانع لمحارم ولا غيره ولقد تزوج يزدجرد الثاني كسرى فارس من ابنته ثم قتلها.

وفي بلاد الروم كانوا يعبدون الأبحار والرهبان ولقد كانت لديهم طقوس عجيبة غريبة منكرة

يروى ابن فضلان الرحالة المسلم في القرن الرابع الهجري ما شاهده بنفسه من موت أحد السادة في أوروبا، فجاءوا بجارية له كي تموت معه، فشربت الخمر ورقصت وقامت بطقوس معينة، ثم قيدوها بالحبال من رقبته، ثم أقبلت امرأة عجوز يسمونها ملك الموت وبيدها خنجر كبير، ثم أخذت تطعنها في صدرها بين الضلوع في أكثر من موضع، والرجال يخنقونها بالحبل حتى ماتت، ثم أحرقوها ووضعوها مع سيدها الميت،

قال تعالى واصفاً أولئك الجاهليين : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) يونس / ١٨ .

وجاء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه، فإنه عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث وضع حال الأرض قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، فقال: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب)

ولقد وصل حال العالم إلى حالة من التردّي والضياع الشديد، إلى الدرجة أن الله تعالى مقتهم وغضب عليهم والمقت هو شدة الكراهية، وكلمة (بقايا) يعني عدد قليل وكان كل رجل في مدينة أخرى يبتعد عنه مئات أو آلاف الأميال، وهكذا.



وكانوا في الجاهلية يغزوا بعضهم بعضاً ، ويقتل بعضهم بعضاً ، لأتفه الأسباب ، ، فيُقتل الرجال ، وتُسبى النساء والأطفال .

ومن ذلك : " حرب البسوس " التي دامت ثلاثين سنة ، بسبب أن ناقة وطئت بيضة " قَبْرَة " - نوع من أنواع الطيور - فكسرتها ، فقتل رجل يسمي كليب هذه الناقة

وكانت حرب البسوس بين قبيلة تغلب بن وائل وأحلافها ضد بني شيبان وأحلافها من قبيلة بكر بن وائل بعد أن ، ويذكر المكثر من رواة العرب أن هذه الحرب استمرت أربعين عاماً من سنة ٤٩٤ م ، ويذكر المقللون أنها استمرت بضعة وعشرين سنة

ومنها : " حرب داحس والغبراء " ، وقد دامت أربعين سنة ، بسبب أن فرساً غلبت أخرى في السباق . وكانوا في الجاهلة يأكلون الميتة ، ويشربون الدم وكان بعض القبائل يطوفون بالكعبة عراة نساء ورجالاً ، إن لم يمن عليهم القرشيون بثياب من عندهم ، ويعتقدون أن ثياباً عصي الله

فيها لا تصلح أن يطاف بها ، وتقول قائلتهم: عن عورتها المغلظة (اليوم يبدو كله أو بعضه وما بدا منه فلا أحله!!

ولقد كان الزنا منتشراً جداً وكان الفساد الأخلاقي والاجتماعي ، قد انتشر فيهم وانتشر أيضاً ، شرب الخمر والميسر ، و الرِّبَا بشكل كبير

ويصف سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أحوال الناس في مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول للنجاشي ملك الحبشة: "أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسبي الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار."

ويقول أيضاً المغيرة بن شعبة رضي الله عنه بين يدي "يَزْدَجِرِد" ملك الفرس الذي قال للمغيرة في معركة القادسية. كما ذكر ذلك ابن كثير في "البداية والنهاية": "إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم، لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم. فإن كان عددكم كثر فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد (الفقر) دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم، وكسوناك وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم. فأسكت القوم فقام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فقال: أيها الملك، إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشرف يستحيون من الأشراف، وإنما يكرم الأشراف الأشراف، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف، وليس كل ما أرسلوا له جمعوه لك، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك، فجأوبني فأكون أنا الذي أبلغك ويشهدون على ذلك. إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً، فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات، ونرى ذلك طعامنا، وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الابل وأشعار الغنم.. ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، وأن يبغى بعضنا على بعض، وإن كان أحداً ليدفن ابنه وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه، وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك، فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً (محمداً صلى الله عليه وسلم) نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته خير بيوتنا، وقبيلته خير قبائلنا، وهو نفسه كان خيرنا في الحال التي كنا فيها أصداً دقنا وأحلمنا".

ويقول جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) يصف وضع أوروبا: لم يجدوا في أوروبا بعض الميل للعلم إلا في القرن الحادي عشر والثاني عشر من الميلاذ. الموافق للقرن الرابع والخامس الهجري.

و يقول المؤرخ الأندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي القرطبي صاحب كتاب (طبقات الأمم) وهو ، يحكي حال البلاد الأوربية كانوا قوماً أشبه بالبهائم، وقد يكون ذلك من إفراط بعد الشمس عن رؤسهم فصارت بذلك أمزجتهم باردة، وأخلاقهم فجأة رديئة، وقد انسدت شعورهم على وجوههم، وعدموا دقة الأفهام، وغلب عليهم الجهل والبلادة، وفشت فيهم الغباوة.

ويقول الرحالة الأندلسي إبراهيم الطرطوش يصف أهل جليقية الذين كانوا يعيشون في شمال إسبانيا، قال: هم أهل غدر ودناءة أخلاق، لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد، لا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلى أن تتقطع عليهم، ويزعمون أن الوسخ الذي يعلوهم من عرقهم تصح به أبدانهم.

حال المرأة قبل البعثة النبوية:

لم تحترم البشرية المرأة في الجاهلية، بل كانوا يعاملوها كما يعاملون الدواب فلا ميراث لها ولا كرامة، وقد تعرضت المرأة لأبشع صنوف الإهانة والتحقير، وكانوا يجبرونها على الزواج بمن تكره، أو يمنعونها من الزواج، وإذا مات الرجل منهم كان أولياؤه أحقّ (بزوجته) من أهلها، إن أراد أحد منهم أن يتزوجها تزوجها، أو يزوجها لمن أحب وهذا ما جاء في قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا} (النساء: ١٩).

قال ابن كثير: "قال ابن عباس: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شأوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك".

وفي رواية: "إن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها". وكانت المرأة إذا مات عنها زوجها أهملت نفسها ومزغت نفسها بالتراب. قالت زينب بنت أبي سلمة: "كانت المرأة إذا توفّي عنها زوجها دخلت جفشاً (بيتاً صغيراً)، ولَبِسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا، ولم تَمَسَّ طيباً حتى تمر"

بها سنة، ثم تُؤْتَى بِدَابَّةٍ . جِمَارٌ أَوْ شَاةٌ أَوْ طَائِرٌ . فَتُقْتَضُ بِهِ (تمسح به جلدها)، فَقَلَمًا تَقْتَضُ بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعْرَةً (روثة من الحيوان) فتزيمى" رواه البخاري .

ومن بشاعة ما كان في الجاهلية وأد البنات:

وهو دفنهن أحياء، خوفا من العار قال الله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: ٥٨: ٥٩)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ التكوين: ٨: ٩

ولقد حرّم الإسلام هذه الجريمة البشعة : فعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنَّ الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، وَمَنْعاً وهات، ووَاد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال (رواه البخاري)

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ وُلِدَتْ لَهُ ابْنَةٌ فَلَمْ يَنْدِهَا وَلَمْ يُهْنِهَا، وَلَمْ يُؤْتِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا . يعني الذكّر . أدخله الله بها الجنة (رواه أحمد

و عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ عَالَ أَيَّ قَامَ بِتَرْبِيَةِ (جَارِيَتَيْنِ) بَنَتَيْنِ (حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه (رواه مسلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوْ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ (رواه الترمذي.

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ ثَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا).^(١)

فكانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ومولده رحمةً للدينا

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٥، ٥١٨٦)، ومسلم (٤٧، ١٤٦٨)

قال الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢).

قال السعدي: "امتن الله تعالى عليهم منَّةً عظيمة، أعظم من منته على غيرهم، لأنهم عادمون للعلم والخير، وكانوا في ضلال مبين، يتعبدون للأشجار والأصنام والأحجار، ويتخلقون بأخلاق السباع الضارية، يأكل قوتهم ضعيفهم، وقد كانوا في غاية الجهل بعلوم الأنبياء، فبعث الله رسولا منهم، يعرفون نسبه وأوصافه الجميلة وصدقه، وأنزل عليه كتابه"

. وقال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) ..

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أن الله جعل محمداً - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردّها وجحدّها خسر في الدنيا والآخرة".

وقال الشنقيطي: "ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه ما أرسل هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى الخلائق إلا رحمة لهم، لأنه جاءهم بما يسعدهم، وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه، ومنّ خالف ولم يتبع فهو الذي ضيّع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظيمة".

مولد النبي ﷺ مولد لكل فضيلة

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه"، وقال عمه العباس عن مولده صلى الله عليه وسلم:

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأَفُقُ

فَتَحَنُّ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ فِي الضِّيَاءِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَحْتَرِقُ

ومن المعلوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم وُلِدَ في يوم الاثنين من ربيع الأول، فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن صوم يوم الاثنين، فقال: فيه وُلِدْتُ، وفيه أُنْزِلَ عَلَيَّ (رواه مسلم).

ولا خلاف في كون مولده **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوم الاثنين بمكة المكرمة عام الفيل، فعن قيس بن مخزومة **رضي الله عنه** قال: **وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عام الفيل (رواه البيهقي، وأكثر أهل السير على أنه صلوات **الله** وسلامه عليه **وُلِدَ** يوم الثاني عشر من ربيع الأول بعد حادثة الفيل بخمسين يوماً، قال ابن عبد البر: **وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعد قدوم الفيل بشهر، وقيل بأربعين يوماً، وقيل بخمسين يوماً".

يقول صاحب الرحيق المختوم (صفي الرحمن المباركفوري) عن المولد الشريف: ولد سيد المرسلين **صلى الله عليه وسلم** بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، لأول عام من حادثة الفيل، ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان، ويوافق ذلك العشرين أو الثاني وعشرين من شهر أبريل سنة ٥٧١ م حسبما حققه العالم الكبير محمد سليمان المنصور فوري والمحقق الفلكي محمود باشا

وروى ابن سعد أن أم رسول **الله صلى الله عليه وسلم** قالت: لما ولدته خرج مني نور أضاءت له قصور الشام، وروى أحمد عن العرياض بن سارية ما يقارب ذلك وقد روي أن إرهابات بالبعثة وقعت عند الميلاد، فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التي يعبدها المجوس، وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت، روى ذلك البيهقي

حادثة عام الفيل

هذه الحادثة مشهورة وثابتة بالكتاب والسنة، والتي حاول فيها أبرهة الأشرم غزو مكة وهدم الكعبة، وقد ذكر سبحانه هذه الحادثة في كتابه الكريم،

فقال ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ {الفيل: ١-٥}،

قال ابن كثير: "هذه من النعم التي امتن **الله** بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم **الله**، وأرغم أنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشرّ خيبة، وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه

قريش من عبادة الأصنام، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه في ذلك العام وُلِدَ على أشهر الأقوال.

وقال ابن تيمية: "وكان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان، ودين النصارى خير من دينهم، فعلم بذلك أن هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت حينئذ، بل كانت لأجل البيت، أو لأجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الذي وُلِدَ في ذلك العام عند البيت، أو لمجموعهما، وأي ذلك كان، فهو من دلائل نبوته."

نور يخرج من بطن أمه ﷺ

عن لقمان بن عامر قال سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام (رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني).

قال ابن كثير: "قوله: ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام (قيل: كان مناماً رآته حين حملت به، وقصّته على قومها، فشاع فيهم، واشتهر بينهم، وكان ذلك توطئة".

وقال ابن رجب: "خروج هذا النور عند وضعه؛ إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وأزال به ظلمة الشرك منها، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦)، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧):

ظهور نجم أحمد في السماء :

وهو هو نجم لامع في السماء، له خصائص تختلف عن غيره من النجوم، وقد عرف به اليهود أن أحمد خاتم الأنبياء قد وُلِدَ، روى ابن إسحاق عن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: "والله، إني لغلام يفعة (شَبَّ ولم يبلغ)، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمه (حصن) بيثرب: يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك ما لك؟، قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي وُلِدَ به" رواه البيهقي وصححه الألباني. وروى أبو

نعيم وحسنه الألباني عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال زيد بن عمرو بن نفيل، قال لي حَبْرٌ من أحبار الشام: "قد خرج في بلدك نبي، أو هو خارج، قد خرج نجمه، فارجع فصدقه واتبعه."

بمولده ﷺ مولد للرحمة والرفق

قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران: ١٥٩).

وقال تعالى: {وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: ١ - ٤).

وقال تعالى: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ" (التوبة: ١٢٨).

وقال تعالى: {وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء: ١٠٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أدع على المشركين، قال: "إني لم أبعث لعائنًا، وإنما بعثت رحمة". رواه مسلم.

وعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: (أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} وحررًا للأمين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة والعوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا). رواه البخاري

وكان ﷺ، إذا أتاه السائل، أو صاحب الحاجة قال: (اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء) رواه البخاري

بمولده ﷺ مولد لحسن الخلق

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنما بعثت على تمام محاسن الأخلاق) (أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٤٧١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ، من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله! لا أذهب وفي نفسي، أن أذهب لما أمرني به. قال: فخرجت حتى مر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قابض بقفاي من ورائي فنظرت إليه وهو يضحك فقال: يا أنيس اذهب حيث أمرتك. قلت: نعم! أنا أذهب يا رسول الله. صحيح الترمذي

ويقول أنس: "والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا، أو لشيء تركته: هلا فعلت كذا وكذا" رواه مسلم وفي رواية لأحمد: "ما قال لي فيها أف".

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه" حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وكان النبي ﷺ يقول: "اللهم اهدي لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت" رواه مسلم.

بمولده ﷺ مولد للتواضع وخفض الجناح:

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغني والفقير، ولا ينزع يده من يد أحد حتى ينزعها هو،

روى البخاري في صحيحه من حديث الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة. رواه البخاري.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنتطلق به حيث شاءت. رواه البخاري

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك. رواه أحمد والترمذي والبخاري في الأدب المفرد بأسانيد صحيحة.

وقال رسول الله ﷺ للصحابة عند موته: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد الله ورسوله" رواه البخاري.

وكان النبي ﷺ يدعى إلى خبز الشعير "والإهالة السنخة". رواه أحمد وصححه الألباني (الإهالة: الدسم الجامد، والسنخة المتغيرة الريح).

وكان النبي ﷺ يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم. رواه النسائي وصححه الألباني.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم. رواه الحاكم وصححه الألباني.

يقول رسول الله ﷺ عليهم السلام: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد" أخرجه مسلم.

عن أنس رضي الله عنه قال: "كانت ناقة رسول الله ﷺ عليه الصلاة والسلام لا تسبق أو لا تكاد تسبق، فجاء أعرابي على قعود له (أي جمل) فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال الرسول عليهم السلام: "حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه" رواه البخاري.

بمولده عليه الصلاة والسلام مولد الصبر وتحمل الأذى والعفو:

قال الله تعالى: "وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ".

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ضَرْبُهُ قَوْمُهُ فَأَدْمُوهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. متفق عليه

وعن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما أن نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ مَا يَكُنْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يَغْفِرَ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يَغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يَصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أَعْطَى أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ. متفق عليه

بمولده عليه الصلاة والسلام مولد المعاملة الحسنة:

عن أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله عليه الصلاة والسلام إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد وأصحاب الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يصيحون به: مه مه (أي اترك)، فقال رسول الله عليهم السلام: "لا تزرفوه دعوه" (لا تقطعوا بوله)، فترك الصحابة الأعرابي يقضي بوله، ثم دعا الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام الأعرابي فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام للأعرابي: "إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن". وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام لأصحابه: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين صبوا عليه دلوًا من الماء. فقال الأعرابي: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدًا. فقال الرسول عليهم السلام: "لقد تحجرت واسعًا، أي ضيققت واسعًا" متفق عليه.

وفي قصة معاوية بن الحكم وقد عطس أمامه رجل في صلاته فشتمته معاوية وهو يصلي فقال: فحدقني القوم بأبصارهم. فقلت: واثكل أمياه ما لكم تنظرون إلي؟ قال: فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يسكتونني سكت.

فلما انصرف رسول الله دعاني، بأبي هو وأمي، ما ضربني ولا كهرني ولا سبني، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه. رواه النسائي وأبو داود.

وعن عائشة قالت: استأذن رهط من اليهود على رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالوا: السام عليكم! قالت عائشة: فقلت: بل عليكم السام واللعنة. فقال رسول الله عليهم السلام: يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله. قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلت: وعليكم. متفق عليه.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره،

قال: "بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا". متفق عليه.

وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لَأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَأُرِيدُ أَنْ أَطُولَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ" رواه البخاري

بمولده عليه الصلاة والسلام مولد للشجاعة والإقدام:

كان النبي عليه الصلاة والسلام أشجع الناس، ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه -وهو من أبطال الأمة وشجعانها- قال: (إنا كنا إذا اشتد بنا البأس واحمرت الحدق اتقيننا برسول الله عليهم السلام، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله عليه الصلاة والسلام وهو أقربنا إلى العدو) رواه أحمد والطبراني والنسائي.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي عليه الصلاة والسلام أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَاَنْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عَزْرِي فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا. رواه البخاري ومسلم.

وجاء رجل إلى البراء بن عازب، فقال: أكنتم وليتم يوم حنين، يا أبا عمار؟ فقال: أشهد على نبي الله عليه الصلاة والسلام ما ولي، ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبل، كأنها رجل من جراد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: (أنا النبي لا أكذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم أنزل نصرك).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا قال: "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: "إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" رواه البخاري.

بمولده عليه الصلاة والسلام مولد للرفق بالحيوان:

عن سهيل بن الحنظلية قال: مرَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام ببيعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: "اتقوا الله في هذه الهائم المعجمة فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة." "المعجمة: التي لا تنطق." رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وعن عبد الله، عن أبيه قال: كنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمْرَةً (طائر يشبه العصفور) معها فرخان، فأخذنا فرخها، فجاءت الحمرة، فجعلت تُعرش، فلما جاء رسول الله عليهم السلام، قال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها. أبو داود.

وقال عليهم السلام: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته." رواه مسلم.

ورأى النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلاً أضجع شاة، وهو يحد شفرته، فقال: "لقد أردت أن تميئها موتات، هلا حددتها قبل أن تضجعها؟! " حديث صحيح على شرط البخاري.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضًا. متفق عليه.

بمولده عليه الصلاة والسلام مولد للجود والكرم:

كان رسول الله عليه الصلاة والسلام أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، حتى ينسلخ، فيأتيه جبريل، فيعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله عليه الصلاة والسلام أجود بالخير من الريح المرسلة. رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس: أن رجلاً سأل النبي عليه الصلاة والسلام غنماً بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر، فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يُسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها. رواه مسلم.

بمولده عليه الصلاة والسلام مولد للزهد وترك الدنيا :

ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب في حديث إيلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه، أن لا يدخل عليهنَّ شهراً، واعتزل عنهنَّ في عليّة، فلما دخل عليه عمر في تلك العليّة فإذا ليس فيها سوى صبرة من قرظ، وأهبة معلقة، وصبرة من شعير، وإذا هو مضطجع على رمال حصير، قد أثر في جنبه، فهملت عينا عمر فقال: ما لك؟ فقلت: يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه، وكسرى وقيصر فيما هما فيه. فجلس محمراً وجهه فقال: أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ثم قال: أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا. وفي رواية لمسلم: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة فقلت: بلى يا رسول الله. قال: فاحمد الله عز وجل.

قال رسول الله عليهم السلام: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا" (أي ما يسدُّ الجوع) متفق عليه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد رأيت رسول الله عليهم السلام، يتلوى من الجوع،

ما يجد ما يملأ من الدقل بطنه. (الدقل: رديء التمر) رواه مسلم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع آل رسول الله عليه الصلاة والسلام من خبز بُرٍّ. أخرجه البخاري ومسلم.

بمولده عليه الصلاة والسلام مولد لخشوع القلب ورقته :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله عليه الصلاة والسلام اقرأ عليّ القرآن فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل. قال: إني أحب أن أسمع من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذا الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً). قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. رواه البخاري ومسلم.

بمولده عليه الصلاة والسلام مولد لكرامة المرأة ونيل حقوقها :

فأنصف المرأة، وأكرمها واحترمها ، منذ مولدها ونشأتها الي أن تصير فتاة يافعة وأما حنونة، وزوجة مشفقة؛ فحرم الإسلام وأدها وأمر بالإحسان إليهما ووصى بهما:

الذمة المالية للمرأة في الإسلام " جعل الإسلام للمرأة ذمة مالية مستقلة. فالمرأة الرشيدة في شريعة الإسلام لها حق التملك وحق التعامل والتصرف في مالها كله أو بعضه بكافة صور وأساليب الكسب المباح والوسائل المشروعة؛ من استثمار، وتجارة، وإنفاق، وبيع وشراء، وإجارة، ومضاربة، ومزارعة، وتبرع، وهبة، ووصية، وتصديق، وإقراض، وتنازل، وإعارة، ورهن.. ولها أن تُبرم العقود المالية والتجارية بنفسها دون وسيط، وأن تُوكل عنها في مالها، وأن تُضمن غيرها، وأن تخاصم الغير في حقوقها المالية أمام القضاء.. إلى غير ذلك من صور المعاملات المالية والاقتصادية؛ كل ذلك من غير سلطان أو إذن أو إشراف من وليها أو زوجها دون إرادتها. قال صاحب الظلال عند تفسيره :

قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧)

والعجيب كل العجب من بعض الغوغاء الذين يلقون بالشبهات هنا وهناك، ويتهمون الإسلام أنه ظلم المرأة وحرمها من الميراث أو قلل من نصيبها ، وفضل الرجال عليها.

ميراث المرأة قبل الإسلام:

أولاً: ميراث المرأة عند اليهود: نجد نظام الميراث عند اليهود يحرم الإناث من الميراث، سواء كانت أما أو أختاً أو ابنة أو غير ذلك إلا عند فقد الذكور، فلا ترث البنت مثلاً إلا في حال انعدام الابن.

فيه تكلم نبي إسرائيل قائلاً: أيما رجل مات وليس له ابن تنقلون ملكه إلى ابنته. سفر العدد إصحاح ٢٧: ١ - ١١ أما الزوجة فلا ترث من زوجها شيئاً مطلقاً.

فاليهود بطبيعتهم يعيشون متماسكين متكتلين فيما بينهم يحرصون على جمع المال واكتنازه بشقى الوسائل التي تمكنهم من ذلك، ومن أجل هذا كان من البدهي أن يحرصوا كل الحرص على عدم ذهاب

شيء من مال الميت إلى غير أسرته، حتى تحتفظ الأسرة فيما بينها بأموالها التي تعبت في جمعها، وتعزز بها بوصفها وسيلة للسيطرة والظهور في المجتمعات، لذلك هم لا يورثون المرأة سواء كانت بنتاً، أو أما، أو زوجة، أو أختاً، ما دام يوجد لهذا الميت ابن، أو أب، أو قريب ذكر كالأخ والعم، فالذكر يقدم دائماً على الأنثى وللشخص الحرية الكاملة في ماله يتصرف به كيف يشاء بطريقة الهبة أو الوصية فله أن يحرم جميع أقاربه دون أي قيد على هذه الحرية وله أن يوصي بجميع ماله لأي شخص وإن كان أجنبياً.^(١)

ميراث المرأة عند الرومان: إن المرأة عند الرومان كانت تساوي الرجل فيما تأخذه من التركة مهما كانت درجتها، أما الزوجة، فلم تكن ترث من زوجها المتوفى، فالزوجية عندهم لم تكن سبباً من أسباب الإرث، حتى لا ينتقل الميراث إلى أسرة أخرى،^(٢)

الميراث عند الأمم الشرقية القديمة: ونعني بهم الطورانيين والكلدانيين والسريانيين والفينيقيين والسوريين والأشوريين واليونانيين وغيرهم ممن سكن الشرق بعد الطوفان الذي كانت أحداثه جارية قبل ميلاد المسيح عليه السلام فقد كان الميراث عندهم يقوم على إحلال الابن الأكبر محل أبيه، فإن لم يكن موجوداً

فأرشد الذكور، ثم الأخوة ثم الأعمام وهكذا إلى أن يدخل الأصهار وسائر العشيرة وتميز نظام الميراث عندهم فضلاً عما ذكرنا بحرمان النساء والأطفال من الميراث.^(٣)

الميراث عند قدماء المصريين: أما المصريون القدماء، فقد بينت الآثار المصرية، أن نظام الميراث عندهم كان يجمع بين كل قرابة الميت من آباء وأمهات، وأبناء وبنات، وأخوة وأخوات، وأعمام، وأخوال وخاللات، وزوجة، فكلهم يتقاسمون التركة بالتساوي لا فرق بين كبير وصغير ولا بين ذكر وأنثى.^(٤)

(١) انظر د. محمد يوسف موسى، التركة والميراث في الإسلام، ط ٢، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣١ وراجع أحكام ميراث المرأة في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير، للباحثة / ورود عادل إبراهيم غورتاني، بإشراف الدكتور مُحَمَّد الصُّلَيْبِي، جامعة النَّجَّاح الوطنية ... ١٤١٩ - ١٩٩٨.

(٢) فريضة الله في الميراث / دكتور عبد العظيم الديب / ص ٨ / دار الأنصار للطباعة ... الطبعة الأولى ١٣٩٨

(٣) راجع أحكام ميراث المرأة في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير، للباحثة / ورود عادل إبراهيم غورتاني، بإشراف الدكتور مُحَمَّد الصُّلَيْبِي، جامعة النَّجَّاح الوطنية ... ١٤١٩ - ١٩٩٨.

(٤) فريضة الله في الميراث / دكتور عبد العظيم الديب / ص ٨٠٧. وعلم الميراث / مصطفى عاشور / ص ١٠

شهادة غير المسلمين: ولقد شهد بهذا أيضا مُفَكِّرون غَرَبِيَّون حيث أنهم أَنْصَفُوا نِظَامَ الميراث في الإسلام: قَوَّصَفُوهُ بأنَّ فيه من العدل والإنصاف للمرأة، ما لا يوجد مثله في القوانين الغربية، ومن هؤلاء:

أ- «أنى بيزنت» في كتابها «الأديان المنتشرة في الهند» حيث قالت: (ما أكبر خطأ العالم في تقدير نظريات النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالنساء...

ولا تقف تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم عند حدود العموميَّات، فقد وضَعَ قانوناً لورثة النساء، وهو قانون أكثر عدلاً وأوسع حرّية - من ناحية الاستقلال الذي يمنحها إياه - من القانون المسيحي الإنجليزي، الذي كان معمولاً به إلى ما قبل نحو عشرين سنة، فما وضعه الإسلام للمرأة يُعتبر قانوناً نموذجياً، فقد تكفَّل بحمايتها في كلّ ما يملكه، وضَمَّنَ لهنَّ عدم العدوان على أيّة حصّة ممّا يرثنه عن أقاربهنَّ وإخوانهنَّ وأزواجهنَّ)

ويقول «غوستاف لوبون»: في كتابه «حضارة العرب»: (ومبادئ الموارث التي نصَّ عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والإنصاف، ويمكن القارئ أن يدرك ذلك من الآيات التي أنقلها منه، وأن أُشير فيه بدرجة الكفاية إلى أحكامها العامّة، ويظهر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسيّة والإنجليزيّة أن الشريعة الإسلاميّة منحت الزّوجات، اللّاتي يزعمن أنّ المسلمين لا يُعاشروهنَّ بالمعروف، حقوقاً من الموارث لا نجد مثلاً في قوانيننا)^(١)

فلتعي المرأة المسلمة هذا الأمر جيداً ولتشكر الله على جميل فضله عليها ولا تنساق وراء شبهات أعداء الدين من حركات نسوية وأفكار هدامة..

بمولده عليه الصلاة والسلام مولد لكرامة الإنسان :

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠)

(١) راجع أحكام ميراث المرأة في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير، للباحثة / ورود عادل إبراهيم غورتاني، بإشراف الدكتور مُحَمَّد الصُّلبي، جامعة النّجاح الوطنيّة ... ١٤١٩ - ١٩٩٨.

ومن صُورِ حِفْظِ كرامة الإنسان في الإسلام: هَيَّ النبي **صلى الله عليه وسلم** أصحابه **رضي الله عنهم** عن إهانة الإنسان، وخَدَشِ كرامته؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رضي الله عنه** قال: أُتِيَ النَّبِيُّ **صلى الله عليه وسلم** بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: «اضْرِبُوهُ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ **رضي الله عنه**: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِتَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْرَكَ **اللهُ**! قَالَ: «لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ» رواه البخاري.

وَنَهَى الرجلَ عن تقبيح زوجته بالكلام، وعن ضَرْبِ وَجْهها؛ عن مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ **رضي الله عنه** قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ **اللهِ**! مَا حَقُّ زَوْجَةٍ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوْ اكْتَسَبْتَ، وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ» حسن صحيح - رواه أبو داود. ومعنى: «لَا تُقَبِّحَ»: أي: لَا تُسَمِّعْهَا الْمَكْرُوهَ، وَلَا تَشْتُمْهَا، وَلَا تُقَلِّ: قَبَحَكَ **اللهُ**، ونحو ذلك

وعن أبي مسعود البَدْرِيِّ **رضي الله عنه** قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسَّوْطِ، فسمعت صوتاً من خلفي: «اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصوت من الغضب، فلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ **اللهِ صلى الله عليه وسلم** فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود أن **الله** أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ». فقلت: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكاً بعده أبداً. وفي رواية: فسقط السَّوْطُ من يَدِي من هَيْبَتِهِ. وفي رواية: فقلت: يَا رَسُولَ **الله**، هُوَ حُرٌّ لَوْجَه **الله** تعالى، فقال: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلْفَحْتُكَ النَّارَ، أَوْ لَمَسْتُكَ النَّارَ». [صحيح] - [رواه مسلم]

بمولده عليه الصلاة والسلام مولد لرفع الظلم ورد الحقوق :

قَالَ **الله** تَعَالَى: مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ [غافر: ١٨]، وقال تعالى: وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ [الحج: ٧١]

وعن جابرٍ: أَنَّ رَسُولَ **الله** عليه الصلاة والسلام قَالَ: اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلُكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ رواه مسلم.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ **الله** عليه الصلاة والسلام قَالَ: لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلَحَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ رواه مسلم.

بمولده عليه الصلاة والسلام مولد للرفق بالحيوان :

نهى . **صلى الله عليه وسلم** . عن اتخاذ شيء فيه الروح غرضاً يُتعلم فيه الرمي .. فعن سعيد بن جبير . **رضي الله عنه** . قال : (مَرَّ عبد الله بن عمر . **رضي الله عنهما** . بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا؟ ، لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً) (مسلم) .

وعن ابن عمر . **رضي الله عنهما** . : أنه دخل على يحيى بن سعيد و غلام من بني يحيى رابط دجاجة يرميها ، فمشى إليها ابن عمر حتى حلها ، ثم أقبل بها وبالغلام معه ، فقال : ازرعوا غلامكم عن أن يصبر هذا الطير للقتل ، فإني سمعت النبي - **صلى الله عليه وسلم** - نهى أن تصبر بهيمة أو غيرها للقتل) (البخاري) . (والتصبير : أن يحبس ويرمى .)

ومن رحمته . صلى الله عليه وسلم . أنه نهى أن يحول أحد بين حيوان أو طير وبين ولده .

فعن عبد الله بن مسعود - **رضي الله عنه** - قال : كنا مع رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - في سفر فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمرةً (طائر صغير) معها فرخان ، فأخذنا فرخيهما ، فجاءت الحمرة فجعلت تُعَرِّشُ (تفرف بجناحيها) ، فجاء النبي - **صلى الله عليه وسلم** . فقال : (من فجع هذه بولدها؟ ، ردوا ولدها إليها) (أبو داود) .

ومن رحمته . صلى الله عليه وسلم . بالحيوان نهيه عن المثلثة بالحيوان ، وهو قطع قطعة من أطرافه وهو حي ، ولعن من فعل ذلك ..

فعن ابن عمر . **رضي الله عنهما** . : (أن النبي - **صلى الله عليه وسلم** - لعن من مثَّل بالحيوان) (البخاري) . وعن جابر - **رضي الله عنه** - : (أن النبي - **صلى الله عليه وسلم** - مر عليه حمار قد وُسِمَ (كوي) في وجهه ، فقال : لعن الله الذي وسمه) (مسلم) .

ومن صور رحمته . صلى الله عليه وسلم . بالحيوان .. أن بين لنا أن الإحسان إلى البهيمة من موجبات المغفرة ..

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (بينا رجل بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى (التراب) من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له .. قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم لأجراً ؟ ، فقال : في كل ذات كبد رطبة أجر) (البخاري) .

ومما سبق يتضح أن البشرية كانت في أمس الحاجة لمولده عليه الصلاة والسلام لكي يخرجهم من الظلمات إلى النور . ومن الضلال إلى الهدى

التعريف بالنبي عليه الصلاة والسلام وأهل بيته الكرام رضي الله عنهم:

النبي عليه الصلاة والسلام هو: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،

يكنى بأبي القاسم صلى الله عليه وسلم.



ومن أسمائه أيضًا أحمد: قال تعالى علي لسان عيسى بن مريم: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وكذلك من أسمائه: أيضًا الماحي، والهاشر، والعاقب، ففي حديث جُبَيْر بن مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّ لِي خَمْسَةَ أَسْمَاءَ: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الهاشر الذي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبيٌّ» [متفق عليه].

عدد أولاد الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام من الذكور والإناث:

كان للنبي عليه الصلاة والسلام سبعة من الأبناء؛ ثلاثة من الذكور، وأربعة ومن الإناث، أهمهم جميعًا هي: السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- عدا إبراهيم؛ فأُمّه هي مارية القبطية -رضي الله عنها.

والأولاد من الذكور هم كالتالي:

الأول: القاسم وهو أكبر أولاده، وبه كان يُكَنَّى عليه الصلاة والسلام فكان ينادي بـ(أبي القاسم) وُلِدَ في مكة، ومات وهو صغير.



الثاني عبد الله وهو الابن الثاني لرسول الله عليهم السلام ، وكان يعرف بـ (الطيب والطاهر) وُلِدَ في مكة بعد بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد سَمَّاهُ النبي على اسم أبيه عبد الله، وقد توفي بعد وفاة أخيه القاسم بزمانٍ قليلٍ، وكان صغيرًا أيضًا، ودُفِنَ في منطقة "الحُجُون" بمكة.

الثالث: إبراهيم، وهو الابن الأخير للنبي -عليهم السلام- في المدينة في السنة الثامنة من الهجرة، وقد

سَمَّاهُ النبي إبراهيم على اسم جدّه سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، وأمه مارية القبطية -رضي الله عنها-، وذبح عنه النبي العقيقة في اليوم السابع من مولده، توفّي وعمره ستة عشر شهرًا، أي سنة وأربعة أشهر، وذلك في السنة العاشرة من الهجرة في شهر ربيع الأول، ودُفِنَ في البقيع، ولقد حزن عليه عليه الصلاة والسلام كثيرًا.

بنات الرسول عليهم السلام :

له عليه الصلاة والسلام أربع من البنات هنّ كالتالي:



الأولى: زينب -رضي الله عنها- وهي البنت الكبرى، وُلِدَت بمكة قبل البعثة، وتزوَّجت من أبي العاص بن الربيع ابن خالتها هالة بنت خويلد، وقد أسلمت، وبقي هو على الكفر، ثم أسلم قبل فتح مكة، وقد وُلِدَت من أبي العاص: "عليّ وأُمّامة"، ولقد توفي عليّ في حياتها وعاشت أُمّامة إلى أن تزوّجها سيدنا علي بن أبي طالب بعد وفاة السيدة فاطمة -رضي الله عنها-.

الثانية: رقيّة -رضي الله عنها- وُلِدَت قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وترتيبها الثانية بين البنات الأربع، وكانت زوجة عُتْبَةَ بن أبي لهب، ولكنه لم يدخل بها ثم طلقها، بسبب وحي البعثة للنبي عليهم السلام ، ثم تزوّجها سيدنا عثمان بن عفان ؓ، ثم هاجرت إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة، وتُوفّيَت أثناء غزوة بدر في العام الثاني من الهجرة، وقد أنجبت لسيدنا عثمان ولدًا اسمه عبد الله، تُوفّي صغيرًا، وتزوَّج سيدنا عثمان بعد وفاتها بأختها السيدة أمّ كلثوم -رضي الله عنها .

الرابعة: فاطمة -**رضي الله عنها**- هي أصغر بنات النبي -**صلى الله عليه وسلم**، وأفضل نساء الأمة، تزوّجها سيدنا عليّ بن أبي طالب -**رضي الله عنه**- ابن عم النبي عليه الصلاة والسلام بعد غزوة أحد، وكان عُمرها ثماني عشرة سنة، وقد أنجبت خمسة أولاد، هم: (الحسن، والحسين، ومحسن، وزينب، وأم كلثوم)، وهي من أحبّ الناس إلى الرسول -**صلى الله عليه وسلم**- وقد تُوِّفيت بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام بستة شهور، وغسّلها زوجها سيدنا علي، والسيدة أسماء بنت عميس، وصلى عليها، ثم دفنها في البقيع.

[illegible]

ولقد فضلهم **الله** تعالى عن بقية النساء كما جاء في قول **الله** تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَتَقِيْنَ فَلَآ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].



الزوجة الأولى: خديجة بنت خويلد رضي الله

عنها، هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية الأسدية، تجتمع مع الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام في جده "قصي بن كلاب"، وأول أزواجه، تزوجها، وكان سنّها أربعين سنة، وهو في الخامسة والعشرين، ولم يتزوج عليها أحدًا حتى ماتت، وكل أولاده منها سوى إبراهيم فهو من مارية القبطية، وكانت من أفضل النساء شرقًا ونسبًا وحبًّا، وقربًا من رسول الله عليه الصلاة والسلام.



الزوجة الثانية: سَوَدَةُ بنت زَمْعَةَ - رضي الله عنها - هي

سَوَدَةُ بنت زَمْعَةَ بن قيس بن عبد شمس، تجتمع مع النبي في جده "لؤي بن غالب"، تزوجها بعد وفاة السيدة خديجة، وهاجرت إلى الحبشة، وتوفي زوجها، وتركها وكانت من السابقين في الإسلام، ثم تُوفيت في أواخر خلافة عمر بن الخطاب، وقيل سنة (٥٤ هـ)



الزوجة الثالثة: السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها أحب النساء لرسول الله عليهم السلام ، وأكثر النساء علماً وفضلاً، أسلمت السيدة عائشة -رضي الله عز وجل عنها- في بداية الدعوة ، وخطبها النبي عليه الصلاة والسلام بمكة، وعمرها (ست سنوات)، ثم دخل بها بالمدينة، وهي بنت (تسع سنوات)، ولم يتزوج رسول الله عليه الصلاة والسلام بكرةً غيرها، توفيت سنة (٥٦ هـ).



الزوجة الرابعة: السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب -رضي الله عنها- هي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، كانت صوامةً قواماً تزوجها في السنة الثالثة بعد الهجرة بعد استشهاد زوجها خنيس بن عمر في غزوة أحد جاء جبريل إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما أراد الرسول طلاقها فقال: «لَا تُطَلِّقُهَا؛ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا رُؤُوسُكَ فِي الْجَنَّةِ» [رواه الطبراني في الكبير]، وتوفيت سنة (٤٥ هـ).



الزوجة الخامسة: زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها- كانت تُلقَّب في الجاهلية بأمِّ المساكين ، وكانت من المهاجرين، أَسْتَشْهَد زوجها عبد الله بن جحش في غزوة أحدٍ فتزوَّجها رسول الله عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان سنة أربع من الهجرة، وتوفيَّت في السَّنة الرَّابِعة، ومدة زواجها من الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام شهران أو ثلاثة، وقيل: ثمانية أشهر، ودفنها الرسول، وصلى عليها الجنازة، وهي أول زوجة للرسول عليه الصلاة والسلام صلُّوا عليها صلاة الجنازة؛ لأن موت السيدة خديجة كان بمكة، فلم تشرع بَعْدُ صلاة الجنازة .



الزوجة السادسة: أمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها- رضي الله عنها- هي أم سَلَمَةَ بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، واسمها "هند"، زوجة الصحابي أبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد، أخو رسول الله من الرضاع تزوَّجها النبي عليه الصلاة والسلام بعد وفاة زوجها في السنة الرابعة من الهجرة، كان من السابقين في الإسلام، ثم توفيَّت سنة (٥٨ هـ) .



الزوجة السابعة: زينب بنت جحش - رضي الله عنها-
هي زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية، ابنة عمّة
رسول الله ﷺ عليهم السلام، وكانت متزوجةً من
الصحابي "زيد بن حارثة"، مولى الرسول عليهم
السلام، ثم تُوِّفِيَتْ سنة (٢٠ هـ).



الزوجة الثامنة: جويرية بنت الحارث - رضي الله
عنها- هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار
الخزاعية من بني المصطلق، تزوجها رسول الله ﷺ
عليه الصلاة والسلام في السنة الخامسة للهجرة،
وكان عمرها إذ ذاك عشرين سنة، فلمّا تزوجها
الرسول أطلق الصحابة أسرى قومها، فما يوجد
امرأة أعظم بركة على قومها منها، توفيت أم
المؤمنين جُويرية في المدينة سنة خمسٍ، وقيل:
سنة سبع وخمسين للهجرة، وعمرها (٦٥) سنة.

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ
أُمُّ حَبِيبَةٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الزوجة التاسعة: أم حبيبة - رضي الله عنها - واسمها رَمْلَة بنت أبي سفيان بن حرب، تزوجها رسول الله عليه الصلاة والسلام وهي بأرض الحبشة سنة سبع من الهجرة، ودفع مهرها النجاشي عن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام أربعمئة دينارًا، وهي أخت الصحابي معاوية، وابنة الصحابي أبو سفيان - رضي الله عنهم -، وهي أقرب زوجة لرسول الله من حيث النسب، توفيت سنة (٤٤ هـ).

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ
صَفِيَّةُ
بِنْتُ حُجَيْبٍ بِنْتُ أَخْطَبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الزوجة العاشرة: صَفِيَّة بنت حُجَيْبٍ - رضي الله عنها - من يهود بني النضير، أبوها سيد من سادات اليهود، ومن أكثر المحاربين لرسول الله عليه الصلاة والسلام تزوجها الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام في غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة، رأت في المنام وكأن القمر وقع في حجرها ففسرت بالزواج من الرسول عليهم السلام، ثم توفيت سنة (٥٠ هـ).



الزوجة الحادية عشر: مَيْمُونَةُ بنت الحارث - **رضي الله عنها** - هي مَيْمُونَةُ بنت الحارث بن حزن بن صَعْصَعَةَ، أخت أم الفضل زوجة عمّ الرسول العباس بن عبد المطلب تزوجها في السنة السابعة من الهجرة في عُمرَةِ القضاء، ويقال أنها التي وهبت نفسها للنبي عليهم السلام، وفيها كانت الآية القرآنية ﴿وَأَمْرًاؤُا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ثم تُوفِّيت سنة (٥١ هـ).



السيدة "مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةُ" - **رضي الله عنها** - مارية القبطية هي جارية، وملّك يمين أهداها المقوقس ملّك مصر إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام مع أختها "سيرين"، أنجبت من الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ولدًا سماه إبراهيم مات صغيرًا، توفيت سنة (١٢، أو ١٦ هـ).



التعريف بآل البيت الكرام:

آل البيت هم الأهل والقرابة المُعْتَمَدَ فيهما على النَّسَب، ويشمل -أيضاً- الزوجات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب ٣٣]، وآل بيت النبي هم الذين حرمت عليهم الصدقة، وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب **رضي الله عنهم**، وزوجاته الكريمات.

مكانة آل البيت عند الصحابة مكانة حب وأخوة، يَعْرِفُ أَهْلُ السَّنة والجماعة فضلَ ونسبَ ومكانةَ آل البيت الكرام، يقول ابن قيم الجوزية في "زاد المعاد" نسب النبي فقال: "وهو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق، فلنسيه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك "أبو سفيان" بين يدي ملك الروم، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذُه، أشرف فرع من عَشِيرَتِهِ فرعه .

ولقد طَهَّرَ **الله** -تعالى- آل بيت النبي من فوق سبع سموات، وأذْهَبَ عنهم رِجْسَ الشيطان؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، يقول سيدنا أبو بكر: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ» [رواه البخاري عن عبد الله بن عمر] .

وقال الصديقُّ أبو بكر لسيدنا علي: «وَاللَّهِ لَأَنْ أَصِلَ قَرَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصِلَ قَرَابَتِي أَنَا» [صحيح البخاري ومسلم] .

وكان الفاروق عمر بن الخطاب يقول لعَمِّ النبي العباس بن عبد المطلب: «فوالله لَإِسْلَامُكَ يَوْمَ أُسْلِمْتَ كَأَنَّ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أُسْلِمَ، وما بي إلا أني قد عرفتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ» [السلسلة الصحيحة، الألباني، عن عبد الله بن عباس] .

قال ابن كثير: فحال الشيخين -**رضي الله عنهما**- هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك.

ج أهل السنة والجماعة في آل البيت:

لقد أمرنا الإسلام بمحبتهم وإجلالهم وتعظيم قدرهم بدون إفراط أو تفريط، عن علي -رضي الله عنه- قال: «والذي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إنه لعهد إلى النبي أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق» [أخرجه مسلم].

وروى أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله: «الحسنُ والحسينُ سيِّدا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ» [أخرجه الترمذي].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- أن آل بيت النبي لهم حقوق يجب رعايتها، فإن الله قد جعل لهم حقاً في خمس الغنائم، وحقاً في الفياء، وأعظم ما فيه أن الله أمرنا بالصلاة عليهم مع رسوله في كل صلاة نصلحها عليه، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء .

من أعلام البيت النبوي الشريف



علي بن أبي طالب عليه السلام واسم أبي طالب عبد مناف ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي.

ابن عم رسول الله ﷺ، ورابع الخلفاء الراشدين، كناه رسول الله ﷺ بأبي تراب.

وزوج فاطمة عليها السلام سيدة نساء الأمة، وأبو السبطين الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة عليه السلام. زواجه من فاطمة عليها السلام كان في السنة الثانية من الهجرة.

وقيل أن فاطمة بنت أسد عليها السلام سمت ابنها علياً على اسم والدها أسد (حيدرة).

وقت إسلامه:

أسلم في أول البعثة المباركة، وهو ثاني الناس دخولا في الإسلام، بعد خديجة، وأول من أسلم من الصبيان. ولم يتخلف علي عليه السلام عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ، وله مواقف بطولية، وكان من أكثر الصحابة ثباتاً أثناء القتال، فأعطاه النبي ﷺ الراية في أكثر من مشهد. أمّا في غزوة تبوك فقد خلّفه رسول الله ﷺ على المدينة وعلى عياله، وقال له: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي". ولد في ١٣ رجب ٢٣ ق هـ/ ١٧ مارس ٥٩٩م - استشهد في ٢١ رمضان ٤٠ هـ/ ٢٧ يناير ٦٦١ م.

يقول الإمام علي عليه السلام:

وَحَمْرُهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي	مَحَمَّدُ النَّبِيُّ أَخِي وَصْهْرِي
يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أُمِّي	وَجَعَفَرُ الَّذِي يُضْحِي وَيُمْسِي
مَشُوبٌ لَحْمُهَا بِدَمِي وَلَحْمِي	وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكْنِي وَعُرْسِي
فَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي	وَسَبْطَا أَحْمَدَ وَلَدَايَ مِنْهَا



فاطمة الزهراء عليها السلام

فاطمة بنت رسول الله ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، سيدة نساء العالمين، ما عدا مريم بنت عمران. أمها خديجة بنت خويلد عليها السلام.

أم السبطين سيدا شباب أهل الجنة، أشبه الناس برسول الله ﷺ، وأول أهل بيته لحوقاً به ﷺ. زوج علي عليه السلام المبشر بالجنة. وكانت **رضى الله عنها** من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.

أمها: خديجة بنت خُوَيْلِد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَي بن كلاب سيدة نساء هذه الأمة.

تسمية «فاطمة»

قال الخطيب البغدادي وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: «أن الله ﷻ سمّاها فاطمة لأنه فطمها ومحبيها عن النار»، وفي سنن الأقوال والأفعال روى الديلمي عن أبي هريرة: «إنما سميت فاطمة لأن الله ﷻ فطمها ومحبيها عن النار». قال محب الدين الطبري في ذخائر العقبى: «إن الله ﷻ فطمها وولدها عن النار».

فاطمة تكنى أم أبيها

وتكنى بأم أبيها. والسبب لأن النبي ﷺ ولد يتيمًا، ثم ماتت أمه وهو طفل صغير، وعاش في بيت أبي طالب وكانت تحنو عليه فاطمة بنت أسد وتعلق قلبه بها، ولقد كان يناديها يا أماه، وعندما توفيت حزن عليها حزناً شديداً ورزقه الله فاطمة، وكلما رآها ذكر فاطمة بنت أسد، ولهذا كناها أم أبيها.

وقيل لأنها كانت تعامل النبي ﷺ معاملة الأم لولدها؛ فكانت ترعى النبي ﷺ رعاية متميزة كـرعاية الأم لولدها، وكانت تضمّد جراح أبيها بعد الغزوات أو عند تعرض الكفار للنبي حيث كانوا يتعرضون له بالأذى. فكانت له بمثابة الأم الرحيمة والعطوفة التي تعطيها حنانها ومحبتها.

مولدها:

ولدت قبل البعثة النبوية بخمس سنين وقريش تبني البيت في اليوم الذي وضع فيه النبي محمد ﷺ
الحجر الأسود في مكانه.

وكانت تلقب بالزهراء

وإطلاق لقب "الزهراء" علي فاطمة ؑ أطلقه كثير من أهل العلم، منهم وأبو زكريا النووي، وأبو
الحجاج المزي، وأبو عبد الله الذهبي، وابن كثير الدمشقي، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم، وكل هؤلاء
من حفاظ المسلمين وعلمائهم وممن يقتدى بهم. ولم يتخرج كثير من علماء العصر الحديث من
إطلاق هذا اللقب عليها رضي الله عنها.

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: "فاطمة الزهراء: المرأة المشرقة الوجه، البيضاء المستنيرة،
ومنه جاء الحديث في سورة البقرة وآل عمران: (الزهاوان) أي: المنيرتان".^١

فضائلها

من المعلوم أن فاطمة ؑ سيدة نساء هذه الأمة لقول رسول الله ﷺ: عن مسور بن مخرمة (فاطمة
بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني) رواه البخاري. وقال لها النبي ﷺ: (يا فاطمة! ألا ترضين أن تكوني
سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟) رواه البخاري. وفي رواية الطبراني وصححها الألباني:
(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا، وفاطمة
سيدة نساء أهل الجنة، إلا ما كان من مريم بنت عمران).

وفاتها

يقول ابن الأثير توفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر. هذا أصح ما قيل، وما رثيت ضاحكة بعد
وفاة رسول الله ﷺ حتى ماتت. رضي الله عنها

وكانت أول أهله لحوقا به، تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم.

^١ المصدر: موقع الإسلام سؤال وجواب



الحسن بن علي أمير المؤمنين ؑ

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب الشهيد ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا ، وهو سيد شباب أهل الجنة ، أمه السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وأبوه أمير المؤمنين علي ؑ ، وحفيد أم المؤمنين خديجة وخامس الخلفاء الراشدين وأكثر الناس شهياً برسول الله ﷺ.

ولد رضي الله عنه وأرضاه في رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية على الصحيح ، وقيل: ولد في شعبان ، وقيل: غير ذلك. قال الليث بن سعد: ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي في شهر رمضان من ثلاث ، وولدت الحسين في ليال خلون من شعبان سنة أربع.^١

قال علي بن أبي طالب ؑ ، لما ولد الحسن سميته حرباً فجاء النبي ﷺ فقال أرؤني ابني ما سميتموه؟ قلنا: حرباً ، قال: لا ، بل هو حسن ، فلما ولد الحسين سميته حرباً ، فجاء النبي ﷺ فقال: أرؤني ابني ما سميتموه؟ قلنا: حرباً قال: بل هو حسين. فلما ولد الثالث سميته حرباً ، فقال: بل هو محسن ، ثم قال: إني سميتهم بولد هارون: شبر وشبير ومشبر.^٢

وأذن رسول الله ﷺ في أذنيه بالصلاة وحنكه رضي الله عنه وأمر بحلق شعره والتصدق بوزنه فضة.

وعن أبي بكره قال: كان النبي يصلي ، فكان إذا سجد جاء الحسن فركب ظهره ، فكان النبي ﷺ إذا رفع رأسه أخذه فوضعه على الأرض وضعاً رقيقاً ، فإذا سجد ركب ظهره ، فلما صلى أخذه فوضعه في حجره ، فجعل يقبله ، فقال له رجل: أتفعل بهذا الصبي هكذا ؟ فقال: إنهما ريحانتاي ، وعسى الله عز وجل أن يصلح به بين فئتين من المسلمين.^٣

^١ نسب قريش (٢٣/١)

^٢ مسند أحمد (٩٨/١ ، ١١٨) صحيح ابن حبان (٤١٠/١٥) إسناد الحديث صحيح

^٣ صحيح ابن حبان رقم ٦٩٦٤.

وفاته رضي الله عنه

اختلف في زمن وفاة الحسن، وأكثر الآراء أنه توفي سنة ٤٩ هـ، وقيل سنة ٥٠ هـ ومات وهو ابن سبع وأربعين سنة، [أو ثمان وأربعين سنة] وزُوي أنه قبل مماته رأى رؤيا كأن بين عينيه مكتوبٌ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ففسرها سعيد بن المسيب أن أجله قد اقترب.

الإمام الحسيناسمه وكنيته:

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم سبط ﷺ، وريحانته ومحبوبه، ابن بنت رسول الله ﷺ، فاطمة ﷺ.

وهو خامس أصحاب الكساء. وأصحاب الكساء كما جاء في

الحديث عن عائشة رضي الله عنها، خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" (١).

مولده

اختلف في تاريخ ميلاده، وأرجح الأقوال أنه ولد في شهر شعبان سنة أربعة من الهجرة، تحديدا في ٥ شعبان، وقيل ٣ شعبان.

وبعد مولده

^١ حديث صحيح مسلم

أَتَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَذَنَ فِي أُذُنَيْهِ بِالصَّلَاةِ، وَعَقَّ عَنْهُ بِكَبْشٍ كَمَا فَعَلَ مَعَ أَخِيهِ الْحَسَنِ، وَكَانَ يَأْخُذُهُ مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ، فَيَصِلِي بِالنَّاسِ، وَكَانَ يَرْكَبُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى كَتْفَيْهِ، وَيُقَبِّلُهُ وَيَدَاعِبُهُ وَيَضَعُهُ فِي حَجْرِهِ وَيَرْقِيهِ. تَوَفَّى النَّبِيُّ ﷺ سَنَةَ ١١ هـ، وَالْحَسَنِ ﷺ حِينَهَا بَيْنَ السَّادَةِ وَالسَّابِعَةِ.

من فضائله رضي الله عنه

وجاء في مناقبه و فضائله أحاديث كثيرة منها:

ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلي العامري رحمه الله أنه خرج مع رسول الله ﷺ: يعني إلى طعام دعوا له، قال فاستمثل رسول الله ﷺ أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبي يفر هنا مرة وها هنا مرة، فجعل النبي ﷺ يضاحكه حتى أخذه. قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه الأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وقبله وقال: حسين مني وأنا من حسين، اللهم أحب من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط

حب الصحابة له

تشهد كتب السنة والشيعة ان الصحابة الكرام دائماً ما كانوا يظهرون حُبهم وتوقيرهم لآل البيت. ففي عهد عمر بن الخطاب رحمه الله قد كان يُجل السبطين الحسن والحسين، ويجعل لهما نصيباً من الغنائم.

إخبار الرسول ﷺ بمقتل الحسين رحمه الله:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان جبريل عند النبي ﷺ والحسين معي فبكى الحسين فتركته فدخل على النبي ﷺ فدنى من النبي ﷺ فقال جبريل: أتُحِبُّهُ يَا مُحَمَّدُ؟ فقال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فأراه إياها فإذا الأرض يقال لها كربلاء.^١

موضع رأس الحسين رحمه الله

^١ فضائل الصحابة رقم ١٣٩١ بسند حسن

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية والذي رجحه أهل العلم في موضع رأس الحسين بن علي - رضي الله عنهما - هو ما ذكره الزبير بن بكار في كتاب "أنساب قريش" والزبير بن بكار هو من أعلم الناس وأوثقهم في مثل هذا ذكر أن الرأس حمل إلى المدينة النبوية ودفن هناك

رضي الله عنهم الله عز وجل عن الصحابة الكرام وآل بيته الأطهار الأعلام ورزقنا الله ﷺ صحبتهم في الجنة.

اسماء الرسول ﷺ :

ومن أسمائه أيضاً أحمد: قال تعالى علي لسان عيسى بن مريم: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: ٦]

وكذلك من أسمائه: أيضاً الماحي، والحاشر، والعاقب. فعن جبير بن مطعم، عن أبيه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي متفق عليه (١)

نسب النبي - صلى الله عليه وسلم:-

ينتسب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى قبيلة قريش، وقبيلة قريش يتصل نسبها إلى نبي الله إسماعيل بن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: فهو نسب شريف وعظيم فهو من أفضل قبيلة، وأعظم بلد في الدنيا فمعروف أن قريش أفضل العرب نسباً وشرفاً

فعن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ". صحيح مسلم

أبوه: عبد الله بن عبد المطلب، كان أجمل شاب في قريش، عاش طاهراً كريماً حتى تزوج بأمنة بنت وهب أم الرسول صلى الله عليه وسلم.

أمّه: أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وزهرة هو أخو قصي بن كلاب جد الرسول **صلى الله عليه وسلم**، وكان أبوها سيد بني زهرة.

جدّه: عبد المطلب بن هاشم، هو سيد قبيلة قريش، وكان محل احترام لدي الجميع وكان هو السيد المطاع في قريش وكان يفعل الخير لكل الناس، وقد اشتهر بحفر بئر زمزم التي تسقي الناس بمكة المكرمة

مولد - صلى الله عليه وسلم -

ولد عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين ١٢ من شهر ربيع الأول من عام الفيل. وقيل يوم الاثنين التاسع من ربيع الأول،

الموافق بالتاريخ الميلادي العشرين من أبريل من سنة ٥٧١ م ولقد توفي أبوه وهو في بطن أمه - **صلى الله عليه وسلم** -

وكانت ولادته: عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - **صلى الله عليه وسلم** - سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ قَالَ: "ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ (القرآن) عَلَيَّ فِيهِ" (رواه مسلم)

وكان مولده عليه الصلاة والسلام في عام الفيل:

عن ابن عباس، - **رضي الله عنه** - قال: (ولد النبي - **صلى الله عليه وسلم** - في عام الفيل)

وعام الفيل هو العام الذي حدثت فيه قصة غزو الكعبة، حيث توجه أبرهة الأشرم الحبشي، أمير النجاشي على اليمن، بفيله العظيم وجيشه الضخم لهدم الكعبة المشرفة بيت الله الحرام، فأرسل الله عز وجل عليهم الطير الأبابيل فهلكوا جميعاً:

قال الله عز وجل (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ.

أَكْثَرُ النَّاسِ شَبِهَا بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

كان الحسن بن علي بن أبي طالب رحمه الله من أكثر الناس شبها برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك فاطمة رضي الله عنها: وجعفر بن أبي طالب، والحسن بن علي، وقتب بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث، والسائب بن عبيد، رضي الله تعالى عنهم.

الهجرة النبوية دروس وعبر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٤٠ التوبة

مناسبة الهجرة من أعظم المناسبات في تاريخ الأمة حيث نتعلم منها التضحية والثبات والإقدام والصدق وحسن التخطيط والتدبير من رسولنا الكريم عليهم السلام ومن صحابته الكرام **رضي الله عنهم أجمعين**

هجرة الحبيب صلى الله عليه من مكة الي المدينة

المكان: دار سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه

الزمان: في ٢٧ صفر سنة ١٤ من البعثة النبوية، الموافق ١٢ سبتمبر سنة ٦٢٢م

التخطيط: الذهاب الي غار ثور وهو كهف في جبل بأسفل مكة ، وقد مكث النبي عليه الصلاة والسلام وأبو بكر في هذا الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وقد خرجا من الغار في يوم الاثنين ١ ربيع الأول ١ هـ، وقيل ٤ ربيع الأول ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد

الغار من الخارج والداخل



الهدف الوصول الى المدينة المنورة والنزول بقباء: وفي يوم الإثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة- وهي السنة الأولى من الهجرة- الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ٦٢٢ م نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء أربعة أيام: الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس «٢». وأسس مسجد بقاء وصلى فيه، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة، فلما كان اليوم الخامس- يوم الجمعة- ركب بأمر الله له، وأبو بكر ردفه، وأرسل إلى بني النجار- أخواله- فجاؤوا متقلدين سيوفهم، فسار نحو المدينة، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، وكانوا مائة رجل «١»

^١ «الرحيق المختوم مع زيادات» (ص ١١٧):

أحداث سابقة

وقد كان عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه على قبائل العرب ، ويذهب الى الحجاج في منى ، ويتحدث مع القبائل قبيلة قبيلة ، ويسأل عن منازلهم ويأتي إليهم في الأسواق مثل عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز ، فلم يجبه أحد. فعن جابر بن عبد الله قال: «كان النبي عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه على الناس في الموقف ويقول: ألا رجل يعرض عليّ قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»، وذكر الواقدي أنه أتى بني عبس وبني سليم وغسان وبني محارب وبني نضر ومرة وعذرة والحضارمة، فيردون عليه أقبح الرد، ويقولون: «أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك».

بيعة العقبة الأولى وكانت بمنطقة منى

وبينما كان النبي يعرض نفسه على القبائل عند «العقبة» في منى، لقي ستة أشخاص من الخزرج من يثرب، هم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقُطَبة بن عامر بن حديدة، وعُقبه بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله»، فدعاهم إلى الإسلام، فقال بعضهم لبعض «يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه». وقد كان اليهود يتوعدون الخزرج بقتلهم بنبي آخر الزمان. فأسلم أولئك النفر، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم. فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم خبر النبي محمد، ودعوههم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من النبي محمد. حتى إذا كان العام المقبل، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقيه بالعقبة في منى، فبايعوه، فكانت بيعة العقبة الأولى.

إسلام الأنصار

بعث النبي عليه الصلاة والسلام مصعب بن عمير الي أهل يثرب يُقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام. فأقام في بيت أسعد بن زرارة يدعو الناس إلى الإسلام، ويصلي بهم. فأسلم على يديه سعد بن عبادة وأسيد بن حضير وهما يومئذٍ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، فأسلم جميع قومهما بإسلامهما، ثم أسلم سعد

بن معاذ، وانتشر الإسلام في يثرب، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد، وخطمة، ووائل، وواقف.^(١)

بيعة العقبة الثانية

وكانوا ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من الأنصار في موسم الحج، وقالوا له «يا رسول الله نبايعك؟» فقال لهم: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة»، فبايعوه رجلاً رجلاً بدءاً من أسعد بن زرارة وهو أصغرهم سنًا. فكانت بيعة العقبة الثانية وقد كانت في شهر ذي الحجة قبل الهجرة إلى المدينة بثلاثة أشهر، الموافق (يونيو سنة ٦٢٢ م)، ثم قال لهم: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم»، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وقال للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي».^(٢)

تفاصيل الرحلة يروها الإمام البخاري كما في صحيح البخاري (٥٨ / ٥)

٣٩٠٥ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عَزُورَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: لَمْ أَغْقِلْ أَبُوي قَطُّ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفِي النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تَرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنْ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ وَلَا يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَغْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ أَرْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَارْجِعْ وَارْتَحِلْ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَنْتُمْ جُوعَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَغْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى

^١ ابن كثير (١٩٩٧)، ج. ٤، ص. ٣٧٤.

^٢ ابن كثير (١٩٩٧)، ج. ٤، ص. ٣٧٤.

نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ فُرَيْشَ بِجَوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا: لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِنَا بِذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ، فَإِنَّا نَحْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيُنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاءُؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَأَفْرَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ فُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجْرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكَ، عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَفْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلْ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ، فَسَلِّهِ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْإِسْغِلَانَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتَ لَكَ [ص: ٥٩] عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا أَنْ تَفْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفَرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جَوَارِكَ، وَأَرْضَى بِجَوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هَجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ» وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَةً مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْخَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَيِّ أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَزَقَّ السَّمُرَ وَهُوَ الْخَبْطُ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: غُرُودُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَتَيْنِمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الطَّيْهَرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءُ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، يَا أَبَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَيِّ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - يَا أَبَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِالْتَّمَنِ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْتَّ الْجِهَارَ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جَرَابٍ، فَقَطَعْتَ أَسْمَاءُ بِنْتُ

أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطْتُ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بَغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، بَيَّتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفْتُ لَقْنًا، فَبَدَّلْتُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا غَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مَنَحَهُ مِنْ غَنَمٍ، فَأَرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبْيِثَانِ فِي رِسْلِ، وَهُوَ لَبَنٌ مَنَحْتُهُمَا وَرَضِيفُهُمَا، حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا غَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّبِلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بَنِ عَدِيٍّ، هَادِيَا خَرِيَّتًا، وَالْخَرِيَّتُ الْمَاهِرُ بِالْهَدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِي بْنِ وائِلِ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمَنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَأَنْطَلَقَ مَعَهُمَا غَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالِدِّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاغِلِ ^(١)

الدروس والعبر

١ - معية الله تعالى لعباده الصالحين

قَالَ تَعَالَى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧]، وَقَالَ تَعَالَى: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠].

وَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَاطَأَ بِصَرِّهِ رَأْنَا، قَالَ: اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ اثْنَانِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا"

التضحية بالنفس والمال

^١ ومعنى (الخيطة) ما يخط بالعصا فيسقط من ورق الشجر. (نحر الظهيرة) أول الزوال عند شدة الحر. (متقنعا) مغطيا رأسه. (أهلك) أي لا يوجد أحد يشك فيه إنما هي زوجتك عائشة وأختها أسماء رضي الله عنهما. (الصحابه) أريد مصاحبك. (أحث) من الحث وهو الإسراع. (الجهاز) ما يحتاج إليه في السفر. (سفرة) الزاد الذي يصنع للمسافر. (جراب) وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه. (فكمنا) فمكثنا مختفيين. (ثقف) حاذق فطن. (لقن) سريع الفهم حسن التلقي لما يسمعه ويعلمه. (فيدلج) يخرج وقت السحر منصرفا إلى مكة. (يكتادان به) يدبر بشأنهما ويمكر به لهما ويسبب لهما الشر والأذى. (وعاه) حفظه. (منحة) الناقة أو الشاة يعطى لبنها ثم جعلت كل عطية منحة وكذلك تطلق على كل شاة. (فيريحها) من الرواح وهو السير في العشي. (رسل) اللبن الطري. (رضيفهما) هو اللبن الذي جعل فيه الرضفة وهي الحجارة المحمأة لتذهب وخامته وثقله وقيل الرضيف الناقة المحلوقة. (ينعق) يصبح بغنمه. (بغلس) هو ظلام آخر الليل

كان النبي عليه الصلاة والسلام قد أمر علياً أن يؤدي الأمانات إلى أهلها وأن ينام في فراشه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له نم على فراشي، وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فتم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام «^١»

وقد بقي سيدنا علي في مكة ثلاثة أيام حتى جاءت رسالة النبي عليه الصلاة والسلام عن طريق أبي واقد الليثي يأمره فيها بالهجرة للمدينة

وعن أم سلمة - وهي أول امرأة مهاجرة في الإسلام - تقول: "لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، رَحَّلَ بَعِيرًا لَهُ، وَحَمَلَنِي وَحَمَلَ مَعِيَ ابْنَهُ سَلَمَةَ، ثُمَّ خَرَجَ يَقُودُ بَعِيرَهُ، فَلَمَّا رَأَى رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بَنَ مَخْزُومًا، قَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبَتْنا عَلَيْهَا، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتِنَا هَذِهِ، عَلَامَ نَتْرُكَكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟ فَأَخَذُونِي، وَغَضِبَتْ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَأَهْوَوْا إِلَى سَلَمَةَ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَتْرُكَ ابْنَتَنَا عِنْدَهَا؛ إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا، فَتَجَاذَبُوا ابْنِي سَلَمَةَ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ، وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ، وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ حَتَّى لَحِقَ بِالْمَدِينَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي، فَكُنْتُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَنَةً كَامِلَةً تَبْكِي، حَتَّى أَشْفَقُوا مِنْ حَالِهَا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهَا، وَرَدُّوا عَلَيْهَا ابْنَهَا، فَجَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهَا بِزَوْجِهَا فِي الْمَدِينَةِ".

ومن نماذج التضحية في الهجرة التضحية بالمال

فعن سعيد بن المسيب قال: خرج صهيب مهاجراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من المشركين، فنثر كنانته وقال لهم: يا معشر قريش، قد تعلمون أني من أركامكم، والله لا تصلون إلى حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقى منه في يدي شيء، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه. قالوا: فدلنا على مالك ونخلى عنك. فتعاهدوا على ذلك، فدلهم ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ربح البيع أبا يحيى»، فأنزل الله تعالى فيه: "ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله".

قد قال الله فيهم: {الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحشر: ٨).

^١ «الرحيق المختوم مع زيادات» (ص ١٠٨):

وقالت أسماء بنت الصديق رضي الله عنها: "لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله، وكان خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فانطلق به معه. قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله! إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه! قالت: قلت: كلا يا أبت! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: فأخذت أحجاراً، فوضعتها في كوة في البيت، التي كان أبي يضع أمواله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال! قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم! ولا والله ما ترك لنا أبي شيئاً، ولكنني أردت أن أسكن الشيخ.

أداء الأمانة

كان النبي عليهم السلام قد أمر علياً أن يؤدي الأمانات إلى أهلها فتخلف عن الهجرة أياما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك". سنن الترمذی،

التخطيط الجيد

من التخطيط الجيد والاستعداد الممتاز أنه جاء صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر في وقتٍ شديد الحر، وهو الوقت الذي لا يكاد يخرج فيه أحد، ولم يكن من عادته صلى الله عليه وسلم الخروج فيه، وإنما فعل ذلك حتى لا يراه أحد من المشركين.

وكان قد سلك الطريق الواقع جنوب مكة، والمتجه نحو اليمن، نحو خمسة أميال

وهذا الطريق معاكس لطريق المدينة لأنها في الشمال، وكان الخروج للهجرة ليلاً، ومن باب خلفي في بيت أبي بكر.

وقد اختار النبي عليه الصلاة والسلام أسماء بن الصديق التي عرفت بذات النطاقين رضي الله عنها تحمل الشراب والطعام من مكة إلى الغار.

واختار عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما أن يأتي بالخبر إليه النبي صلى الله عليه وسلم. وعامر بن فهيرة رضي الله عنه الراعي الذي يرعى بغنمه فيمحو أثار أقدامهم، واختار أيضاً عبد الله بن أريقط: دليلاً لهم حيث كان دليلاً ماهراً

قال ابن القَيِّم رحمه الله: "في استئجار النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أريقط الدؤلي هاديًا في وقت الهجرة - وهو كافر - دليل على جواز الرجوع إلى الكافرين في الطب والأدوية والكتابة والحساب ونحوها ما لم يكن ولاية تتضمن عدالة، ولا يلزم من مجرد كونه كافرًا أن لا يوثق به في شيء أصلاً، فإنه لا شيء أخطر من الدلالة في الطريق ولا سيما في مثل طريق الهجرة" [١].

محبة الصحابة لرسول الله عليهم السلام

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: "فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ".

ولما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخل فكسحه، ووجد في جانبه ثقباً فشق إزاره وسدها به، وبقي منها اثنان فألقمهما رجله، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ادخل. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضع رأسه في حجره ونام، فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: مالك يا أبا بكر؟ قال لدغت، فذاك أبي وأمي، ففتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب ما يجده «٢»

وعندما لحق بهما سراقه بن مالك بكى الصديق في الغار فسأله عليهم السلام، فقال: (ما يُبْكِيكَ؟) فقلتُ: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكني أبكي عليك. قال: فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ، قال: فساخَتْ بِهِ قَرْسُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا، فَوُثِّبَ عَنْهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُنَجِّيَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي مِنَ الطَّلَبِ".

^١ بدائع الفوائد (٢٠٨/٣).

^٢ «الرحيق المختوم مع زيادات» (ص ١٠٩):

شهادة العرب والمسلمين

فعن أم سلمة **رضي الله عنها**: خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق **الله**. قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي. حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا **والله** إلا **الله** وبني هذا. قال: **والله** ما لك من متبرك. فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوى بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري؛ أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة.

الإيثار والحب في الله تعالى

ضرب لنا صحابة النبي **صلى الله عليه وسلم** أروع الأمثلة في الإيثار؛ لما أخى النبي **صلى الله عليه وسلم** بين المهاجرين والأنصار قالت الأنصار للنبي **صلى الله عليه وسلم**: أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: «لا» فقالوا: تكفونا المئونة، ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا.

عَنْ أَنَسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّهُ قَالَ: "قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتِ الْأَنْصَارُ أَنَّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَاَنْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطْلِقُهَا، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَعَلَيْهِ، وَضُرَّ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (مَهْمِمْ) قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ (مَا سُفَّتِ إِلَيْهَا؟). قَالَ: وَزَنَ نَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاقٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: (أُولُمُ وَلَوْ بِشَاةٍ)".^(١)

^١ البخاري (٣٧٨١)

حب النبي عليه الصلاة والسلام لبلده ووطنه

فكان يردد ويقول (والله! إنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ).

قالت عائشة: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال، فدخلت عليهما فقلت: يا أبت كيف تجدك، ويا بلال كيف تجدك، قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبَّح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أفلح عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بوادٍ وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة: فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فقال: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد حباً، وصحبها، وبارك في صاعها ومدها، وانقل حماتها فاجعلها بالجحفة «١»

التعاون في الخير

كان أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم عندما قدم إلى المدينة المنورة هو بناؤه لمسجده الشريف في المكان الذي بركت فيه ناقته، وكان ملكاً ليتيمين فاشتراه النبي صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المسجد، وكان يعمل فيه بنفسه مع أصحابه الكرام، وقد بدأ بناء المسجد في ربيع الأول سنة واحد من الهجرة بعد وصول النبي صلى الله عليه وسلم

كان عمار بن ياسر رضي الله عنه يحمل لبنتين في كلّ مرة، فرآه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو على هذه الحال فجعل ينفذ التراب عن رأسه ويقول: (يا عمار، ألا تحمل لبنة لبنة كما يحمل أصحابك

^١ صحيح البخاري ٥٨٨ / ١، ٥٨٩ «الرحيق المختوم مع زيادات» (ص ١١٩):

؟) ، فردّ عليه قائلاً: " إني أريد الأجر عند الله " فالتفت النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه وقال : (وبع عمار ، تقتله الفئة الباغية) رواه البخاري .



العقيدة الإسلامية ، والحاجة إلى التوحيد:

لا بد أن نعلم أن كلمة التوحيد هي أعظم كلمة في الدنيا ، وبسببها خلق الله تعالى آدم عليه السلام وبقي البشر ، وكلمة التوحيد هي (لا إله إلا الله)



قال الله عز وجل:

﴿وَالْهَيْكَمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿آل عمران: ١٨﴾

وقال تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]

وكلمة التوحيد : هي الكلمة التي يدخل بها الإنسان الإسلام ، وهي أفضل الكلام بعد القرآن ، وهي أحب الكلام إلى الله ﷻ ، وهي كلمة الإخلاص ، وهي أول كلمة دعت إليها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وأول شيء دعا إليه النبي عليه الصلاة والسلام عندما دعا الناس إلى الإسلام فقال لقومه : قولوا : لا إله إلا الله ؛ تفلحوا . وهي الكلمة التي تدخل المسلم الجنة وتنجيهِ من النار .

شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

معنى (أشهد) أقر بقلبي و بلساني، ومعنى: (لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله.

ومعنى: شهادة أن لا إله إلا الله أن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود بحق إلا الله عز وجل، فكل ما عبد من دون الله فهو باطل.

سبب خلق الإنسان: لقد خلقنا الله ﷻ من أجل التوحيد ؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

ومعنى ﴿يعبدون﴾: أي يقرون لله بالوحدانية.

فالله الذي خلقنا وخلق جميع البشر وهو المعبود الوحيد سبحانه وتعالى، ليس لنا معبود سواه.

كيف عرفنا الله تعالى نحن أهل التوحيد وأهل الإسلام ، عرفنا الله تعالى ، بآياته ومخلوقاته، ومن آياته سبحانه وتعالى:

الليل، والنهار، والشمس، والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع، ومن فيهنّ، وما بينهما والأشجار والبحار والحيوان ، يقول ابن عباس: "عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي"، أي: هو الذي عرفني بنفسه من خلال آياته ووحيه ، ولولا هذا الوحي وهذه الآيات ما عرفت الله تعالى.



معنى العبادة

ومعنى العبادة: كل عمل يحبه الله تعالى، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ومنها: الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعادة، والاستغاثة، والذبح، والنذر. فكل هذه الأشياء لا تكون إلا لله عز وجل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . في رسالته القيمة العبودية : " العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة .

وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضى بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله تعالى .

أقلها هو ما إليه هداك
عجب عجاب لو ترى عيناك
حاولت تفسيراً لها أعياك
من يا طبيب بطبه أرداك؟
عجزت فنون الطب من عافاك؟
من بالمنايا يا صحيح دهاك؟
فهوى بها من ذا الذي أهواك؟
بلا اصطدام من يقود خطاك؟
راع ومرعى ما الذي يرعاك؟

لله في الآفاق آيات لعل
ولعل ما في النفس من آياته
والكون مشحون بأسرار إذا
قل للطبيب تحطفت يد الردى
قل للمريض نجا وعوفي بعدما
قل للصحيح يموت لا من علة
قل للبصير وكان يحذر حفرة
بل سائل الأعمى خطا بين الزحام
قل للجنين يعيش معزولاً بلا

و معنى (الحمد لله) أن الله وحده الذي يستحق كل المحامد : والشكر الخالص لله جل ثناؤه دون غيره

سورة التوحيد هي سورة الإخلاص

قال تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ ﴿الإخلاص: ١ - ٤﴾

سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن: فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ. قَالَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ). رواه مسلم

والسبب: أن القرآن الكريم نزل على ثلاثة أقسام: ثلث منه للأحكام، وثلث منه للوعد والوعيد، وثلث منه لتوحيد الله تعالى وأسماء الله وصفاته.

فسورة الإخلاص تناولت ثلث التوحيد. ومعنى (الصمد) المقصود في الحوائج. والذي ليس له نظير ولا شبيه. فهو الكامل في صفاته المحتاج إليه جميع مخلوقاته.

ومعني ولم يكن له كفوا أحد، أي ليس له مكافئ، ولا شبيهه، ولا مثيل، ولا نظير في كل شيء {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} سورة الشورى.

و معنى (حسبنا الله ونعم الوكيل) أي الله هو كافيني، وهو خير من نتوكل عليه.

ومعنى (سبحان الله) تنزيه الله عن كل نقص

معني أشهد أن محمدًا رسول الله.

و من كمال التوحيد أيضًا أن يشهد الإنسان ، ويقر بقلبه وينطق بلسانه أنه لا أحد يستحق الاتباع إلا رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم)



ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: الاعتقاد الجازم بالقلب، والإقرار باللسان بأن محمدًا بن عبد الله الهاشمي القرشي ﷺ عبْدُ الله ورسوله.

واجب المسلم تجاه الرسول ﷺ .

وواجب علينا تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه

وهذه الشهادة تقتضي أمورًا:

١. أولًا: الإيمان بأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل للثقلين الإنس والجن كافة، ولم يُبعث لقومه خاصة، كباقي الأنبياء والرسل

عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله عليهم السلام (كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة). صحيح البخاري

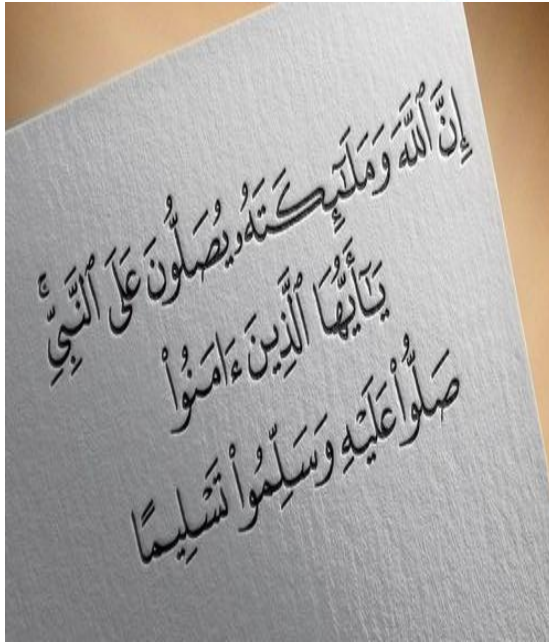
٢. ثانيًا: الإيمان بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو أفضل الخلق أجمعين.

٣. ثالثًا: الإيمان بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين والمرسلين فلا نبي بعده.

٤. رابعًا: تقديم محبة النبي صلى الله عليه وسلم على محبة كل من سواه من المخلوقين.

٥. خامسًا: وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم فيما أمر، والبعد عن ما نهى.

٦. سادسًا: وجوب تصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به.



٧. سابعًا: ألا نعبد الله تعالى إلا بما

شرعه لنا صلى الله عليه وسلم.

٨. ثامنًا: وجوب التأسي به صلى الله

عليه وسلم واتخاذة قدوة.

٩. تاسعًا: وجوب إجلاله صلى الله عليه

وسلم وتعظيمه وتوقيره.

١٠. عاشرًا: وجوب التحاكم إليه صلى الله

عليه وسلم عند الاختلاف والرجوع

والى سنته بعد موته. وغير ذلك من

الأمر.

قال الله في حقه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل: يا رسول الله ومن أبى؟! قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى (رواه البخاري في صحيحه)

ولا ننسى أن نكثر من الصلاة والسلام عليه عليه الصلاة والسلام في كل وقت وكل حين، وخاصة يوم الجمعة.

و معنى (الصلاة على رسول الله)؟ ثناء الله عليه في الملائكة - الملائكة.

التواصي بالحق والتواصي بالصبر (من صفات المؤمنين الفائزين ما جاء في سورة العصر)

قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم **وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)**

يقول الإمام الشافعي عن سورة العصر " إنها سورة، لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم". وقال أيضا: " لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم".

أقسم الله تعالى بالعصر ، والمقصود بالعصر الزمان، فجميع جنس الإنسان في خسارة وهلاك إلا من قام بأربع صفات:

١. الإيمان: وهو معرفة الله تعالى، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام.
٢. العمل الصالح: مثل الصلاة والزكاة والصيام والصدق وبر الوالدين.
٣. التواصي بالحق: وهو الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، والترغيب في ذلك.
٤. التواصي بالصبر: وهو الصبر على فعل الطاعات، والصبر عند وقوع المصائب.

قال تعالى **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** (آل عمران ١١٠)

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ يُوْشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ) رواه الترمذي وَقَالَ: حديث حسن

ولقد كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. إذا التقيا لم يتفرقا، حتى يقرأ أحدهما على الآخر: والعصر إن الإنسان لفي خسر". ثم يسلم أحدهما على الآخر. رواه أبو داود في كتاب الزهد. وصححه الشيخ الألباني.

والسبب هو ، هو ما تضمنته السورة المباركة من التواصي بالحق والتواصي بالصبر على الحق:

أقسام التوحيد أنواعه وأقسامه:

التَّوْحِيدُ، وهو لغةً: جعلُ الشيء واحدًا غيرَ متعدّدٍ. وفي الشرع، هو الإيمان بأنَّ الله واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريكَ له في مُلكه وتديره، فهو المستحقُّ للعبادة فلا تكون العبادة لغيره:

قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]

أنواع التوحيد هي:

١- توحيد الربوبية: وهو أفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك، والتدبير) يعني: لا رب سوى الله تعالى؛ فهو الخالق المالك المدبر.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]

٢- توحيد الألوهية: ومعناه: لا معبود بحق إلا الله.

وهو توحيد الله بأفعال العباد التي أمرهم بها، فجميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له، مثل الدعاء والخوف والتوكل والاستعانة والاستعادة، وغير ذلك، فلا ندعو إلا الله، ولا نسأل أحدا سواه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

٣- توحيد الأسماء والصفات: يعني أن الله تعالى ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته.

قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الشورى ١٢)

فيجب الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة الثابتة من أسماء الله وصفاته التي وصف الله بها نفسه أو وصّفه بها رسوله ﷺ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل:

فمن أسماء الله تعالى الثابتة في الكتاب والسنة: الرحمن ويتضمن صفة الرحمة، والسميع ويتضمن صفة السمع، والعزیز ويتضمن صفة العزة، والحكيم ويتضمن صفة الحكمة، والقدير يتضمن صفة القدرة، سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]،

وقال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحشر ٢٢

أعظم ما أمر الله به التوحيد

والتوحيد معناه: إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك.

والتوحيد أعظم شيء في الدنيا

فعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله" رواه ابن حبان، والحاكم وصححه

"فحق الله على العباد" هو التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى وترك ما يعبد من دونه عز وجل .

قول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} سورة الذاريات آية: ٥٦..

وقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} سورة النحل: ٣٦

قال تعالى {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: ١١١] .

وقال تعالى {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا} سورة الإسراء آية: ٢٢.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: "يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟" فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً"، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشروهم فيتكلوا متفق عليه

ولا بد أن نعلم أن للتوحيد فوائد كثيرة منها

١_ تكفير للذنوب والسيئات

عبد الله بن عمرو مرفوعاً: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام " يصاح برجل من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر ثم يقال: أتنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب فيقال: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة " رواه الترمذي وحسنه

وعن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قال الله تعالى: يا ابن آدم؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة " حسن الترمذي

٢_ الفوز بالجنة و البعد عن النار.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " متفق عليه

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار " رواه مسلم

عن عتيان: قال قال رسول الله عليهم السلام " فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله " البخاري ومسلم

٣_ عصمة الدم والمال

عن حديث طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه. عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل) رواه مسلم
وعلي المسلم أن يتعلق قلبه بالله سبحانه وتعالى، فالاستعانة والسؤال والاعتماد لا يكون إلا علي الله تعالى وهذا من صميم التوحيد "

فعن ابن عباس عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال " احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، جفت الصحف ورفعت الأقلام، واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا) الترمذي

النافع والضار هو الله سبحانه وتعالى

فالمسلم لا يعتقد النفع والضرر في أي أحد سوى الله عز وجل ، فلا يظن في أي مخلوق النفع أو الضرر ، فالنافع والضار هو الله عز وجل .

قال تعالى ﴿ أمن بجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ سورة النمل آية: ٦٢

وقال تعالى ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون. وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ سورة الأحقاف آية: ٦.

كان في زمن النبي صلي الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلي الله عليه وسلم من هذا المنافق. فقال النبي صلي الله عليه وسلم: " إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله عز وجل(١) وقال ﷺ (و من تعلق تميمة فقد أشرك) (٢)

ومعنى (تعلق) أي علق بها قلبه

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: " إن الرقي والتمايم والتولة شرك " رواه أحمد وأبو داود.

وهذه الأشياء كان العرب يعتقدون فيها النفع والضرر ، وعندما جاء الإسلام نهي عن هذه الأشياء تماما

عن أبي واقد الليثي قال: " خرجنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركون سدرة يعكفون عندها ويتوطون بها

أسلحتهم ، يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدره ، قلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات



(١) وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٠ / ١٥٩

(٢) أحمد في "المسند" ٤ / ١٥٦ ، ورواها أيضا الحاكم ٤ / ٤١٧ ، وهو حديث صحيح.

أنواط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أكبر! إنها السنن، قلتهم- والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم " رواه الترمذي وصححه.

الذبيح والنذر لا يكون إلا لله تعالى



كذلك المسلم لا يذبح لغير الله عز وجل ولا يقدم نذرا لغير الله عز وجل

قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ الآية، سورة الأنعام آية: ١٦٣.

ومعني النسك الذبيح وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ سورة الكوثر: ٢

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لعن الله من ذبح لغير الله) رواه مسلم

ولا بد أن يعلم أيضا أن النذر لا يكون إلا لله تعالى قال تعالى ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ سورة البقرة ٢٧٠.

وما يفعله بعض العوام من نذر لبعض المشايخ وبعض ضرائح الأولياء تقربا إليهم فحرام بإجماع المسلمين" ويدخل في أبواب الشرك بالله

عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه) رواه البخاري

الغلو في محبة الصالحين

ومن الأشياء المحرمة أيضا الغلو في الصالحين والمبالغة في مدحهم.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ سورة نوح ٢٣

قال: " هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم، عبدت ". رواه البخاري

وقال ابن القيم: "قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم؟ ثم طال عليهم الأمد (الزمن) فعبدهم".

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) رواه البخاري

ومعنى قوله: "لا تطروني" الإطراء هو الغلو، في المدح والمحبة "كما أطرت النصارى وبالغت في سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام"

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ سورة النساء آية: ١٧١ .

و عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو " مسلم

وعن عائشة - رضي الله عنها - : " أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض بالحبشة وما فيها من الصور. فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - بنوا على

قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"، فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل ". البخاري

و عن أم سلمة: قالت: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام "لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً) متفق عليه، وكل هذه الأشياء من البدع التي نهي الشرع عنها

تعريف البدعة :

هي العبادة التي اخترعها الناس وفعلوها ، ولم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة الكرام:

قال صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو ردٌّ)؛ رواه مسلم، رد: يعني مردوداً وقد عرفها العلماء فقالوا هي : خلاف السنة اعتقاداً وعملاً وقولاً، وقالوا: البدعة في الشريعة إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. أو: الزيادة في الدين أو النقصان منه بعد الصحابة بغير إذن من الشرع.

يقول الشاطبي عنها: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه.

بأن يجعل المسلم عبادات معينة في أوقات معينة لم يكن ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم معين وزيارة قبر معين وفعل أشياء عند القبر بقصد التعبد كذبح أو طواف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد" رواه البخاري ومسلم . وقوله صلى الله عليه وسلم: "وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار" رواه النسائي .

تحريم السحر والتنجيم والكهانة وادعاء معرفة الغيب وأيضا علم الأبراج وقراءة الفنجان والكف وغيرها من الأمور التي فيها مخالفات شرعية لأن هذه الأمور لا يعلمها الا الله عز وجل.

قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ النساء آية: ٥١

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الجبت" هو السحر، "الطاغوت" هو الشيطان. وقال جابر: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" رواه البخاري ومسلم.

وعقوبة الساحر هو القتل، والسبب لأنه كثير الأذى والشر والفتنة للمسلمين

عن جندب مرفوعا: قال "حد الساحر ضربه بالسيف" رواه الترمذي

(وكتب عمر الي الأمراء أن اقتلوا كل ساحر وساحرة فقتلوا ثلاث سواحر) رواه البخاري والسواحر جمع ساحر

وأيضا يحرم علي المسلم الذهاب لهؤلاء السحرة والكهان، قال: رسول الله عليه الصلاة والسلام "من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يوما". مسلم



قال رسول الله ﷺ :

« ليس مِنَّا
من تطير أو تطير له،
أو تكهن أو تكهن له،
أو سحر أو سحر له »

السلسلة الصحيحة (2196)

مجلد الكفر



وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من أتى كاهنا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم " رواه أبو داود.

وأيضاً يحرم علي المسلم التطير والمقصود به التشاؤم

قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة الأعراف ١٣١.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ " (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة) رواه البخاري

ولقد بين الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام في الحديث: " ومن رده الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك) رواه أحمد

ويحرم علي المسلم أيضاً النياحة قال رسول الله ﷺ: (النائحة إن لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) رواه مسلم.

ومعني تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب "السربال وهي الثياب ، الخاصة لأهل النار والقطران هو النحاس المذاب.

النياحة أي رفع الصوت بالندب على الميت وضرب الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك، وهي من الكبائر لأن فيه اعتراض علي أقدار الله عز وجل

الحب والبغض في الله عز وجل: ومن كمال الإيمان الحب في الله والبغض في الله عز وجل



فالمسلم يحب الصالحين ، ويبغض العصاة ، وينصحهم ، بلطف ولين .

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار) متفق عليه

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: " من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا. وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) " رواه أحمد

ومن محبة الصالحين محبته ﷺ وتقديمه على النفس والأهل والمال. فهو أفضل البشر ورسول رب العالمين عليهم السلام

قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. سورة التوبة آية: ٢٤.

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " متفق عليه

وكذلك محبة الصحابة الأعلام وآل بيته الكرام وأمّهات المؤمنين ﷺ ، وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم، والافتداء بهم، والأخذ بأثارهم، والدفاع عنهم

قال الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: الآية ١٠٠)،

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: الآيتان ١٨-١٩).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: "لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ". (صحيح مسلم).

وعن أنس -رضي الله عنه- عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار". (صحيح البخاري)،

وعن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يقول: "الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه". (مسند الإمام أحمد).

قال الطحاوي صاحب العقيدة - رحمه الله -: (ونحب أصحاب رسول الله - عليه الصلاة والسلام -، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

وعدد الصحابة الكرام يزيد على المائة ألف صحابي، وأفضل الصحابة هم العشرة المبشرين بالجنة فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطاحه في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة (الألباني في (صحيح سنن الترمذي))

ومن علامات الإيمان التوكل على الله تعالى

قال الله تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٢١٧﴾ وقال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ الأحزاب: ٣

وقال الله تعالى: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين} سورة المائدة آية: ٢٣.

وقال الله تعالى: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه} "قال ابن القيم: "أي كافيهِ، وواقية

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم صلي الله عليه وسلم حين ألقى في النار، وقالها محمد صلي الله عليه وسلم حين قالوا له: "إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل" رواه البخاري والنسائي.

تعريف التوكل: وتعريف التوكل صدق اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة^(١)

التوكل على الله تعالى لا ينافي الأخذ بالأسباب.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ - لناقته- فقال صلى الله عليه وسلم: «اعقلها وتوكل» [سنن الترمذي].

البعد عن الرياء والسمعة :

والتحلي بالإخلاص «الإخلاص تصفية العمل من كل شوب».

ومن علامات الإيمان إخلاص العبادة لله تعالى و البعد عن الرياء والسمعة: وتعريف الإخلاص أفراد الله بالقصد في الطاعة فالعمل لا يكون إلا لله تعالى.

قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ سورة الكهف آية: ١١٠.

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله عليهم السلام: " قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه "رواه مسلم

فمن صلى يرأى فقد أشرك، ومن صام يرأى فقد أشرك وهكذا سائر الأعمال

شرط قبول العمل

ويشترط لقبول العمل عند الله ﷻ أن يتحقق فيه شرطان:

(١) [العلوم والحكم لابن رجب (٤٠٩)]

الأول: إخلاص النية لله، وقال الرسول **الله** عليهم السلام: «: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى (البخارى

الثاني: موافقته لما جاء في شرع **الله**، **رَضِيَ** لقوله عليهم السلام (صلّوا كما رأيتموني أصلي) رواه البخاري وعن جابر بن عبد **الله رَضِيَ** **الله** عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى **الله** عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خذوا عني مناسككم. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ)

وكذلك المسلم لا يحلف بغير الله تعالى

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَخْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ) رواه البخاري

فلا يجوز الحلف بالأب ولا الأم ، ولا النعمة ، ولا حتى الكعبة ، وأيضا لا يجوز الحلف بالرسول عليه أفضل الصلاة والسلام لأن الحلف لا يكون إلا لله تعالى:

فعن عبد الرحمن بن سُمَيْرَةَ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) رواه مسلم

عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ) رواه أبو داود وصححه الألباني.

. ومن فعل هذا فعليه أن يقول لا إله الا الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله. رواه البخاري ومسلم

ومن حنث أي لم ينفذ يمينه فعليه كفارة اليمين المذكورة في قول الله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ {المائدة: ٨٩}.



فضل القرآن وأهله

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ))؛^(١)

وهذا من جميل فضل الله عز وجل علينا وكرمه، ولقد سخر الله عز وجل لنا علماء مهودوا لنا هذه العلوم، وجعلوها لنا سهلة ميسورة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم السلام: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين).^(٢)

فكتاب الله "هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو كتاب الله المبين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمة وآيات بينات وحروف وكلّيات من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاد، متلو بالألسنة محفوظ في الصدور، مسموع بالأذان مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]^٣

يقول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه كتاب الله لا يطفأ نوره، ولا تنقضي عجائبه، فاستضيئوا بنوره، وانتصحووا به، واستبصروا فيه ليوم الظلمة.

فأهل القرآن هم الذين قال الله تعالى فيهم: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) [فاطر: ٣٢].

وعن عبد الله بن بريدة -رضي الله عنه- قال: كنت عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسمعتة يقول: "إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب يقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول له: أنا صاحبك القرآن الذي أضمت نهارك، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، قال: فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على

(١) بن ماجه وصححه الألباني

(٢) رواه أحمد بسند صحيح انظر: مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ٤٨/١.

^٣ راجع لمعة الاعتقاد ص ١٦ محمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ):

رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين، لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ قال: فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيباً^(١)

قال ابن الجزري -رحمه الله:-

وَبَعْدُ فَالْإِنْسَانُ لَيْسَ يَشْرَفُ إِلَّا بِمَا يَحْفَظُهُ وَيَعْرِفُ أَشْرَافَ الْأُمَمَةِ أُولَى الْإِحْسَانِ وَإِنَّهُمْ فِي النَّاسِ أَهْلُ اللَّهِ وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ عَنْهُمْ وَكَفَى وَهُوَ فِي الْأُخْرَى شَافِعٌ مُشَفَّعٌ يَعْطَى بِهِ الْمَلِكُ مَعَ الْخُلْدِ إِذَا يَفْرَا وَيَرْقَى دَرَجَ الْجَنَانِ

إِلَّا بِمَا يَحْفَظُهُ وَيَعْرِفُ أَشْرَافَ الْأُمَمَةِ أُولَى الْإِحْسَانِ وَإِنَّهُمْ فِي النَّاسِ أَهْلُ اللَّهِ وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ عَنْهُمْ وَكَفَى وَهُوَ فِي الْأُخْرَى شَافِعٌ مُشَفَّعٌ يَعْطَى بِهِ الْمَلِكُ مَعَ الْخُلْدِ إِذَا يَفْرَا وَيَرْقَى دَرَجَ الْجَنَانِ وَأَبْـؤَاهُ مِنْهُ يُكْسِيَانِ^(٢)

فأهل القرآن هم أسياد الأمة، والمدافعون عن الملة فلقد حافظوا على كتاب الله تعالى، من الضياع فالشرف كل الشرف لهم، فحسبهم أن كل قارئ لكتاب الله تعالى يعود الثواب لهم وينالون مثل أجره، لأنهم هم الذين نقلوه وبلغوه، قال السيوطي رحمه الله: «ثم لما اتسع الخرق وكاد الباطل يلتبس بالحق، قام جهابذة الأمة وبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزّوا الوجوه والروايات، وميزوا الصحيح والمشهور والشاذ، بأصول أصّلوها وأركان فصلوها»^(٣)

ويكفي مجالسهم شرفاً بأن الله تعالى يباهي ملائكته بها روى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَقَّقَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٤)

(١) [رواه الإمام أحمد وحسنه الحافظ بن كثير].

(٢) [طيبة النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٣١]

(٣) [الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ٢٥٣]

(٤) [صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر].

وهؤلاء هم الذين يحسدوا، وأعني بالحسد الحسد المحمود الذي لا يحمل حقدا ولا بغضا ولكن يحمل حبا واحتراما وتقديرا ورجاء أن ننال ما نالوه من فضل واختصاص.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الله ابن عمر: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ"

وأهل القرآن هم أهل التقديم والتوقير فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال صلى الله عليه وسلم: "إن لله أهلين من الناس" قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال "هُمُ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ". رواه النسائي وابن ماجه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ»^(١) فعن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: "كان القراء أصحاب مجلس عمر -رضي الله عنه- ومشاورته كهولاً كانوا أو شباً".

ويقول ابن القيم: "من استظهر القرآن -أي حفظ القرآن- ورأى أن أحد أفضل منه، فما قدر نعمة الله عليه".

الإحسان لطلاب العلم تكريماً لهم

يستحب الرفق بطلبة العلم وإكرامهم ، لعظم ما يحملون من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والعلوم النافعة، فعن أبي هارون العبدى قال: كنا نأتي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول: مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: «إن الناس لكم تبع وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»^(٢)، فطلبة العلم هم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو حال أهل الفضل مع طلبة العلم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أكرم الناس على جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إلي لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت»، وفي رواية: «إن الذباب ليقع عليه فيؤذي»^(٣)،

(١) [المعجم الكبير للطبراني، باب العين: الضحاك، عن ابن عباس ص ١٢٥]

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه .

(٣) راجع ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس .

فواجب على العالم والمدرس أن يحسن الي طلبته ولا يسيء اليهم ويقدم لهم النفع والمساعدة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

أولاً: إكرام أهل القرآن لأنهم أهل الله وخاصته وعدم التعرض لهم بأذى

يجب على المسلم احترام وتوقير أهل القرآن، فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسّط»^(١)، وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن ننزل الناس منازلهم»^(٢)، وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- «أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحدٍ ثم يقول: «أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟» فَإِنْ أَشِيرَ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ»^(٣)، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي قال فيما بلغ عن ربه: «إن الله -عز وجل- قال: "من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب"»^(٤).

ووضح العلماء وبينوا إن أولياء الله تعالى على رأسهم أهل القرآن، فعن الإمامين أبي حنيفة والشافعي -رضي الله عنهما- قالوا: «إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي»، وعن أنس -رضي الله عنه- قال: «كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا»، أي: عظم، قال الإمام الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله: اعلم يا أخي -وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته- أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ثانياً: آداب عامة لأهل القرآن وحَمَلَة كتاب الله تعالى لا بد من يتحلّوا بها

إخلاص الوجهة والقصد لله تعالى والابتعاد عن الرياء:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة ٥]، أي: الملة المستقيمة، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى ٢٠]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٩]، والإرادة هنا بمعنى القصد، وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأٍ يتزوّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(٥).

(١) رواه أبو داود وهو حديث حسن .

(٢) رواه أبو داود في سننه والبخاري في مسنده قال الحاكم حديث صحيح .

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البخاري.

وقد صح عن الإمام الشافعي -**رضي الله عنه**- أنه قال: وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم يعني علمه وكتبه و أن لا ينسب إلي حرف منه، وجاء التحذير من طلب العلم بقصد الدنيا أو الشهرة وغيرها، فعن أبي هريرة **رضي الله عنه** قال قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «من تعلم علمًا يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، وعن أنس وحذيفة وكعب بن مالك **رضي الله عنهم** أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: «من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يكثر به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار»^(٢)، فلا بد أن يخلص الطالب نيته وقصده لله تعالى حتى يؤجر ويثاب، فبدون الإخلاص وحسن القصد كان العمل هباء منثورا نسأل الله العافية.

فعن أبي هريرة -**رضي الله عنه**- قال: قال رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** -، قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»^(٣)، وفي رواية ابن ماجه: «فأنا منه بريء وهو للذي أشرك»، وأيضا يجاهد نفسه بأن يبتعد عن موضع الثناء والمدح قدر الاستطاعة وصدق قول القائل:

يهوى الثناء مبرز ومقصر * حبُّ الثناء طبيعة الإنسان

وقالوا الذي يدعو إلى الرياء ثلاثة أشياء: " حب المحمّدة ، وخوف المذمة، والطمع فيما في أيدي الناس.

١_ العمل بهذا العلم والسير على السلوك الحسن.

عن سفيان الثوري: قال: (العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل)، فليس للعلم أي قيمة إن كان صاحبه لا يعمل به ولا يسير على سيرة، ولا يلتزم أوامره، بل نخشي ان يكون وبالا عليه يوم القيامة، وشاهدا عليه وليس له .

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر ٢٩]، وعن معاذ بن أنس **رضي الله عنه** أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، قال: « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا»^(٤)، فالعمل بما في القرآن شرط التتويج.

(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبو داود.

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «اقرأوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن وإن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن ومن أحب القرآن فليبشر»^(١)، وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما»^(٢)، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي -صلى الله عليه وسلم- عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، وكانوا يقولون: تعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

وكان الصحابة الكرام حريصين كل الحرص على العمل به والوقوف عند أحكامه. فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: يا حملة القرآن، أو قال: يا حملة العلم اعملوا بالقرآن، فإنما العلم من عمل بما علم ووافق علمه عمله، وسيكون أقوامٌ يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون جلقًا يباهي بعضهم بعضًا حتى أن الرجل ليغضب على جلسيه أن يجلس إلى غيره، ويدعوه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى. وأخرج أحمد في المسند بإسناد حسن عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أنهم كانوا يقرءون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم، والعمل، قالوا: فعلمنا العلم، والعمل. وعن النواس بتشديد النون المفتوحة ابن سمعان بفتح المهملة الأولى وكسرها رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تتقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما»^(٣) وهذا الحديث قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذين كانوا يعملون به في الدنيا)، فالذين لا يعملون به حرموا كل هذا الفضل.

وأخرج الدارمي في السنن عن معاذ بن جبل أنه قال: اعملوا ما شئتم بعد أن تعلموا فلن يأجركم الله بالعلم حتى تعملوا.

٢_ المحافظة على قيام الليل وصيام النهار:

فحامل القرآن يعرف بليله والناس نائمون وبنهاره والناس يلهون، فعن عبد الله بن مسعود، قال: "ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبجزئه إذا الناس يفرحون، ولبيكاته إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون،

(١) رواه الدارمي.

(٢) رواه الدارمي.

(٣) رواه مسلم.

وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حليماً حكيماً سكيماً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً، ولا غافلاً ولا صخاباً ولا صيحاءً، ولا حديداً^(١).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقسطين»^(٢). وهذا هو حال النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

بات ابن عباس عند خالته ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فقال: «فاضطجعت في عريض الوسادة، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل استيقظ فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ عشر آيات (خواتيم سورة آل عمران)، ثم قام يصلي. قال ابن عباس: فقمْتُ فصنعتُ مثل الذي صنعَ ثم ذهبْتُ فقمْتُ إلى جنبه، فوضع يده على رأسي وأخذ أذني اليمنى ففتلها (ليذهب عني النعاس) فصلَّى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر. ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن فقام فصلَّى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلَّى الصُّبح»^(٣).

يقول صفوان بن المعطل السلمي: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرمقتُ صلاته ليلة فصلَّى العشاء الآخرة ثم نام. فلما كان نصف الليل استيقظ فتلا الآيات العشر آخر سورة آل عمران، ثم تسوَّك، ثم توضأ، ثم قام فصلَّى ركعتين فلا أدري أقيامه أم ركوعه أم سجوده أطول؟ ثم انصرف فنام، ثم استيقظ فتلا الآيات ثم تسوَّك، ثم توضأ، ثم قام فصلَّى ركعتين، لا أدري أقيامه أم ركوعه أم سجوده أطول؟ ثم انصرف فنام، ثم استيقظ ففعل ذلك، ثم لم يزل يفعل كما فعل في أول مرة حتى صلَّى»^(٤)، وفي هذا شرف الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويكفي طالب العلم شرفاً أن يقوم الليل من أجل التسني برسول الله صلى الله عليه وسلم فهو قدوتنا واسوتنا، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد أوصى رسول الله ﷺ بقيام الليل، فقال: «أيُّها النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(٥).

الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان

(١) الفوائد لابن القيم - ط العلمية ، (ص ١٤٦).

(٢) رواه أبو داود وغيره .

(٣) رواه أحمد والشيخان.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل.

(٥) الحاكم وابن ماجه والترمذي.

ينبغي لحامل القرآن، أن يتعاهد القرآن ولا يتركه، فالقرآن كما قيل عزيز من تركه تركه. فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها»^(١)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»^(٢)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عرضت علي أجور أمي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب أمي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيتها»^(٣).

الصبر على التعلم:

فطالب العلم لن يتحصل شيئا من العلم إلا بالصبر والكد، والتعب والمجاهدة وكما قيل لا يعطيك العلم بعضه إلا إذا أعطيته كلك. يقول الإمام النووي رحمه الله في وصفه لطالب العلم: "ينبغي أن يكون حريصاً على التعلم، مواظباً عليه في جميع أوقاته، ليلاً ونهاراً، وسفراً وحضراً، ولا يذهب من أوقاته شيئاً في غير العلم إلا بقدر الضرورة، لأكل ونوم قدرًا لا بد له منه ونحوهما، كاستراحة يسيرة لإزالة الملل، وشبه ذلك من الضروريات، وليس يعاقل من أمكنه درجة ورثة الأنبياء ثم فوتها". ويقول ابن القيم رحمه الله: "وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع، وصدق الطلب، وصحة النية". ويؤكد على ذلك ابن الجوزي رحمه الله فيقول: "تأملت عجباً، وهو أن كل شيء نفيسٍ خطيرٍ يطول طريقه، ويكثر التعب في تحصيله، فإن العلم لما كان أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار، وهجر اللذات والراحة.."، "قال بعض الفقهاء: بقيت سنين أشتي الهريسة ولا أقدر على شرائها؛ لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس".

وقد كان الإمام الشافعي رحمه الله كان يقسم الليل ثلاثة أثلاث، فثلث يؤلف فيه، وثلث يصلي فيه، وثلث ينام فيه.

وكان شعار سلفنا الصالح رحمهم الله، من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عمالة الجهالة ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الآخرة والدنيا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا، ومن الشعر الحسن:

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

من لم يذق طعام المذلة ساعة * قطع الزمان بأسره مذلولاً

صبر الإمام أحمد على طلب العلم (نموذج)

رأى أحد أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله جهده ومثابرته فسأله قائلاً: إلى متى تستمر في طلب العلم، وقد أصبحت إماماً للمسلمين وعالمًا كبيرًا؟! فقال له: "مع المحبرة إلى المقبرة"

قال ابن رافع: رأيت أحمد بن حنبل بمكة بعد رجوعه من اليمن وقد تشققت رجلاه وأبلغ إليه التعب، وقد خرج الإمام أحمد إلى طرسوس ماشيًا على قدميه لعجزه عن النفقة في السفر. وهو الذي قال: "لو كان عندي خمسون درهماً لخرجت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري (كان إماماً في الرواية)، فخرج بعض أصحابنا ولم يمكني الخروج لأنه لم يكن عندي!!"

وننصح الإخوة من طلاب العلم الرجوع إلى كتاب (صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل) للعلامة عبدالفتاح ابو غدة. لما فيه من فوائد جلية

صاحب القرآن عزيز النفس:

ويجب على حامل القرآن أن يكون عزيزاً بالقرآن فلا يقبل الذل ولا الهوان علي نفسه ولا دينه. فعن الفضيل بن عياض قال ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم، وعنه أيضاً قال حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن.

وعن الفضيل بن عياض: «كم من عالم يدخل على الملك ومعه دينه، ويخرج وليس معه منه شيء، فلا جعل الله مصيبتنا في ديننا»، فقلنا: وكيف ذاك؟ قال: «يصدق في كذبه، ويمدحه في وجهه».

ويقول ابن الجوزي في الدخول على السلاطين: «الدخول على السلاطين خطر عظيم؛ لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير باكرامهم وإنعامهم، أو بالطمع فيهم، ولا يتماسك عن مدهانتهم وترك الإنكار عليهم.

وقد كان سفيان الثوري -رضي الله عنه- يقول: (مَا أَخَافُ مِنْ إِهَانَتِهِمْ لِي إِنَّمَا أَخَافُ مِنْ إِكْرَامِهِمْ فيميل قلبي إليهم))

وحكى الحافظ ابن كثير: «قال فلما حضروا مجلس قازان؛ قدّم لهم الطعام، فأكل منه الجميع إلا ابن تيمية. فقيل له: لماذا لا تأكل؟، فقال: كيف أكل من طعامكم وكله مما نهيتهم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟»، «وطلب منه قازان الدعاء له، فقال في دعائه: اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد في سبيلك؛ فأنت تؤيده وتنصره، وإن كان للملك

والدنيا والتكاثر؛ فأنت تفعل به وتصنع». «قال - يعني البالسي -: وقازان يؤمن على دعائه ويرفع يديه، قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفاً من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله! قال: فلما خرجنا من عنده؛ قال له قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وغيره: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك! والله لا نصحبك من هنا!، فقال: وأنا والله لا أصحبكم».

ثالثاً: فضل طلب العلم:

وطلب العلم وطلب القرآن لا نظير لهم، ولا يعلم لطالب العلم والقرآن نظيراً له في الأجر والثواب إلا الجهاد في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِرُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣]. وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

قال ابن حجر: وقوله عز وجل: رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا {طه: ١١٤} واضح الدلالة في فضل العلم، لأن الله تعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، قال ابن تيمية رحمه الله: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتمهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جاء مسجدي هذا لم يأت به إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»^(٢).

(١) رواه مسلم وأبو داود بإسناد صحيح.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧) بسند صحيح.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»^(١).

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»^(٢)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أوحى إليّ: أنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريق الجنة ومن سلبت كريمته أثبتته عليهما الجنة و فضل في علم خير من فضل في عبادة و ملاك الدين الورع»^(٣).

قال ابن الحاج في المدخل: الاشتغال بالعلم أفضل الأعمال وأزكاها، وأبركها..

وقال النووي في المجموع: وَالْحَاصِلُ أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْإِشْتَغَالَ بِالْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنَ الْإِشْتَغَالَ بِتَوَافِلِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ تَوَافِلِ عِبَادَاتِ الْبَدَنِ: وَمِنْ دَلَالِهِ سَوَى مَا سَبَقَ أَنَّ نَفْعَ الْعِلْمِ يَعُمُّ صَاحِبَهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَالتَّوَافِلُ الْمَذْكُورَةُ مُخْتَصَّةٌ بِهِ، وَلِأَنَّ الْعِلْمَ مُصَحِّحٌ لِفَعْلِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، وَلَا يَنْعَكِسُ. وَلِأَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يُوصَفُ الْمُتَعَبِدُونَ بِذَلِكَ: وَلِأَنَّ الْعَابِدَ تَابِعٌ لِلْعَالِمِ مُقْتَدٍ بِهِ مُقْلِدٌ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ. اهـ

فهذه جملة طيبة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تبين وتوضح فضل الطلب للعلوم الشرعية، ومعلوم أن أعظم وأجل العلوم هي العلوم المتعلقة بكتاب الله سبحانه، ولأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة.

طلب العلم أفضل من صلاة النوافل:

نقل عن كثير من أهل العلم ما بين ذلك

روى ابن عبد البر - بسند صحيح - عن عبد الله بن الشخير، قال: "فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع"^(٤)

ويكفي طالب العلم دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد روى الترمذي - وقال: حسن صحيح - عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((نَضَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْ شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ))^(٥)

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤٥) وقال: حسن صحيح.

(٣) أخرجه البيهقي، بسند صحيح.

(٤) ابن عبد البر في جامع العلم (١٠٢).

(٥) حسن: رواه الترمذي (٢٦٥٧) وقال: حسن صحيح.

وقد روى الترمذي - وقال: حسن صحيح - عن زُرِّ بْنِ حُبَيْش قال: "أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَالٍ الْمُرَادِيَّ أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَّيْنِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا زُرُّ؟ فَقُلْتُ: ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ، فَقَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رَضًا بِمَا يَطْلُبُ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ حَكٌّ فِي صَدْرِي الْمَسْحُ عَلَى الْخَفَيْنِ بَعْدَ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ، وَكُنْتُ أَمْرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفَرًا أَوْ مَسَافِرِينَ أَلَّا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلِيَالِيَهُنَّ إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ، فَقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي الْهَوَى شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فِي سَفَرٍ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ، إِذْ نَادَاهُ أَعْرَابِي بِصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِي: يَا مُحَمَّدُ، فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - نَحْوًا مِنْ صَوْتِهِ: ((هَؤُلَاءِ))، فَقُلْنَا لَهُ: وَيْحَكَ! اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ؛ فَإِنَّكَ عِنْدَ النَّبِيِّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هَذَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَغْضُضُ، قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: الْمَرْءُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -: ((الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، فَمَا زَالَ يَحْدِثُنَا حَتَّى ذَكَرَ بَابًا مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عَامًا، عَرْضُهُ أَوْ يَسِيرُ الرَّكَابِ فِي عَرْضِهِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَامًا.

قال سفيان: قِبَلَ الشَّامِ، خَلَقَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مَفْتُوحًا - يَعْنِي لِلتَّوْبَةِ - لَا يَغْلُقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ ^(١)

قال قتادة: قال ابن عباس: تَذَاكَرُ الْعِلْمُ لَيْلَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَحْيَائِهَا.

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل: أَيُّ عِلْمٍ أَرَادَ؟ قَالَ: هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، قلت: فِي الْوُضُوءِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالطَّلَاقِ، وَنَحْوِ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ: وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ: هُوَ كَمَا قَالَ أَحْمَدُ.

وروى ابن عبد البر - بسند صحيح - عن الزهري قال: مَا عُيِدَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْفَقْهِ. ^(٢)

وروى ابن عبد البر - بسند صحيح - عن ابن وهب، قال: كُنْتُ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَجَاءَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَنْظُرُ فِي الْعِلْمِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَمَعْتُ كِتَابِي وَقَمْتُ لِأَرْكَعَ، فَقَالَ لِي مَالِكٌ: مَا هَذَا؟ قلت: أَقُومُ لِلصَّلَاةِ، قَالَ: إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ، فَمَا الَّذِي قَمْتَ إِلَيْهِ بِأَفْضَلٍ مِنَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ إِذَا صَحَّتِ النِّيَّةُ فِيهِ

وروى ابن عبد البر - بسند صحيح - عن الربيع بن سليمان قال: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ.

وروى ابن عبد البر - بسند حسن - عن سفيان الثوري قال: مَا مِنْ عَمَلٍ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ إِذَا صَحَّتْ فِيهِ النِّيَّةُ

(١) رواه الترمذي (٣٥٣٥) وقال: حسن صحيح

(٢) جامع العلم وفضله (١١٠).

قال أبو عيسى الترمذي: سمعت أبا عمار الحسين بن حُرَيْث الخزاعي يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: عالم عامل معلّم يُدعى كبيرًا في ملكوت السموات.

رزقنا الله وإياكم العلم النافع مصحوبًا بالإخلاص والعمل

تعريف علوم القرآن

لا بد في أي تعريف خاص بالعلوم الشرعية أن يكون له تعريف في اللغة العربية، وتعريف آخر عند أهل الاصطلاح من أهل الذكر والفن والاختصاص، وهو ما يسمى (لغة واصطلاحًا):

ومعني اصطلاحًا، أي: ما اصطلاح عليه أهل العلم والفن، وهو: "إخراج المعنى من معنى لغوي إلى معنى آخر، لمناسبة بينهما ولبيان المراد منه .

والفرق بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، أن المعنى اللغوي يطلق على المعنى الذي استعملته العرب للكلمة،

والمعنى الاصطلاحي يقصد به المعنى الذي اصطلاح عليه أهل فن معين ،

وينقسم التعريف تعريف علوم القرآن إلى قسمين، هما كما يلي:

أولاً: تعريف علوم القرآن باعتباره (مركبًا إضافيًا): مكون من كلمتين، كلمة (علوم) وكلمة (قرآن).

تعريف كلمة (العلوم):

معنى علوم في اللغة العربية جمع علم وهي بمعنى، الفهم والمعرفة والإدراك .

والعلم اصطلاحًا: تطلق على معرفة الله تعالى وآياته وأفعاله في عبادته وخلقه، قال الإمام الغزالي في الإحياء: قد كان العلم يطلق على العلم بالله تعالى وآياته وأفعاله في عبادته وخلقه^(١)، ومعناه عند علماء الفنون: (المعلومات المنضبطة بجهة واحدة)، أي: موضوع معين؛ فمسائل النحو مثلا تسمى: علم النحو، ومسائل الفقه تسمى: علم الفقه،

وعرفه بعض العلماء بالملكة التي تحصل بها تلك المعارف.

(١) إحياء علوم الدين ، للإمام محمد محمد الغزالي الطوسي،

تعريف كلمة (القرآن):

لغة " مادة قرأ": تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض، والقرآن: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا، قال تعالى: ﴿ **إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾ [القيامة: ١]، أي: قراءته، فهو مصدر على وزن "فعلان" بالضم؛ كالغفران والشكران، وقيل إن لفظ القرآن مشتق من مادة «قرن» يقال قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه، فتكون السورة والآية قرآنًا لأنهما مقرونتان ببعضهما. وإنه من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه، أو من القرائن لأن آياته يشبه بعضها بعضها فالنون أصلية، يقول الزركشي في البرهان: إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه فسمي بذلك القرآن لقران السور والآيات والحروف فيه ^(١).

ولقد ذهب بعض العلماء إلى أن كلمة القرآن غير مهموز، وأنه جامدٌ ليس بمشتق من كلمة (قرأ)، فهو عَلَّمَ على ما نزل من عند الله تعالى، بدون اشتقاق حيث إنه وضع علمًا خاصًا بالذي أنزل على النبي - **صلى الله عليه وسلم** -، وليس مشتقًا، فهو إذاً اسم خاص لكلام الله تعالى، مثل: التوراة والإنجيل، غير مهموز،

وقالوا: إنه لم يؤخذ من (قرأ)، ولو أخذ من (قرأ) لكان كل ما قرئ قرآنًا، وروي هذا عن الشافعي، قال البيهقي: كان الشافعي يهزم «قرأت» ولا يهزم القرآن ويقول: هو اسم لكتاب الله، قال الواحدي: قول الشافعي يعني أنه اسم علم غير مشتق ^(٢).

ورجَّح هذا القول الإمام السيوطي، وقال: (القرآن) علم غير مشتق فهو اسم لكتاب الله مثل سائر الكتب السماوية وقرأ ابن كثير القرآن في قوله تعالى: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾ [البقرة: ١٨٥]، دون همزة أي «القرآن»، وكلا القولين صحيح.

والأصح الأول، أي: أنه مشتق من مادة قرأ.

يقول الدكتور مناع القطان: (ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن غير مهموز الأصل في الاشتقاق، إما لأنه وضع علماً مرتجلاً على الكلام المنزل على النبي - **صلى الله عليه وسلم** - وليس مشتقاً من "قرأ"، وإما لأنه من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه، أو من القرائن لأن آياته يشبه بعضها بعضها فالنون أصلية، وهذا رأي مرجوح، والصواب الأول) ^(٣).

(١) البرهان في علوم القرآن، للإمام عبد الله بن بهادر الزركشي، ج ١ ص ٢٣٢

(٢): المدخل إلى علوم القرآن الكريم: محمد فاروق النيهان ج ١ ص ١٦

(٣) مباحث في علوم القرآن ص ١٦.

- تعريف القرآن اصطلاحاً:

القرآن الكريم هو: كلام الله -تعالى-، المُنزل على نبيّه محمد -صلى الله عليه وسلم-، بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، المعجز بلفظه، المتعبّد بتلاوته، المُفتح بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر.

ومعنى التعريف: القول بأنّه (كلام الله تعالى)، فخرج سائر كلام المخلوقين من الإنس، والجن، والملائكة، وغيرهم.

القول بأنّه (المُنزل على سيدنا محمد عليهم السلام)، خرجت منه الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء السابقين؛ كالتوراة المنزلّة على نبيّ الله موسى -عليه السلام-.

والقول بأنّه (المعجز)، وتعرّف المعجزة بأنّها أمر خارقٌ للعادة، يوقعه الله تعالى على يد نبيٍّ من أنبيائه؛ ليكون برهان صدقٍ على دعوتِهِ، ورسالته.

والمراد بـ(المنقول إلينا بالتواتر)، أي: أنه ينقل بالجمع الغفير عن الجمع الغفير من الصحابة والتابعين، وأقله عشرة، ويستحيل العقلا تواطؤهم واجتماعهم على الكذب.

ثانياً: تعريف (علوم القرآن) باعتباره لقباً على علمٍ مخصوص:

لقد اشتهر علوم القرآن كعلم مستقلّ بأنّه: (العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه،، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن الكريم. وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير؛ لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسّر من معرفتها.

أول من ألف في علوم القرآن كتب مستقلة وأبواباً منفردة:

الإمام علي بن المديني شيخ البخاري ألف في أسباب النزول، وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيج بن بكر بن سعد (١٦١ هـ - ٢٣٤ هـ)، وهو من أكابر شيوخ البخاري ومن الأئمة في علم الحديث النبوي.

وأبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ألف في الناسخ والمنسوخ. ولد (١٥٧ هـ)، وتوفي سنة: (٢٢٤ هـ) لزم مكة، وتوفي في شهر المحرم ودفن بمكة، وكان عالم لغة وفقيه ومحدث وإمام ومن أئمة الجرح والتعديل.

وألف في غريب القرآن أبو بكر السجستاني ، وهو أبو بكر **محمد** بن عزيز السجستاني (ت. ٣٣٠ هـ) صاحب تفسير غريب القرآن المسّعى بـ «نزهة القلوب».

وألف في (إعراب القرآن) علي بن سعيد الحوفي، وهو صاحب كتاب (البرهان في علوم القرآن)، وهو أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي المصري، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ، غلب عليه الجانب اللغوي، خاصة إعراب القرآن؛ لذا جعله الزركشي من كتب إعراب القرآن.

و مهمات القرآن: أبو القاسم عبد الرحمن المعروف بالسبيلي، وهو من علماء القرن السادس الهجري.

وعلم المهمات هو أحد علوم القرآن ويُعنى ببيان ما خفي اسمه أو رسمه أو وصفه أو زمانه أو مكانه، ونحو ذلك مما خفيت آثاره، أو جُهِلت أحواله لسبب من الأسباب الجلية أو الخفية، سواءً احتاج المكلفون إلى معرفته، بالبحث عن الوسائل التي تزيل خفاءه، وتدفع إشكاله، أم لم يحتاجوا إلى ذلك^(١) وفي القراءات: علم الدين السخاوي، وهو من علماء القرن السابع الهجري.

كذلك في (مجاز القرآن) ابن عبد السلام. وهو أبو **محمد** عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُّلَمي الشافعي (٥٧٧هـ - ٦٦٠هـ/) الملقب بسلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام،

ومعنى مجاز القرآن: هو اللفظ المستعمل في غير موضوعه الأصلي على وجه يصح، مثل قوله تعالى: {وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ}، وهذا مجاز، لأنه استعمال اللفظ في غير موضوعه^(٢) وهكذا عدد كبير من أهل العلم والفضل.

أول من ألف في علوم القرآن كتاباً مستقلاً، وجمع فيه جميع أبوابه :

يعتبر أول من ألف ودون في علوم القرآن، الإمام علي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي المتوفى سنة (٣٣٠ هـ) كتاب البرهان في علوم القرآن. و يقع في ثلاثين مجلداً والموجود منه الآن خمسة عشر مجلداً غير مرتبة ووجد في دار الكتب المصرية.

(١) تأليف مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، الجزء الأول، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ٦٠٨.

(٢) راجع النملة، عبد الكريم بن علي بن محمد. "كتاب المذهب في علم أصول الفقه المقارن - مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م. ص. ١١١٦.

ثم تبعه ابن الجوزي سنة ٥٩٧ هجرية في كتابه "فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن"، ثم جاء بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هجرية وألف كتابا وافيا سماه "البرهان في علوم القرآن"، ثم أضاف إليه بعض الزيادات جلال الدين البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤ هجرية في كتابه "مواقع العلوم من مواقع النجوم". ثم ألف جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هجرية كتابه المشهور "الإتقان في علوم القرآن".

ومن المؤلفات المعاصرة في علوم القرآن. التي ننصح بها طلاب العلم الشرعي بدراستها، لما لها من فوائد طيبة:

التبيان في علوم القرآن، لطاهر الجزائري.

منهج الفرقان في علوم القرآن، لمحمد علي سلامة..

مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان.

(أسماء القرآن وأوصافه) قد سعى الله تعالى القرآن بأسماء كثيرة:

منها القرآن قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وسماه الله تعالى أيضا

الفرقان: قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] سمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام.

وسماه الكتاب: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وسماه الذكر، وهو التذكرة والشرف ﴿وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي وإن القرآن لشرف لك ولقومك.

وسماه التنزيل، ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢].

ومن أوصافه: أنه نور وهدى ورحمة وشفاء وموعظة وعزيز ومبارك وبشير ونذير إلى غير ذلك من الأوصاف التي تشعر بعظمته وقديسيته.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]. ومنها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بَرَهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مِّبِينًا﴾ [النساء ١٧٤].

قال العلماء: القرآن له خمسة وخمسون اسماً، يقول صاحب التبيان في آداب حملة القرآن النووي، ذكر للقرآن نيفاً وتسعين، وذكر الزمخشري في تفسيره للقرآن اثنين وثلاثين اسماً^(١)، عدّها بعضهم سبعة وأربعين اسماً^(٢)، وقال القاضي أبو المعالي عزي بن عبد الملك: «أن الله سعى القرآن بخمسة وخمسين اسماً وصنف الحرالي جزءاً وأنهى أساميهِ إلى نيف وتسعين^(٣)».

أول اسم أطلق على كتاب الله، اسم القرآن حيث أطلق على كتاب الله -تعالى-، وهو أشهرها، وهو في أصل وضعه مرادف لمعنى القراءة، ثم تغيّر معناه المصدري ليصبح اسم علم لكتاب الله -تعالى- المنزل على خاتم أنبيائه ورسله^(٤).

من خصائص القرآن الكريم :

للقرآن الكريم خصائص عديدة جعلته أفضل وأهم الكتب السماوية وخاتمها، وبيان هذه الخصائص فيما يأتي:

١- **محفوظ في الصدور**: يختص القرآن الكريم بالتعهد بحفظه من قبل الله -تعالى-، وقد أوكل إلى المسلمين أمانة حفظ جميعه، بحيث يحصل التواتر بحفظ عدد كبير من المسلمين له، وتقع الأمة الإسلامية بالإثم إذا تخلّفت عن أمانة حفظه.

٢- **مشتمل على الحق المطلق**: فالقرآن الكريم يشتمل على الحق المطلق، الذي لا شك فيه، ولا ريب، يقول الله -تعالى- واصفاً كتابه العزيز: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ..]، فكتاب الله -تعالى- حق لا باطل فيه، وصدق لا كذب فيه، وجميع ما تضمنه صدق وحق، سواء كان من قصص الأقاليم الماضية، أو أحوال الناس

قال تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾
سورة فصلت ٤٢

(١) جمال القراء وكمال الإقراء - علم الدين السخاوي - ج ١ ص ١٦١

(٢) الإتيقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - ج ١ ص ٥٨.

(٣) راجع البرهان في علوم القرآن الزركشي.

(٤) مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن.

- ٣- **شفيعاً لأهله:** يأتي القرآن الكريم يوم القيامة شافعاً لأصحابه؛ فعن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**افْرُؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ**»^(١).
- ٤- **حفظ الله له:** قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).
- ٥- **القرآن شفاء القلوب والأبدان:** قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].
- ٦- **القرآن مهيمن على الكتب السابقة:** قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].
- ٧- **القرآن لا يعتريه التحريف والتبديل:** لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. بخلاف بقية الكتب السماوية كالطورا والإنجيل.
- ٨- **تيسيره للحفاظ والقارئ:** يسر الله -تعالى- كتابه على عباده المؤمنين؛ حتى يشتغلوا بحفظه، وتلاوته، وتدبر آياته، ويقول الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى- معلقاً على قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٨] إن القرآن محفوظ في صدور المسلمين، يسر التلاوة على السنة القارئ، ذو سيطرة على قلوب المؤمنين، وهو معجز بلفظه ومعناه^(٢).
- قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٩)
- ٩- **شمل كل العلوم وكل ما يحتاجه الناس:** قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] عن ابن عباس: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم، وقال ابن مسعود: قد بين لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء،

القرآن والحديث النبوي والحديث القدسي

الحديث القدسي: ويقال الأحاديث القدسية والأحاديث الإلهية أو الربانية والكل يرجع إلى الله عز وجل.

والحديث القدسي: مأخوذ من التقديس، بمعنى: التعظيم، لأن الكلمة تدل على التنزيه والتطهير في اللغة، فالتقديس: تنزيه الله تعالى، قال الله تعالى على لسان ملائكته: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ [البقرة: ٣٠].

(١) صحيح مسلم، عن أبو أمامة الباهلي.
(٢) راجع عبد الرب نواب الدين كيف تحفظ القرآن الكريم

والحديث القدسي في الاصطلاح:

هو ما يرويه النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ربه تعالى، فيقال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه عز وجل، أو يقول: "قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى.

مثال: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه عز وجل: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفَقْتُ أَنْفَقَ عَلَيْكَ. وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلَأَى، لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةً، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؟! فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»^(١).

ومثال: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(٢).

ومن المؤلفات في الأحاديث القدسية، كتاب: الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية لعبد الرؤوف المناوي جمع فيه ٢٧٢ حديثًا.

وكتاب: الجامع في الأحاديث القدسية لعبد السلام علوش، وكتاب: الجواهر السنية في الأحاديث القدسية تأليف: محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي. وكتاب: التحفة السنية في الاحاديث القدسية تأليف: عبد الوهاب إسماعيل. وكتاب: الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية تأليف: محمد المدني. وكتاب: الأحاديث القدسية الأربعينية تأليف: الملا علي قاري. وكتاب: الأحاديث القدسية تأليف: لجنة القرآن والسنة. وكتاب: جامع الأحاديث القدسية موسوعة جامعة مشروحة ومحققة"، يقع في ثلاثة مجلدات كبار، مرتب على الأبواب والموضوعات، اشتمل على (١١٥٠) حديثا مخرجا ومحققا مجموعة من أكثر كتب السنة والآثار، مع بيان الحكم على الحديث، وشرح غريب الكلمات، ونقل شيء من تعليقات أهل العلم. لعصام الدين الصبابطي.

ثالثًا: الفرق بين القرآن والحديث القدسي:

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).
(٢) صحيح البخاري. مسلم.

١- أن القرآن الكريم تحدى الله به العرب، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، ولا يزال التحدي به قائم الي قيام الساعة، والحديث القدسي لم يقع به التحدي والإعجاز.

٢- والقرآن الكريم ينسب إلى الله تعالى، مباشرة بدون إضافة إلى النبي يقال قال الله تعالى، والحديث القدسي يروى مضافا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيقال: قال رسول الله فيما يرويه عن رب العزة تعالى.

٣- والقرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت، والأحاديث القدسية ليست كذلك فأكثرها احاديث آحاد، فهي ظنية الثبوت، ومنها المتواتر، ومن الأحاديث القدسية المتواترة: يقول الله عز وجل: «من أذهب حبيبتيه فصير واحتسب، لم أرض له ثوابًا دون الجنة»^(١)، وقد يكون الحديث القدسي صحيحًا، وقد يكون حسنًا، وقد يكون ضعيفًا^(٢)، ومن الكتب المؤلفة في الأحاديث المتواترة.

٤- والقرآن الكريم اللفظ والمعنى من عند الله تعالى، فهو وحي باللفظ والمعنى، والحديث القدسي معناه من عند الله، ولفظه من عند الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الصحيح فهو وحي بالمعنى دون اللفظ، وذهب بعض العلماء إلى أن الحديث القدسي كلام الله لفظًا ومعنى، لكنه يختلف عن القرآن: فله أحكام خاصة تختلف عن أحكام القرآن.

٥- والقرآن الكريم متعبد بتلاوته، فلا تصح الصلاة إلا به: ﴿فأقرأوا ما تيسر من القرآن﴾ [المزمل: ٢٠]، والحرف بعشرة حسنات «من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "ألف حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^(٣).

٦- الحديث القدسي لا تصح قراءته في الصلاة، ويثاب قارئه ولكن ليس كثواب قارئ القرآن.

٧- القرآن الكريم لا تجوز روايته بالمعنى لأن روايته بالمعنى تحريف وتبديل لكلماته وخروجه عن الاعجاز الحديث القدسي تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين.

٨- القرآن الكريم لا يجوز للجنب حمل القرآن ولمس المصحف، ويجوز للجنب حمل الحديث القدسي ومس الكتاب الذي يحتويه.

(١) عن: أبي هريرة حسن صحيح أخرجه الترمذي، والنسائي في السنن الكبرى، وأحمد، رواه أربعة عشر صحابيا.

(٢) كتاب: نظم المتنائر في الحديث المتواتر ص ٧٧ لمحمد بن جعفر الكتاني.

(٣) رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال: حديث حسن صحيح

٩- أن الله تكفل بحفظ القرآن، فقال: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} وحفظه من الضياع. فلا يضيع حرف من حروفه حتى يأتي أمر الله، بخلاف الحديث القدسي، فإنه قد يبدل لفظ من ألفاظه، أو ينسى بعضه بمرور الزمان، وذهاب الحافظين.

١٠. القرآن الكريم من أنكر لفظاً من ألفاظ القرآن الكريم كفر؛ لأنه متواتر قطعي في ثبوته بخلاف الحديث القدسي، فإنه من أنكر شيئاً منه لم يعلم من الدين بالضرورة لا يكفر

١٠- القرآن نزل علي سبعة أحرف أما الأحاديث القدسية ليس كذلك

وحي القرآن الكريم

معنى الوحي:

جاءت كلمة الوحي في أكثر من سبعين مرة في القرآن الكريم، بألفاظ مختلفة «أوحى»، «أوحيت»، «أوحينا»، «يوحى»، «نوحيه»، «نوحيا»، «ليوحون»، «أوحى»، «وحي»، «وحيه»، «وحينا»^(١).

والوحي يدل، على معاني منها: الخفاء والسرعة، والإلهام، والاعلام والأمر والاخبار والإلهام هو توجيه خفي لا يدرك مصدره، و: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره.

جاء الوحي في القرآن الكريم بعدة معاني:

١- الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ [القصص الآية: ٧]، واختلف العلماء في كيفية الوحي لها فمنهم من قال كان بالمنام ومنهم من قال: قذف في نفسها " ومنهم من قال بواسطة ملك، وفي هذه الآية توجيه رباني مقترن بأوامر وتعليمات، ولا بد أن أم موسى أدركت مصدر هذا الإلهام، وعرفت أنه من الله، ولهذا نفذت ما أمرت به واطمأنت، ولولا ذلك لما نفذت هذا الأمر الذي لا يمكن لأمن أن تفعله، وكيف يمكن لأمن أن تلقي وليدها في اليم لمجرد خاطر عابر لا تعرف مصدره^(٢).

٢- الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾ [النحل: ٦٨].

^١ راجع المدخل إلى علوم القرآن محمد النبهان
^(٢) راجع المدخل إلى علوم القرآن محمد النبهان

٣- معنى الإشارة الظاهرة التي تعطي معنى الأمر، وذلك في قوله تعالى: ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ [مريم: ١١]

٤- ووسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ [الأنعام: ١١٢].

نزول الوحي على الأنبياء والرسل

ومعنى وحي الله إلى أنبيائه: هو إعلام الله تعالى من يصطفيه ويختاره من عباده الرسل والأنبياء ، من تشريعات وأحكام التي فيها الهداية والرشاد بطريقة خفية سريعة.

وحي الله إلى ملائكته:

يكون بمعنى الإخبار والأمر والتكليف ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتُجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢].

كيفية تلقي الملائكة الأمر من الله تعالى:

عن النّوّاس بن سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتْ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً - أَوْ قَالَ: رَعْدَةً - شَدِيدَةً خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعَقُوا وَخَرُوا لِلَّهِ سَجْدًا، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلِّمًا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: "قَالَ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ" فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِى جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ فِي السَّمَاءِ أَمْرًا ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُا سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَ﴿إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ قَالَ: وَالشَّيَاطِينُ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ»^(٢).

كيفية وحي الله إلى جبريل بالقرآن:

تعددت الأقوال في هذا الأمر فمنهم من قال أن جبريل أخذه سماعا من الله بلفظه ومعناه. ولا دخل لجبريل فيه إلا البلاغ.

٢_ ومنهم من قال: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، وهذا لا يصح لأن الله كتب في اللوح المحفوظ القرآن وغيره وما هو كائن الي يوم القيامة، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا

(١) راجع عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥٢/٢٥) و السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني (٢٢٧/١)
(٢) الترمذي قال حديث حسن صحيح.

في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور» [الحديد: ٢٢].

٣- أن الله تعالى ألقى إلي جبريل المعنى - والألفاظ لجبريل، أو لمحمد، صلى الله عليه وسلم، وهذا غير صحيح، فمعنى هذا أن الكلام كلام بشر وليس كلام الله تعالى، هذا القول ممكن ينطبق علي الحديث القدسي والحديث النبوي .

والرأي الأول هو الصواب، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْكَ لَتَلَقِيَ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّا بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

كيفية نزول الوحي إلى الرسل

لقد أوحى الله تعالى إلى الأنبياء والمرسلين برسائل وتشريعات وأحكام فيها الهدى والنور، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا، وَرَسَلْنَا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسَلْنَا لَمْ نَقْصِصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٣]

وحي الله تعالى لرسله يكون بواسطة جبريل ملك الوحي عليه السلام، ويكون بغير واسطة جبريل عليه السلام

وأمثل ذلك:

١- الوحي المباشر من وراء حجاب بدون واسطة جبريل ملك الوحي عليه السلام، ويكون في اليقظة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَبِشْرَ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسَلُ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]، كما حدث مع موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤]،

وحدث مع النبي ليلة الإسراء حين فرض الله عليه الصلاة من خمسين صلاة إلى خمس صلوات: حين قال له موسى عليه السلام «راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك»^(١)، فقد ثبت أن الله كلم الرسول - صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء

(١) البخاري ومسلم

فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أُمِرَ بِمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ لِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَرَاغَ رَبُّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَرَاغْتُ رَبِّي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَرَاغْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتَيْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَعَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَذْرِي مَا هِيَ؟ قَالَ: ثُمَّ أَدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابُذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تَرَائِيهَا الْمِسْكُ»^(١).

٢_ الرؤيا الصالحة في المنام: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به -صلى الله عليه وسلم- الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»^(٢).

وهذا النوع لا يكون في القرآن الكريم لأن القرآن نزل جميعه في اليقظة بإجماع المسلمين، وليس صحيحا من ادعى نزول سورة "الكوثر" مناما للحديث الوارد فيها.

ففي صحيح مسلم عن أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه مبتسما فقلت: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: "نزلت علي أنفا سورة"، فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ سورة الكوثر»^(٣)، والإغفاء هذه هي الحالة التي كانت تعتريه عند الوحي. وليس معناه النوم كما يدعي أهل الأهواء، ومما يدل على أن الرؤيا الصالحة للأنبياء في المنام وحي يجب اتباعه.

وكما جاء في قصة إبراهيم من رؤيا ذبح ولده إسماعيل عليهم السلام: ﴿فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إبراهيم، كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين، وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين﴾ [سورة الصافات].

ولو لم تكن الرؤيا من عند الله تعالى وحيًا يجب اتباعها ما أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده الوحيد الذي رزقه الله إياه وهو في هذا السن الكبير.

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

فقہ ، حدیث ، تفسیر ، اعلام

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، وأخرج أحمد وابن جرير وغيرهما عن عائشة أيضا: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أُوحي إليه، وهو على ناقته، وضعت جرائنها-يعني صدرها- على الأرض، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه»^(١)، أي: الوحي.

وعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم﴾ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أومخرجي هم؟! قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي»^(٢).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يحدث عن فترة الوحي - أي انقطاعه-، قال في حديثه: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ". قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًا، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي، فَدَثَرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ * وَتَبَارَكَ فَطَهَّرَ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، وَهِيَ الْأَوْتَانُ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعِ الْوَحْيُ»^(٣).

(١) صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

وعن زيد بن ثابت، قال: كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « اكتب » لا يستوي القاعدون [النساء: ٩٥] والمجاهدون في سبيل الله فجاء عبد الله ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، إني أحب الجهاد في سبيل الله، ولكن بي من الزمانة، وقد ترى، وذهب بصري. قال زيد: فثقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي، حتى خشيت أن ترضها فقال: " اكتب » لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله [النساء: ٩٥] ^(١)، ومعنى ترضها أي تنخلع .

وعن عائشة في حديث البراءة من الإفك قالت: «حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ» ^(٢)، و (الجمان) هو حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ، وقد يسمى به اللؤلؤ.

وكان صلى الله عليه وسلم يثقل وزنه جداً حتى إن البعير الذي يكون عليه يكاد يبرك، وحتى خشي زيد بن ثابت على فخذه أن ترض وقد كانت فخذة رضي الله عنه تحت فخذ النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن عائشة أَنَّهَا قَالَتْ: «إِنْ كَانَ لِيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا» ^(٣)، زاد البيهقي في " دلائل النبوة، قولها «من ثقل ما يوحى إلى رسول الله»، الجران: باطن عنق الناقة، قال السندي -رحمه الله-: قوله (فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا) -بكسر الجيم - : باطن العنق، والبعير إذا استراح مدَّ عنقه على الأرض ^(٤).

وعن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَخَذَهُ عَلَى فَخْذِي فَثَقُلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرْضَ فَخْذِي» ^(٥)

الوحي بواسطة جبريل عليه السلام:

ويكون الوحي بواسطة أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام وبه نزل القرآن الكريم. ويكون على حالتين

الحالة الأولى: وهي أشدهما على الرسول، صلى الله عليه وسلم أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، ومعنى الصلصلة صوت الحديد عندما يتصادم بالحديد، وقد يكون هذا الصوت هو صوت حفيف أجنحة الملائكة.

(١) إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه أبو نعيم في "الدلائل"

(٢) رواه مسلم (٢٧٧٠) .

(٣) رواه أحمد.

(٤) "مسند أحمد" (٤١ / ٣٦٢) .

(٥) رواه البخاري.

عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: «يا رسول الله.. كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»^(١)، وروت عائشة رضي الله عنها ما كان يصيب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من شدة فقالت: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً»^(٢). رواه البخاري.

والحالة الثانية: أن يتمثل له الملك رجلاً وهذه الحالة أخف من الأولى ويأتيه في صورة رجل معروف لدى الصحابة أو غير معروف

فالرجل المعروف كالصحابي دحية الكلبي رضي الله عنه

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ دَحْيَةَ"^(٣)

والرجل غير معروف لدى الصحابة:

كما حدث في حديث جبريل عن عمر رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفر ولا يعرفه منا أحدٌ، حتى جلس إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تُلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العُرَاة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البُنيان، ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»^(٤).

(١) صحيح البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الإمام أحمد في "المستند" (١٠٢ / ١٠)، وصححه محققو المسند.

(٤) رواه مسلم

وقد يأتيه الوحي في صورته الحقيقية، التي خلقه الله عليها، فعن مسروق أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (التكوير: ٢٣)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (النجم: ١٣-١٤)، فقالت: «أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»^(١)، وعن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قال صلى الله عليه وسلم: «لَمْ أَرَهُ - أَيْ جِبْرِيلَ - عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»^(٢)، وهذا ما ذكره الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى ٥١).

بعض شبه الجاحدين والرد عليها

١- زعموا أن القرآن الكريم من عند الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومن كلامه فهو الذي ابتكر معانيه، وصاغ أسلوبه، وليس القرآن وحيا يوحى. من قبل الله.

يقول الدكتور مناع القطان: وهذا زعم باطل، فإنه عليه الصلاة والسلام إذا كان يدعي لنفسه الزعامة ويتحدى الناس بالمعجزات لتأييد زعامته فلا مصلحة له في أن ينسب ما يتحدى به الناس إلى غيره، وكان في استطاعته أن ينسب القرآن لنفسه، ويكون ذلك كافيا لرفعة شأنه، والتسليم بزعامته، ما دام العرب جميعا على فصاحتهم قد عجزوا عن معارضته، مباحث في علوم القرآن^(٣).

ويقول الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان: وقد زعم بعض الناس أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ بمعاني القرآن والرسول يعبر عنها بلغة العرب. وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل وأن الله كان يوحى إليه المعنى فقط وكلاهما قول باطل أثيم مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به. وعقيدتي أنه مدسوس على المسلمين في كتبهم. وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ معجزا واللفظ لمحمد أو لجبريل؟ ثم كيف تصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله؟ مع أن الله يقول: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ إلى غير ذلك مما يطول بنا تفصيله.

والحق أنه ليس لجبريل في هذا القرآن سوى حكايته للرسول وإيحائه إليه وليس للرسول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا القرآن سوى وعيه وحفظه ثم حكايته وتبليغه ثم بيانه وتفسيره ثم تطبيقه وتنفيذه. نقرأ في القرآن نفسه أنه ليس من إنشاء جبريل ولا محمد نحو ﴿وَإِنْكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) مباحث في علوم القرآن مناع القطان ص ٣٨

حكيم عليهم السلام، ونحو: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾، ونحو: ﴿وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْكَ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ﴾، ونحو: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلَ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^(١). انتهى

ويقول الدكتور محمد بكر إسماعيل "والذي يجب الجزم به أن جبريل نزل باللفاظ القرآن المعجزة من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس، وتلك الألفاظ هي كلام الله وحده، لا دخل لجبريل ولا لمحمد -صلى الله عليه وسلم- في إنشائها ولا في ترتيبها، فالألفاظ التي نقرأها ونكتبها هي من عند الله، وليس لجبريل -عليه السلام- في هذا القرآن سوى حكايته للرسول -صلى الله عليه وسلم-، وليس للرسول -صلى الله عليه وسلم- سوى وعيه وحفظه وتبليغه، ثم بيانه وتفسيره، ثم تطبيقه وتنفيذه"^(٢).

نزول القرآن الكريم

قد يقرأ المسلم في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر ١]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة ١٨٥]، فيفهم من هذه الآيات أن القرآن نزل دفعة واحدة، وهذا يخالف الواقع التاريخي حيث تبين أن القرآن الكريم نزل على النبي صلى الله عليه وسلم على مدار فترة الرسالة بشقيها المكي والمدني في قرابة ثلاث عشرة سنة.

وما عليه علماء الأمة أن القرآن الكريم نزل أولاً وسجل في اللوح المحفوظ، كاملاً وجملة واحدة لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢٢]، كما ثبت إنزاله جملة بعد ذلك إلى بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان.

قال السيوطي: "السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وهو النبي صلى الله عليه وسلم. وفي السنة ما يوضح هذا النزول، ويدل على أنه غير النزول الذي كان على قلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-".

فعن ابن عباس موقوفاً: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان ٣٣]»، وقال: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء ١٠٦]

(١) مناهل العرفان ج ١ ص ٤٩

(٢) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ٢٧).

(٣) رواه النسائي والحاكم.

وفي رواية: "فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي، صلى الله عليه وسلم وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «أُنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله -صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض»^(١) .^(٢)

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم أنزل نجوما»^(٣) ، وعن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود فقال: «أوقع في قلبي الشك قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ وقوله: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وهذا أنزل في شوال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجة، وفي المحرم، وصفر، وشهر ربيع، فقال ابن عباس: «إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ورسلاً في الشهور والأيام»^(٤) ، قال أبو شامة: رسلاً أي: وفقاً، وعلى مواقع النجوم أي: مثل مساقطها، يريد أنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم مفرقاً، يتلو بعضه بعضاً على تودة ورفق.

هذه أحاديث من جملة أحاديث ذكرت في هذا الباب، وكلها صحيحة كما قال السيوطي، وهي أحاديث موقوفة على ابن عباس، غير أن لها حكم المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم، لما هو مقرر من أن قول الصحابي مما لا مجال للرأي فيه^(٥) .

وذكر السيوطي أن القرطبي نقل الإجماع على نزول القرآن جملةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والحكمة في هذا التنزل لا نعلمها على وجه اليقين، ولسنا مكلفين بمعرفتها.

وأبلغ الظن أنه تفخيم لشأن القرآن الكريم، وشأن من نزل عليه، بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم^(٦) .

ويتضح مما سبق أن القرآن الكريم تكلم به رب العزة سبحانه وتعالى ونزل ووضع في اللوح المحفوظ دفعة واحدة بكيفية يعلمها الله تعالى ، ثم الي بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل -عليه السلام- على قلب محمد بن عبد الله -صلوات الله وسلامه عليه- منجّماً ومفرقاً في نحو ثلاث وعشرين سنة فينزل جبريل عليه السلام بالنزول بالآية الآيتين والثلاثة وأكثر قال جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٥].

(١) رواه البيهقي والحاكم.

(٢) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ٢٥).

(٣) رواه الطبراني.

(٤) أخرج ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٥) راجع دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ٢٦).

(٦) راجع دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ٢٦).

ولقد ذهب بعض أهل العلم وهو الذي روي عن الشعبي قال: أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد ابتداء نزوله في ليلة القدر في شهر رمضان، وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجا مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة، فليس للقرآن سوى نزول واحد هو نزوله منجما على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأن هذا هو الذي جاء به القرآن: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِنُقَرِّاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، والصحيح والصواب القول الأول لورود الأدلة السابقة.

يقول الشيخ: عبد الله بن يوسف الجديع: من علماء السلف من ذهب إلى أن ابتداء النزول كان في ليلة القدر لا جميع القرآن، وهذا القول لا يوجد ما يردّه، وهو وجه في تفسير الآيات الثلاث المذكورة، لكن صحّ عن إمام المفسرين عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- ما أفادنا أن للقرآن تنزّلين:

الأول: من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وكان جملة واحدة.

الثاني: من السماء الدنيا إلى الأرض على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقا على الوقائع. فعنه قال: أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئا أوحاه، فهو قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وفي لفظ: أنزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئا أنزله منه، حتى جمعه .

وهذا خبر تلقاه أكثر العلماء بالقبول، وهو مروى من وجوه متعددة عن ابن عباس، ومثله إخبار عن أمر غيبي لا يصار إلى مثله إلا بتوقيف، فله حكم الحديث المرفوع، والقول به أولى من القول بمجرد النظر^(١).

والحقيقة أن هذا المذهب الذي روي عن الشعبي لا يتعارض مع المذهب الأول الذي روي عن ابن عباس. فيكون نزول القرآن جملة واحدة وأيضا وبداية نزوله بعد ذلك مفرقا في ليلة القدر من شهر رمضان، وهي الليلة المباركة.

الحكمة من نزول القرآن مفرقا:

نزل القرآن مفرقا منجما، وليس جملة واحدة كما حدث مع الكتب السماوية السابقة

١- تثبيت قلب النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

(١) المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص: ٣٧).

٢- **التحدي والإعجاز**، فلو نزل دفعة واحدة لفقد روح التحدي والإعجاز أمام المشركين الذين عجزوا أمامه، وشهدوا له بأنه ليس من عند بشر، يقول ابن عباس عن نزول القرآن: «فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً، أحدث الله لهم جواباً»^(١).

٣- **تيسير حفظ القرآن وفهمه**: فبنزول القرآن مُفَرَّقًا يسهل للناس حفظه وفهمه بخلاف لو نزل دفعة واحدة، وخاصة أنه كان يتنزل على حسب الوقائع والأحداث، قال عمر رضي الله عنه: «تعلّموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم خمساً خمساً»^(٢)، وعن أبي نضرة قال: «كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة، وخمس آيات بالعشي، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات»^(٣)، وهذا ما كان ينزل في الغالب، وليس على الدوام فقد نزل من القرآن سور كاملة كسورة الأنعام

أخرج الطبراني وأبو عبيد في فضائل القرآن، عن ابن عباس قال: «نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة حولها سبعون ألف ملك يجارون بالتسبيح»^(٤)، وأخرج أبو عبيدة، وابن الضريس في فضائلهما، وابن المنذر والطبراني، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: نزلت سورة "الأنعام" بمكة ليلاً جملةً، وحولها سبعون ألف ملك يجارون بالتسبيح.

وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال: أنزلت سورة "الأنعام" جميعاً بمكة، معها موكب من الملائكة يشيعونها، قد طبّقوا ما بين السماء والأرض، لهم زجل بالتسبيح حتى كادت الأرض أن ترتج من زجلهم بالتسبيح ارتجاجاً، فلما سمع النبي عليه الصلاة والسلام زجلهم بالتسبيح ذهب من ذلك فخر ساجداً، حتى أنزلت عليه. «وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفاً من الملائكة».

وهناك آيات نزلت تزيد وآيات تقل عن خمس آيات.

كما أخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، من طريق أبي العالبيّة، عن ابن عباس، يقول: أنزل آية آية.

٤- **تشويق نفوس المؤمنين لقبوله والاشتياق إليه**: حيث يتشوق المسلمون إلى نزول الآية، وخاصة عند الحاجة إليه، كما في آيات حادثة الإفك عندما اتهم المنافقون زوجة النبي عائشة رضي الله عنها بالإفك، وهي أحب زوجاته إليه، فكانوا في اشتياق إلى نزول آيات تبرأها. فنزلت ولله الحمد آيات سورة النور.

(١) أخرجه التّسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي

(٢) أخرجه البيهقي في "الشّعْب"

(٣) رواه ابن عسّاكر.

(٤) رواه الطبراني

٥- **مسايرة ومواكبة الأحداث والوقائع:** كما حدث في نزول الآيات الخاصة بالغزوات والمواقف كغزوة بدر وغزوة أحد والخندق وحنين وفتح مكة والثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهكذا .

٦- **التدرج في التشريع:** فقد كان القرآن الكريم يتدرج في نزوله، ويرسخ في نفوس المؤمنين الأحكام والتشريعات فقد بدأ بترسيخ التوحيد ونبد الشرك وعبادة الأصنام .

وبعد أن ترسخ هذا كله نزل بعد ذلك التشريع والأحكام كما حدث في ذم الخمر، في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]

فعن عائشة رضي الله عنها -، قالت: «إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء "لا تشربوا الخمر" لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل "لا تزنا" لقالوا: لا ندع الزنا أبداً»^(١).

مدة نزول القرآن:

نزل القرآن الكريم على النبي الأمين صلى الله عليه وسلم في فترة تزيد على عشرين سنة، كما هو معلوم، وقد حدد الشيخ محمد أبو شهبه مدة نزول القرآن الكريم بأنها اثنتان وعشرون سنة وخمسة أشهر، ونصف الشهر. راعى في هذا التحديد ما ذهب إليه الجمهور من أنه صلى الله عليه وسلم ولد في الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل، وتوفي في الثاني عشر أيضاً من ربيع الأول عام إحدى عشرة من الهجرة.

وبين ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم نبئ على رأس الأربعين من ميلاده الشريف وذلك من الثاني عشر من ربيع الأول وقد بدئ الوحي إليه^(٢)

يقول المباركفوري رحمه الله في كتاب الرحيق المختوم نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم: وبعد النظر والتأمل في القرائن والدلائل يمكن لنا أن نحدد يوم نزول الوحي بأنه يوم الإثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلاً ويوافق ١٠ أغسطس سنة ٦١٠ م وكان عمره إذ ذاك بالضبط أربعين سنة

(١) رواه البخاري.

(٢) كتاب نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم [محمد بن عبد الرحمن الشايع] ص ٤٤

قمرية وستة أشهر و ١٢ يوما وذلك نحو ٣٩ سنة شمسية وثلاثة أشهر و ١٢ يوما . مع التنبيه إلى أن هناك اختلافا كبيرا في اليوم والشهر .

وقد كتب القرآن الكريم ودون على ما كان ميسورا من أدوات الكتابة ، في هذا التوقيت كالعسب (جريد النخل)، واللخاف (الحجارة الرقاق)، والأديم والأكتاف (عظام الأكتاف)، والأقتاب (ما يوضع على ظهور الإبل). وهذا هو المتاح عندهم في هذا الوقت.

واستمر هذا الحال طوال حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثر القتل في أهل القرآن جمع أبو بكر القرآن في مصحف واحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أول ما نزل من القرآن الكريم

روى الإمام أحمد، وابن جرير الطبري، والطبراني، والبيهقي في " الشعب " عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنزلت صحف إبراهيم عليه وسلم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان ".

أول ما نزل من القرآن الكريم عموما- عند جمهور العلماء، أول خمس آيات من سورة العلق من أولها إلى قوله تعالى علم الإنسان ما لم يعلم، لما رواه البخاري ومسلم (واللفظ للبخاري) عن عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبيب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث- يتعبد- فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ؛ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ؛ فقلت: ما أنا بقارئ؛ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم﴾.. الحديث»^(١).

وأخرج الواحدي عن عكرمة والحسن. قالوا: «أول ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم، وأول سورة سورة اقرأ»^(٢).

(١) حديث بدء الوحي (متفق عليه)، وهذا لفظ البخاري.

(٢) راجع كتاب تاريخ نزول القرآن محمد رأفت سعيد ٥٠

آخر ما نزل من القرآن الكريم

اختلف العلماء في آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق اختلافا كثيرا، لعدم وجود أثر صحيح مسند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه بين هذا ويوضحه لذا نجد كثرة الاختلاف والاجتهاد، وأشهر هذه الأقوال، ما يلي:

القول الرابع أن: «آخر ما نزل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٨١]»^(١).

أخرج ابن أبي حاتم قال: «آخر ما نزل من القرآن كله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، فلقد عاش النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزولها تسع ليال تقريبا»^(٢).

كيف يعرف أول ما نزل وآخر ما نزل؟

أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن يعتمد على النقل والتوقيف، ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة والجمع بينها أن وجد ما يظهر من تعارض كشأن، معرفة المكي والمدني وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك.

فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل.

(أ) معرفة الناسخ من المنسوخ. (ب) معرفة تاريخ التشريع الإسلامي وتدرجه.

آخر ما كتب في المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه

عن أبي العالية «أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر، فكان رجال يكتبون، ويملّ عليهم أبي بن كعب حتى انتهوا إلى هذه الآية في سورة براءة: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا سَرَعًا﴾ قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون»، فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن، فقال أبي بن كعب: «إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أقراني بعد هذا آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]»^(٣).

(١) أخرجه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس.
(٢) كتاب نفحات من علوم القرآن محمد معبد [ص ٣٨]
(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٣٣١)

الآيات والسور

أولاً: تعريف الآية وطرق معرفتها:

معنى الآية لغة، تطلق الآية في اللغة على المعجزة، والعلامة، والدليل، والعبرة، والأمر العجيب، والآية القرآنية في اصطلاح العلماء: هي طائفة من كلمات القرآن لها بداية ونهاية، مندرجة في سورة من سور القرآن الكريم:

طريق معرفة الآية:

طريق معرفة الآية القرآنية هو السماع من النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّد بداية كل الآيات وخواتيمها، حتى لأصحابه، وهم الذين نقلوا لنا ، عدد الآيات في كل سورة كما اخذوها من قراءته -صلى الله عليه وسلم-.

قال الزمخشري: الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، ولذلك عدوا ﴿الم﴾ حيث وقعت ، وهي ست و﴿المص﴾، ولم يعدوا ﴿المر﴾ ولا ﴿الر﴾ وهي في خمسة سور، وعدوا ﴿حم﴾ آية في سورها، وهي سبعة، و ﴿حم، عسق﴾ آيتان. وكذا عدوا ﴿طه﴾، و ﴿يس﴾، ولم يعدوا ﴿طس﴾ النمل، و ﴿طسم﴾ آية في الشعراء والقصص.

ومما يدل على أن تحديد الآيات أمر توقيفي، لا مجال للاجتهاد فيه قول القاضي ابن العربي: ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الفاتحة سبع آيات، وسورة الملك ثلاثون آية، وصحّ أنه قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران. قال: وفي آياته طويل وقصير، ومنه ما ينقطع ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام، ومنه ما يكون في أثناؤه كقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ على مذهب أهل المدينة، فإنه يعدونها آية، وينبغي أن يعوّل في ذلك على فعل السلف.

سبب الخلاف في عد الآية:

سبب اختلاف السلف في عد الآية، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقف على رءوس الآي ليعلمهم أوائلها وأواخرها، فلما رأهم قد عرفوا ذلك صار يقف أحياناً على ما يتم به المعنى، فحسب بعضهم أن ما وقف عليه رأس آية. ومن هنا اختلفوا في عد الآية، أضف إلى ذلك أن بعضهم كان يعدّ البسملة آية من السورة، فسورة الفاتحة -مثلاً- عند الجمهور سبع آيات، لكنهم اختلفوا فيما بينهم في البسملة، هل هي آية من الفاتحة أم ليست بآية منها. فمن عدّها آية من الفاتحة كالكوفيين والمكيين، لم يعتبر: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ رأس آية، ومن لم يعدّها آية من الفاتحة -وهم من سوى أهل الكوفة وأهل مكة- يعدون: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، ويقفون عليها.

فوائد معرفة الآي:

لمعرفة الآيات فوائد كثيرة منها:

- ١- إدراك الحد الذي يقع به الإعجاز، فقد صحَّ عند المحققين أن الآية الواحدة إذا كانت في طول سورة "الكوثر" وقع بها التحدي، وثبت عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله.
- ٢- معرفة ما يجزئ من القراءة في الصلاة بعد الفاتحة، فإن أقلَّ ما يجزئ فيها قراءة سورة أو آية في طولها أو ثلاث آيات.
- ٣- حفظ سبع آيات بديلة عن سورة الفاتحة لمن لم يحفظ الفاتحة -قال السيوطي في الإتقان، والعجيب فيمن يجهل الفاتحة كيف يحفظ من القرآن سبع آيات تقوم مقامها في الصلاة.
- ٤- معرفة الوقف والابتداء، فإنَّ مَنْ عرف أوائل الآيات وأواخرها أمكنه أن يقف على رأس كل آية، والبدء بالآية التي بعدها.

عدد آيات القرآن.

- عدد آيات القرآن برواية حفص عن عاصم في مصر والسعودية و الأكثر انتشارا اليوم بين المسلمين ٦٢٣٦ آية

- عدد آيات القرآن بروايته قالون وورش المتداولتين في شمال أفريقيا ٦٢١٣ آية

- عدد آيات القرآن برواية الدوري المتداول في السودان ٦٢٠٤ آية

١. المصحف المدني الأول ٦٠٠٠ آية

٢. المصحف البصري ٦٢٠٤ آية

٣. المصحف المدني الأخير ٦٢١٣ آية

٤. المصحف المكي ٦٢١٩ آية

٥. المصحف الشامي ٦٢٢٦ آية

٦. المصحف الكوفي ٦٢٣٦ آية

جاء في كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي، مجد الدين

قال فإذا فهمت ذلك فاعلم أنَّ عدد آيات القرآن عند أهل الكوفة ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية.

هكذا مسند المشايخ من طريق الكسائي إلى علي بن أبي طالب. وقال سليم عن حمزة قال: هو عدد أبي عبد الرحمن السُّلَمي. ولا شك فيه أنه عن علي، إلا أنني أجبت عنه.

وروى عبد الله بن وهب عن عبد الله بن مسعود أنه قال: آيات القرآن ستّة آلاف ومائتان وثمان عشرة آية. وحروفها ثلاثمائة ألف حرف وستمئة حرف وسبعون حرفاً، بكلّ حرف منها عشر حركات لقارئ القرآن. وروينا عن الفضل بن عبد الحنّان قال: سمعت أبا معاذ النحوي يقول: القرآن ستّة آلاف آية ومائتان وسبع عشرة آية. وهو ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائتان حرف.

وقال: صاحب الإيضاح: عدد آيات القرآن في قول المدنيّ الأوّل ستّة آلاف ومائتان (وأربع عشرة آية، وهو أحد وعشرون وألف. وهو العدد الذي رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة، قال: وفي قول المدنيّ الأخير ستّة آلاف ومائتان) وسبع عشرة آية. وهو عدد شَيْبَةَ بن نَصَّاح قال: وفي عدد يزيد بن القعقاع: ستّة آلاف ومائتان وعشر آيات. قال: وعددها عند أهل مَكَّة ستّة آلاف وعشر آيات. وفي بعض الروايات مائتان وخمس وفي بعضها مائتان وأربع. وعند أهل الشام ستّة آلاف ومائتان وستّ (وعشرون آية. وروينا عن ابن عباس وابن سيرين أنه ستّة آلاف ومائتان وست) عشرة آية وعن عطاء بن يسار أنه ستّة آلاف ومائة وتسعون وسبع آيات. وعن قتادة مائتان وثمان عشرة آية.

يقول الفيروز أبادي: ومن هذه الجملة ألف آية وستمئة آية في قِصَصِ الأنبياء، وألف ومائتان في شرائع الإيمان، وألف وعشرون في التوحيد والصفّات، وألف في ترتيب الولايات، وأربعمئة في الرُّقِيّة وتعويد الآفات، وأربعمئة في أنواع المعاملات، ومائة في عذر جُرم العُصّات، ومائة في

ضمان أرزاق البريّات، وسبعون في جهاد الغزات، وخمسون فيما يتعلق بقصد مَكَّة وعرفات. والباقي في أحكام النكاح، وطلاق المنكوحات. ^(١)

وسبب الاختلاف

كما قال مجد الدين الفيروزآبادي: اعلم أنّ عدد سور القرآن .بالاتّفاق .مائة وأربعة عشر سورة، وأمّا عدد الآيات: فإن صدر الأُمَّة وأئمة السّلف من العلماء والقراء كانوا ذوي عنايةٍ شديدة في باب القرآن وعِلْمه، حتى لم يبق لفظ ومعنى إلاّ بحثوا عنه، حتى الآيات والكلمات والحروف، فإنهم حَصَرُوهَا وعدّوها، وبين القراء في ذلك اختلاف، لكنّه لفظي لا حقيقي،

مثال ذلك أنّ قراء الكوفة عدّوا قوله: والقرآن ذي الذكر . آية، والباقيون لم يعدّوها آية، وقراء الكوفة عدّوا، قالَ فالحق والحق أقولُ. آية والباقيون لم يعدّوها، بل جعلوا آخر الآية: فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ، و:

^١ : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي، مجد الدين جلد ١ : صفحه ٥٥٨

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ . وهكذا عدَّ أهل مكة والمدينة والكوفة والشَّام آخر الآية والشیاطين كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ . وأهل البصرة جعلوا آخرها: وَآخِرِينَ مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ . ولا شكَّ أنَّ ما هذا سبيله اختلاف في التَّسمية لا اختلاف في القرآن، ومن هاهنا صار عند بعضهم آيات القرآن أكثر، وعند بعضهم أقلَّ، لا أنَّ بعضهم يزيد فيه، وبعضهم ينقص، فَإِنَّ الزِّيَادَةَ وَالتَّقْصِصَ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ، عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَقْدُورٍ لِلْبَشَرِ، قَالَ تَعَالَى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.

وأما الحروف فإن بعض القراء عدَّ الحرف المشدَّد حرفين، فيكون على هذا القرآن عنده أكثر..^(١)

كيفية معرفة السور:

من المعلوم والمقرر لدى أهل العلم أن ترتيب الآيات أمر توقيفي من عند الله تعالى

ولقد تحددت السورة القرآنية بفاتحتها وخاتمتها بتوقيف من الله تعالى، وليس باجتهاد من بشر أيا كان، وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يعرفون السورة الجديدة بنزول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كما بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك من خلال قراءته.^(٢)

يقول الزرقاني - رحمه الله - «ومرجع الطول والقصر والتوسط، وتحديد المطلع والمقطع إلى الله وحده لحكم سامية»^(٣).

عدد سور القرآن:

يقول الإمام الزركشي: «واعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة، كما هي في المصحف العثماني، أولها الفاتحة وآخرها الناس^(٤)، قال مجاهد: ثلاث عشرة^(٥). يجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسملة. والرد على هذا تسمية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلا منهما باسمه، والأول هو المعتمد عند علماء الأمة.

تقسيم سور القرآن

قسَّم العلماء السور القرآنية إلى أربعة أقسام: ١ - السبع الطوال. ٢ - المئون. ٣ - المثاني. ٤ - المفصل. واعتمدوا في هذا على ما أخرج أحمد وأبو عبيد من رواية سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح عن

^١ : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي، مجد الدين جلد ١ : صفحه ٥٥٨

^(٢) كتاب الموسوعة القرآنية المتخصصة [مجموعة من المؤلفين]

^(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني. مناهل العرفان ١ / ٣٥٠ ط دار الكتب العلمية ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .

^(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي .

^(٥) البرهان في علوم القرآن (١ / ٢٥١)

وائلة بن الأسقع عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «أعطيت السبع الطَّوْل مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المئاني مكان الزبور، وفضَّلت بالمفصل»^(١).

السبع الطوال:

ويقال لها الطَّوْل، وسميت بذلك لطولها، وهى سبع سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، والسابعة: الأنفال مع التوبة لاتحاد موضوعهما وعدم الفصل بينهما بالبسملة، فكانتا كالسورة الواحدة. ورَجَّح السيوطي في «الإتقان» رواية ابن أبي حاتم وغيره عن سعيد بن جبير، وغيره أن السورة السابعة هى سورة يونس، بدلا من الأنفال والتوبة^(٢).

جاء من حديث أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري، قال: سمع عثمان بن عفان - **رضي الله عنه** - أن وفد أهل مصر قد أقبلوا فاستقبلهم فلما سمعوا به أقبلوا نحوه، قال: وكره أن يقدموا عليه بالمدينة فأتوه فقالوا له: ادع المصحف وافتح السابعة وكانوا يسمون سورة يونس السابعة فقرأها حتى أتى على هذه الآية {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ}، وقالوا له: قف. أرايت ما حميت من الحمى، **اللَّهُ** أذن لك أم على **اللَّهُ** تفترون؟ فقال: امضه، نزلت في كذا وكذا، فأما الحمى، فإنَّ عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة، فزدت في الحمى لما زاد في الصدقة^(٣).

المئون:

وهى السور التالية للسبع الطوال إلى سورة الشعراء، وسميت بذلك لأن كل سورة منها مائة آية أو نحوها.

المئاني:

فهى السور التالية للمئين إلى سورة الحجرات أو سورة [ق]، وسميت بهذا الوصف لأنها ثمانية بعد المئين، والمئون أولى بالنسبة لها. «وقال الفراء: هى السورة التى آياتها أقل من مائة، ولأنها تشي أكثر وأسرع مما يثنى الطوال والمئون، أى تطوى بالقراءة»^(٤).

(١) رواه أحمد وأبو عبيد

(٢) الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٢٢٣)

(٣) أخرجه: ابن أبي شيبة (٣٧٦٩٠)، والبيهقي ١٤٧/٦

(٤) الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٢٢٣)

المفصل:

فهو ما يلي المثاني من السور القصار، من سورة الحجرات أو (ق) إلى سورة الناس- على ما رجّحه العلماء .

روى أحمد وغيره من حديث حذيفة الثقفي، وفيه: «أن الذين أسلموا من ثقيف سألوا الصحابة- **رضي الله عنهم**: كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: نحزّبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من (ق) حتى النهاية»^(١)، وسمى المفصل بذلك لكثرة الفصل بين سورة بالبسملة، لقصورها وكثرتها.

وهذا المفصل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ١- طوال. ٢- وسط. ٣- قصار. وطوال المفصل: من أول سورة الحجرات أو (ق) إلى سورة البروج. ووسط: من سورة الطارق إلى سورة لَمْ يَكُنْ. وقصار: من سورة الزلزلة إلى آخر سورة الناس.

ترتيب آيات وسور القرآن:

انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا الشكل الذي نراه اليوم بالمصاحف، كان بتوقيف من النبي **صلى الله عليه وسلم** عن ربه سبحانه وتعالى، ولا مجال للرأي والاجتهاد فيه، فلقد كان جبريل ينزل بالآيات على الرسول -**صلى الله عليه وسلم**، ويرشده إلى موضع كل آية من السورة، ثم يقرؤها النبي -**صلى الله عليه وسلم**- على أصحابه، ويأمر كتّاب الوحي بكتابتها موضعاً لهم مكانها، وموضعها، وكان يتلوهم مراراً وتكراراً في صلاته وعظاته وخطبه، وكان يعرضه علي جبريل كل عام مرة، وعارضه به في العام الأخير مرتين، كل ذلك كان على الترتيب المعروف لنا في المصاحف الآن .

وكان كل من حفظ القرآن أو شيئاً منه من الصحابة، يحفظه مرتباً الآيات على هذا الترتيب، وكان الصحابة الكرام يتدارسونه فيما بينهم، ويقراءونه في صلاتهم، ويتلقاه بعضهم من بعض، بهذا الشكل وبهذا الأسلوب، فليس للخلفاء الراشدين ولا لغيرهم من الصحابة يد ولا اجتهاد في ترتيب شيء من آيات القرآن الكريم.

والدليل ما رواه الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله **صلى الله عليه وسلم** إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: «أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من

(١) رواه أحمد في مسنده

السورة ﴿إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل آية: ٩٠] ^(١).

جمع القرآن الكريم

الجمع الأول: هو الجمع البكري للقرآن: نسبة للصحابي (أبو بكر) رضي الله عنه:

الجمع الأول للقرآن في زمن الصديق رضي الله عنه وسبب جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه قتل كثير من حفظة القرآن في المعارك الإسلامية. فخشي الصحابة الكرام ضياع القرآن الكريم فهموا بكتابة القرآن الكريم حفاظاً له من الضياع.

وخاصة بعد أن قتل سبعون صحابي من حفظة القرآن، فيما عرف ببئر معونة وكانوا يُعرفون بالقراء، يقرؤون القرآن ويتدارسون له ليل نهار، منهم حرام بن ملحان، وعامر بن فهيرة، فنزلوا بئر معونة بين أرض بني عامر، وحرّة بني سليم وهذا كان في عهد النبي في صفر سنة ٤ للهجرة، بعد أربعة أشهر من غزوة أحد»

وجاءت بعد ذلك معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب، وهي المعركة الفاصلة مع المرتدين، وأهل التوحيد التي كان شعار الصحابة الكرام: فيها "يا أصحاب سورة البقرة يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال".

وقد استشهد في هذه المعركة ألف ومائتين شهيد، كان منهم سبعون صحابي من حفظة القرآن ومن قراء القرآن، أمثال سالم مولى أبي حذيفة، وأبو حذيفة بن عتبة، وثابت بن قيس بن شماس من بني كعب، وكان يُعرف بخطيب النبي صلى الله عليه وسلم، وسماك بن خرشة، والسائب بن عثمان بن مظعون وعقبة بن عامر بن نابي وعبد الله بن سهيل، وغيرهم.

فعن زيد بن ثابت قال: «بعث إليّ أبو بكر الصديق بعد مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال: إن عمر بن الخطاب أتاني فقال: إن القتل قد استحر أي اشتد وكثر بقراء القرآن يوم اليمامة، وإنني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقال أبو بكر لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هو والله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح صدري بما شرح له صدر عمر، ورأيت الذي رأى، قال زيد بن ثابت: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا تهتمك، قد كنت تكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، فتتبع القرآن، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي من ذلك. قلت: فكيف تفعلون

(١) رواه أحمد

شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو بكر: هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك أبو بكر وعمر حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرهما (صدر أبي بكر وعمر). فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والعصب واللخاف (يعني الحجارة)، وصدور الرجال. فوجدت آخر سورة التوبة (براءة) مع خزيمة بن ثابت: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩]»^(١)

«ولقد أثنى رسول الله علي خزيمة فجعل شهادة خزيمة بن ثابت رضي الله عنه ، بشهادة رجلين»^(٢)، فعن خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْتِغَاءً مِنْ سَوَاءِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيِّ فَرَسًا فَجَعَلَهُ شَهِيدَ لَهُ خُزَيْمَةَ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُ؟ قَالَ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنْ صَدَقْتُكَ بِمَا قُلْتَ وَعَرَفْتُ أَنَّكَ لَا تَقُولُ إِلَّا حَقًّا، فَقَالَ: مَنْ شَهِدَ لَهُ خُزَيْمَةُ أَوْ شَهِدَ عَلَيْهِ؛ فَحَسْبُهُ»^(٣).

وفي رواية أخرى أن «زيد بن ثابت، وهو يجمع القرآن، فقد آية كان يسمعها من رسول الله فلم يجدها عند أحد، ثم وجدها عند رجل من الأنصار وهي قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فوضعها في سورتها»^(٤).

قال الزمهرى: وحدثني خارجة بن زيد أن زيد بن ثابت قال: فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾ [الأحزاب: ٢٣]،

فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت -أو أبي خزيمة- وألحقها في سورتها^(٥).
من خلال ما سبق يفهم أن القرآن الكريم مرّ بثلاثة مراحل للتدوين والجمع؛
المرحلة الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. والمرحلة الثانية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
والمرحلة الثالثة في عهد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

(١) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات (ص: ٧٥) نقلا عن السجستاني: كتاب المصاحف، ص ٧

(٢) رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد.

(٣) حسنه الحافظ ابن حجر

(٤) الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٥) راجع المصاحف ابن أبي داود ص ٣٢.

المرحلة الأولى:

التي كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريص كل الحرص على عدم نسيانه وضياعه، فعن ابن عباس قال: «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله: ﴿لَا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه﴾ [القيامة: ١]»، معني إن علينا جمعه أن نجمعه في صدرك ولقد تم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كتابة القرآن الكريم كاملا من قبل كتبة الوحي ولكن لم يتمكنوا من جمعه في مصحف واحد، والسبب في ذلك أن الكتابة لم تكن منتشرة في زمن الرسول. وكانت أدوات الكتابة نادرة، فالجزيرة العربية لم تكن تعرف حينذاك الكتب ولا الكتاب. إلا الشيء النادر البسيط.

وكتبة الوحي ثلاثة عشر، ومن العلماء من جاوز بهم العشرين، وذكر ابن كثير ثلاثة وعشرين في البداية والنهاية، وهم كما قال ابن كثير: (أما كتاب الوحي وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم أجمعين فمنهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم.... ثم ذكر: أبان بن سعيد بن العاص، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأرقم بن أبي الأرقم واسمه عبد مناف، وثابت بن قيس بن شماس، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن سعيد بن العاص، وخالد بن الوليد، والزبير بن العوام، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن أرقم، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه، والعلاء بن الحضرمي، ومحمد بن مسلمة بن جريس، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم أجمعين) (٢).

فلقد كانوا يكتبون القرآن على قدر استطاعتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهِ» (٣)، وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ» (٤)، وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: «قَدْ خَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَسَأَلْتُهُ مُصْحَفًا كَانَ عِنْدَهُ، فَأَعْطَانِيهِ» (٥)، وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ نُوَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ» (٦)،

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس.

(٢) البداية والنهاية - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ج ٨ ص ٣٢١

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) رواه الطبري.

(٦) الترمذي

قال ابن عباس رضي الله عنه عن سورة الأنعام: «هِيَ مَكِّيَّةٌ، نَزَلَتْ جُمْلَةً وَاحِدَةً، نَزَلَتْ لَيْلًا، وَكُتِبَتْ مِنْ لَيْلَتِهِمْ»^(١)،

ولقد اشتهر من الصحابة الكرام من اهتم بالقرآن حفظاً وتجميعاً وكتابة فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب»^(٢)، وهؤلاء الأربعة: اثنان من المهاجرين هما: عبد الله بن مسعود وسالم، واثنان من الأنصار هما: معاذ وأبي.

٢- وعن قتادة قال: «سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أربعة، كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومي»^(٣). وعن أنس قال: «مات النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»^(٤).

و(أبو زيد) المذكور في هذه الأحاديث ذكره ابن حجر بإسناد على شرط البخاري عن أنس: أن اسمه: قيس بن السكن، قال: وكان رجلاً منا من بني عدي بن النجار أحد عمومي، ومات ولم يدع عقباً، ونحن ورثناه، وبين ابن حجر أنه من الحفاظ، وأنه كان يلقب بالقارئ.

أسباب عدم جمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

السبب الأول: قلة وندرة أدوات الكتابة، فلم يكن ميسوراً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أدوات الكتابة في هذا التوقيت وكان اعتمادهم على أمور بسيطة كالعصب (جريد النخل)، واللخاف (الحجارة الرقاق)، والأديم والأكتاف (عظام الأكتاف)، والأقتاب (ما يوضع على ظهور الإبل). وهذا هو المتاح عندهم في هذا الوقت.

السبب الثاني: في تأخر جمع القرآن في كتاب واحد، تتابع نزول آيات القرآن واكتمال سورة على مراحل، وما كان يطرأ على بعض آياته من النسخ وتقديم وتأخير في بعض الآيات والصور ووضع هذا مكان هذا.

وهذا من الأسباب التي أخرجت اتخاذ هذه الخطوة في حياة الرسول صلوات الله عليه.

(١) راجع زاد المسير ابن الجوزي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

ومع هذا كله، قد روي أن بعض الصحابة الكرام جمعوا القرآن في مصاحف خاصة بهم من هؤلاء أبي بن كعب، وسالم مولى حذيفة، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وأبو زيد، ومعاذ بن جبل وغيرهم، ولكن هذا الجمع لم يكن بصورة منظمة ومنضبطة كما فعل سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، فكان لكل واحد مصحفه الخاص به يكتب في هامشه بعض التفسيرات وبعض القراءات وبعض الأحرف السبعة وغير ذلك.

من أشهر مصاحف الصحابة:

- ١- مصحف عمر بن الخطاب.
- ٢- مصحف علي بن أبي طالب.
- ٣- مصحف عائشة.
- ٤- مصحف حفصة.
- ٥- مصحف أم سلمة.
- ٦- مصحف عبد الله بن الزبير.
- ٧- مصحف أبي بن كعب.
- ٨- مصحف عبد الله بن عباس.
- ٩- مصحف عبد الله بن مسعود. رضي الله عنهم جميعا

منهج الصحابة في الجمع:

لقد وضع الصحابة الكرام رضي الله عنهم منهجا دقيقا ضابطا لحفظ القرآن الكريم،

فقد أخرج ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه: «أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه» قال ابن حجر: "وكأن المراد بالشاهدين: الحفظ والكتاب"^(١). وقال السخاوي في "جمال القراء": "والمراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن"^(٢).

وذكر البخاري والترمذي «أن أبو بكر الصديق جعل مع زيد بن ثابت ثلاثة من قريش هم: سعيد بن أبي العاص وعبد الرحمن بن الحارث وعبد الله بن الزبير، فلما جمعوا القرآن في الصحف أخذها أبو بكر

(١) رواه أبو داود

(٢) السخاوي في جمال القراء، وراجع مباحث في علوم القرآن مناع القطان.

فكانت عنده إلى أن مات، ثم عند عمر إلى أن مات، فجعلت عند حفصة بنت عمر، فلما كانت خلافة عثمان اختلفت الناس في القراءة»^(١)، قال السيوطي: أول من جمع القرآن وسماه مصحفاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(٢).

ولعل سائل يسأل لماذا فعل زيد هذا الفعل من تتبع وتجميع للصحف مع إنه كان حافظاً للقرآن جامعاً له في صدره وصدر غيره، ألا يكفي أن يجلس وهو وواحد آخر مثلاً أو أكثر ويكتب من حفظه القرآن الكريم أو حفظ غيره، وينتهي الأمر؟ نعم يكتفي ولكن هذا دليل على كثرة الاهتمام والحرص على الضبط.

يقول السيوطي: (على أن زيدا كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً، مع كون زيد كان يحفظ، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط والإتقان^(٣)).

ولقد حفظت هذه النسخة كمرجع للأمة الإسلامية في دار الخلافة، وفي أمان خليفة المسلمين أبو بكر رضي الله عنه حتى مات رضي الله عنه ثم حفظت عند عمر رضي الله عنه حتى استشهد، ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنهما، وقد سميت هذه الصحف التي جمعت عند أبي بكر (القراطيس)

ثناء الصحابة الكرام على فعل أبو بكر.

قال الإمام علي رضي الله عنه: «رحمة الله على أبي بكر، كان أول من جمع بين اللوحين»^(٤)، وقال: «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر فإنه أول من جمع بين اللوحين»^(٥).

المرحلة الثالثة: عثمان بن عفان وجمع المصاحف:

يقول عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه «أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون لحناً اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماماً» أي مصحف يكون للناس إماماً لهم، وكان هذا الجمع في آخر سنة (٢٤ هـ)، وأوائل سنة (٢٥ هـ)، فبعدما اتسعت الرقعة الإسلامية في عهد عثمان. ودخل الناس في دين الله أفواجا وتفرق بعض الصحابة في الأمصار، وتعلم أهل كل بلد من هذه البلاد قراءة القرآن على

(١) رواه البخاري والترمذي.

(٢) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (ص: ١٠٥)

(٣) السيوطي: الإتقان، ج ١، ص ٥٨.

(٤) المصاحف لابن أبي داود (ص: ٥٠)

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٥٥، وابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٥، وأورده ابن كثير وقال عنه: إسناده صحيح، تفسير القرآن العظيم فضائل القرآن ج ١ - ص ٢٥. وانظر: أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ٤٥-٤٧ وجمع القرآن ص ٩٤.

يد الصحابة الكرام وتواجد في كل بلد صحابي من الصحابة أقام فيهم وأخذ في تعلمهم، وكان بين هذه المصاحف خلاف في القراءة الخاصة بالأحرف السبعة سيأتي بيانها ان شاء الله .

وكان كل صحابي يُعلّم طلابه بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة، فكان أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب، فيقرأون بما لم يسمع أهل العراق، وكان أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، فيقرأون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضًا. (اي يخطئ بعضهم بعضاً) ^(١).

فلما اجتمع أهل العراق وأهل الشام لغزو ثغر أرمينية وأذربيجان، ظهر الخلاف بينهم في هذه الحروف وأنكر بعضهم على بعض ما كانوا يقرؤونه، وشهد ذلك حذيفة بن اليمان، فركب إلى عثمان بن عفان وقال له: «يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلى بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت حفصة إلى عثمان بالصحف، فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف في المصاحف. وقال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا وأمر بسوى ذلك في صحيفة أو مصحف أن يحرق» ^(٢).

ثناء الصحابة الكرام على فعل أبو بكر.

قال الإمام علي رضي الله عنه: «رحمة الله على أبي بكر، كان أول من جمع بين اللوحين» ^(٣)، وقال: «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر فإنه أول من جمع بين اللوحين» ^(٤).

موافقة الصحابة الكرام على فعل عثمان:

ذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: عن علي بن أبي طالب قال: «يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف.. فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملاءم جميعاً، قال: ما تقولون في هذه القراءة، قد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري .

(٢) المصاحف لابن أبي داود (ص: ٨٨)

(٣) المصاحف لابن أبي داود (ص: ٥٠)

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٥٥، وابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٥، وأورده ابن كثير وقال عنه: إسناده صحيح، تفسير القرآن العظيم فضائل القرآن ج ١ - ص ٢٥. وانظر: أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ٤٥-٤٧ وجمع القرآن ص ٩٤.

كفرًا، قلنا: فما ترى، قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت.. قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل^(١).

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرين، فما رأيت أحدا منهم عاب ما صنع عثمان رضي الله عنه^(٢)، قال ابن القيم: «جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله القراءة بها لما كان ذلك مصلحة^(٣)».

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري الجزء ١ صفحة ١٧.

(٢) في المصاحف إسناده صحيح.

(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم صفحة ١٦.

التجويد والقراءات والقراء:

علم التجويد من العلوم المتعلقة بكتاب الله سبحانه، فهو العلم الذي يؤهل الطالب إلى قراءة كتاب الله تعالى قراءة منضبطة وصحيحة، قال تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، واختلف أهل العلم في حكم تعلم التجويد وحكم تطبيقه على قولين:

القول الأول: أن تجويد القرآن سنة وهو من آداب التلاوة و يستحسن الالتزام به عند تلاوة القرآن دون تكلف، وليس واجبا. وهذا قول الفقهاء.

القول الثاني: تعلم التجويد فرض كفاية أما القراءة به فواجب على كل مسلم ومسلمة. وهذا قول معظم علماء التجويد، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

قال ابن الجزري في مقدمته:

والأخذ بالتجويد حتم لازم
لأنه به الإله أنزلا
وهو أيضا حلية التلاوة
من لم يجود القرآن أثم
وهكذا منه إلينا وصلا
وزينة الأداء والقراءة

والتجويد: في اللغة: "التحسين"، و"الإحكام"، والإتقان"، يقال جَوَّدَتِ الشَّيْءَ إذا حسنته، واتقنته، والجيد عكس (الردئ).

أما اصطلاحًا: فهو إخراج كلِّ حرف من حروف القرآن من مخرجه دون تغيير أو لحن، وقراءته قراءةً صحيحةً وفق قواعد التجويد التي وضعها علماء التجويد.

ويقال هو: إعطاء كلِّ حرف حقه ومستحقه من المخارج والصفات.

وتجويد القرآن الكريم، إتقان تلاوته، وتحسين نطق حروفه، بالتلقي والمشافهة، وله معنيان هما: معنئ: (تطبيقي، عملي)، هو: إعطاء كل حرف حقه، ومستحقه، من الصفات. الذاتية، والعرضية، مثل: الجهر، والغنة، والمد.

ومعنئٍ علي: (نظري)، بمعنى: دراسة أحكام (علم التجويد)، يقول سيدنا علي رضي الله عنه: الترتيل هو تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١].

طريقة أخذ علم التجويد:

أولاً: أن يستمع المتعلم لقراءة شيخه، وهذه طريقة المتقدمين.

ثانياً: أن يقرأ الطالب أمام شيخه والشيخ يصحح. والأفضل الجمع بين الطريقتين.

أول من ألف في علم التجويد:

أول من ألف في التجويد: الإمام أبو مزاحم الخاقاني المتوفى سنة (٣٢٥هـ)، وذلك في أواخر القرن الثالث الهجري، ألف قصيدة رائية مكوّنة من واحد وخمسين بيتاً - وهي تعتبر أقدم نظم في علم التجويد - ذكر فيها عدداً من موضوعات التجويد، وكان لها أثر في جهود العلماء اللاحقين من خلال استشهادهم بأبياتها، أو شرحهم لمعانيها، أو اقتباسهم منها.

لكن الملاحظ أن أبا مزاحم -رحمه الله- لم يستخدم كلمة التجويد في قصيدته، ولكنه استخدم كلمة: "حسن الأداء" وما اشتق منها، فقال: "أيا قارئ القرآن، أحسن أداءه"، وقال: "فقد قلت في حسن الأداء قصيدة"، وعدم استخدامه لكلمة التجويد يشير إلى أن هذا المصطلح لم يكن مشهوراً وقتئذٍ، وإن كان قد استخدمه بعض العلماء مثل ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)، حين قال: "اللحن في القرآن لحنان: جلي وخفي؛ فالجلي: لحن الإعراب، والخفي: ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه".

ثم تتابعت المصنفات بعد ذلك، فألف السعدي علي بن جعفر (ت: ٤١٠هـ) تقريباً كتابه: "التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي"، وكتابه: "اختلاف القراءة في اللام والنون"، ثم ألف مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ) كتابه: "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة"، وألف الداني (ت: ٤٤٤هـ) كتابه: "التحديد في الإتيان والتجويد"، وعدداً من الكتب؛ منها: "شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني"، وألف أبو الفضل الرازي (ت: ٤٥٤هـ) كتاباً في التجويد، وألف عبد الوهّاب القرطبي (ت: ٤٦٢هـ) كتاب: "الموضح في التجويد"، وكان من أشهر هذه المصنّفات "متن تحفة الأطفال".

وقد أحصى الأستاذ الدكتور/ غانم قدوري الحمد في كتابه: "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد" ما يزيد على مائة كتاب ورسالة في علم التجويد، منها ما هو مخطوط، ومنها ما هو مطبوع، ورتبها من بداية التأليف حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري بحسب وفاة مؤلفيها^(١).

(١)راجع: لمحة موجزة عن تاريخ التجويد، محمود العشري، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد.

شروط القراءة الصحيحة:

الشرط الأول: أن تكون صحيحة الإسناد: والمقصود بصحة السند في باب القراءات هو تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصفاقسي: "مذهب الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين القراء أن التواتر شرط في صحة القراءة ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية"^(١).

هل يشترط التواتر أم يكتفى فيه بصحة السند ؟

اختلف فيه على قولين:

القول الأول: يشترطون التواتر وقالوا أن التواتر شرط في ثبوت القرآن، وممن اشترط ذلك الغزالي وابن قدامة وابن الحاجب وغيرهم

يقول الشيخ [السيد رزق الطويل] يرى جمهور العلماء من الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثين، والقراء أن شرط القراءة الصحيحة هو التواتر، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر.

والقراءة التي تكتب بسند غير متواتر لا تسمى قرآنًا ولا يقرأ بها؛ لأن من تعريف العلماء للقرآن قولهم: "المنقول إلينا بالتواتر"

والتواتر: هو نقل جماعة عن جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه.

يقول النويري: عدم اشتراط التواتر قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين، وغيرهم لأن القرآن -عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة هو ما نقل بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً، وكل من قال بهذا الحد اشترط التواتر، كما قال ابن الحاجب، وحينئذ فلا بد من التواتر عند الأئمة الأربعة، صرح بذلك جماعات كابن عبد البر، وابن عطية، والنووي، والزركشي، والسبكي، والإسنوي، والأذري، وعلى ذلك أجمع القراء، ولم يخالف من المتأخرين إلا مكي، وتبعه بعضهم

ومن عبارة النويري التي نقلها الدمياطي ما يفيد أن بعض القراء المتأخرين ومنهم مكي ومن تبعه لا يشترطون التواتر مثل ابن الجزري.^(٢)

(١) غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي، (١/ ١٤).

(٢) كتاب مدخل في علوم القراءات ص ٤٩

إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٩.

الكفاية في علم الرواية للبغدادي ص ٥٠.

القول الثاني: أنه لا يشترط التواتر وإنما يكتفي بصحة السند.

قال الشيخ مكي بن أبي طالب القيسي: القراءة الصحيحة ما صح سندها إلى النبي -عليه الصلاة والسلام وساغ، وجهها في العربية، ووافقت خط المصحف^(١)

وقال - [أبو شامة المقدسي]^(٢)

«ولا يلزم في ذلك تواتر، بل تكفي الأحاد الصحيحة من الاستفاضة وموافقة خط المصحف وعدم المنكرين لها نقلا، وتوجيها من حيث اللغة، والله أعلم».

وهو أيضا كلام أبي إسحاق الجعفي ت ٧٣٢ هـ - رحمه الله - (ت ٧٣٢ هـ) في «كنز المعاني» وكتاب كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام الشاطبي ت ٥٩٠ هـ وإليه ذهب ابن الجزري وأشار إلى أنه مذهب أئمة السلف والخلف وغيرهم.

قال - رحمه الله - (ت ٨٣٣ هـ) «كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَتِ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ بِوَجْهِ ، وَوَأَفَقَتْ أَحَدَ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَلَوْ اخْتِمَالًا وَصَحَّ سَنَدُهَا ، فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّهَا وَلَا يَجِلُّ إِنكَارُهَا ، بَلْ هِيَ مِنَ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَى النَّاسِ قَبُولُهَا ، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ الْأَيْمَةِ السَّبْعَةِ ، أَمْ عَنِ الْعَشْرَةِ ، أَمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَيْمَةِ الْمُقْبُولِينَ ، وَمَتَى اخْتَلَّ رُكْنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ أُطْلِقَ عَلَيْهَا ضَعِيفَةٌ أَوْ شَادَّةٌ أَوْ بَاطِلَةٌ ، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ السَّبْعَةِ أَمْ عَمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَيْمَةِ التَّحْقِيقِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ ، صَرَّحَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّائِي ، وَنَصَّ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارٍ الْمُهَنْدِيُّ ، وَحَقَّقَهُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمُعْرُوفُ بِأَبِي شَامَةَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ خِلَافُهُ»^(٣)

الشرط الثاني: أن تكون القراءة موافقة للغة العربية ولو بوجه محتمل، وقد وضع الإمام ابن

الجزري المقصود بالعربية قائلا: "ومعنى "العربية مطلقا" أي ولو بوجه من الإعراب نحو قراءة حمزة ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ [النساء: ١] بالجر وقراءة أبي جعفر ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾^(٤).

(١) («الإبانة» لمكي ص ٣٩).

(٢) في المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (ص ١٤٥):

(٣) «النشر في القراءات العشر» (١/ ٩) / الضباع - المطبعة التجارية:

(٤) غيث النفع في القراءات السبع للصفاسي، (١/ ١٤).

الشرط الثالث: أن تكون موافقة للرسم العثماني ولو احتمالاً، والمقصود بموافقة القراءة للرسم العثماني أن تكون القراءة موافقة لمصحف الإمام؛ إذ هو الذي أجمعت عليه الأمة منذ عصر الصحابة إلى يوم الناس هذا،

وكل قراءة خالفت رسم المصحف الإمام عدت من قبيل الشواذ، المصحف الذي جمعه سيدنا عثمان بن عفان **رضي الله عنه**، يقول ابن الجزري رحمه الله: "ومعنى أحد المصاحف العثمانية واحد من المصاحف التي وجهها عثمان **رضي الله عنه** إلى الأمصار. كقراءة ابن كثير في التوبة ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بزيادة "من" فإنها لا توجد إلا في مصحف مكة".

يقول العلامة ابن الجزري:

فَكُلُّ مَا وَاَفَقَ وَجْهَ نَحْوٍ
وَصَحَّ إِسْنَادُهُ الْقُرْآنُ
وَحَيْثُمَا يَخْتَلُ رُكْنٌ أَثْبِتَ.
فَكُنْ عَلَى نَهْجِ سَبِيلِ السَّلَفِ
وَكَانَ لِلرَّسْمِ اخْتِمَالًا يَخْوِي
فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَزْكَانُ
شُدُودُهُ لَوْ أَنَّه فِيعَةٍ
فِي مُجْمَعٍ عَلَيْهِ أَوْ مُخْتَلَفٍ

القراءات في اللغة: جمع قراءة، مصدر قرأ.

وفي الاصطلاح: مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهباً يخالف غيره.

وقد اشتهر عدد كبير من أهل العلم والفضل بنقل هذه القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيد ثابتة متصلة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمن الصحابة عدداً كبيراً، منهم: أبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم، وعنهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين في الأمصار، وكلهم أخذ من رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر الذهبي في "طبقات القراء" أن المشتهرين بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان، وعلي، وأبي، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، قال: وقد قرأ على "أبي" جماعة من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضاً^(١).

(١) طبقات القراء، للذهبي. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ١٧١)

وأخذ عن هؤلاء الصحابة خلق كثير من التابعين في كل مصر من الأمصار، ولقد اشتهر في كل مكان مجموعة من القراء حيث أنهم أخذوا عن الصحابة رضي الله عنهم الذين تفرقوا في البلاد، وعرفت هذه المجموعات بالمدارس.

أول من ألف في القراءات:

وأول من قام بجمع القراءات وضبطها في كتاب مستقل هو أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ،

فوائد كثرة القراءات الصحيحة:

سؤال من الممكن أن يتبادر إلى الذهن ما الفائدة من كثرة القراءات؟ لماذا لم نكتفي بقراءة واحدة؟
فمن رحمة الله تعالى على الأمة الإسلامية أن الله تعالى خفف عليها، وراعى اختلاف لهجاتها وكثرة ألسنتها، وإن الاختلاف في القراءات فوائد منها:

- ١- الدلالة على صيانة كتاب الله وحفظه من التبديل والتحريف مع كونه على هذا الأوجه الكثيرة.
- ٢- التخفيف عن الأمة وتسهيل القراءة عليها.
- ٣- إعجاز القرآن في إيجازه، حيث تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرار اللفظ كقراءة: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ بالنصب والخفض في "وأرجلكم" ففي قراءة النصب بيان لحكم غسل الرجل، حيث يكون العطف على معمول فعل الغسل: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ وقراءة الجر بيان لحكم المسح على الخفين عند وجود ما يقتضيه، حيث يكون العطف على معمول فعل المسح: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة ٦.٦]، فنستفيد الحكمين من غير تطويل، وهذا من معاني الإعجاز في الإيجاز بالقرآن.
- ٤- بيان ما يُحتمل أن يكون مُجملاً في قراءة أخرى كقراءة: "يطهرن" في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ [البقرة.١]، قُرئ بالتشديد والتخفيف، فقراءة التشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف، عند الجمهور، فالحائض لا يحل وطؤها لزوجها بالطهر من الحيض، أي بانقطاع الدم، حتى تتطهر بالماء، وقراءة: "فامضوا إلى ذكر الله" فإنها تبين أن المراد بقراءة "فاسعوا" الذهاب لا المشي السريع في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة.١] وقراءة "والسارق والسارقة فاقطعوا أيماهما" بدلاً من "أيديهما"، فقد بينت ما يُقطع، وقراءة: "وله أخ أو أخت من أم فللك واحد منهما السدس"، فقد بينت أن المراد الإخوة لأم^(١).

(١) كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، (ص ١٨١).

ولذا قال العلماء: "باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام".

العشر الصغرى والكبرى:

يوجد في القراءات ما يعرف: قراءة، ورواية، وطريق؛ فأما القراءة، فهي: كل ما نسب إلى أحد القراء العشرة المعروفين. الرواية: هي كل ما نسب إلى من أخذ عن القارئ ويقال له راوٍ، الطريق: هي كل ما نسب إلى من أخذ من الراوي. بالنسبة للقراءات الصغرى: اقتصر الأمر على طريق لكل رواية فيكون عددهم عشرون طريقاً

العشر الكبرى:

معناه: اختيار ابن الجزري -رحمه الله تعالى- طريقين لكل رواية. وكل طريق من طريقين آخرين، فيكون المجموع ثمانون طريقاً بعد التحرير تصل إلى ٩٨٠ طريقاً، وفي هذا قال ابن الجزري: باثنين في اثنين وإلا أربع * فهي زها ألف طريق تجمع

ملخص سريع:

الشاطبية: هي منظومة للإمام الشاطبي واسمها الأصلي هو "حز الأمانى ووجه التهاني"، ولكنها اشتهرت بالشاطبية نسبة لناظمها، نظم فيها الشاطبي سبع قراءات وهي قراءات الأئمة (نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي).

الدرة: هي منظومة للإمام ابن الجزري نظم فيها ثلاث قراءات وهي قراءات الأئمة أبي جعفر ويعقوب وخلف، ونظمها تكملة للشاطبية بحيث تصبح الشاطبية مع الدرة جامعتين للقراءات العشر.

الطبية: هي منظومة للإمام ابن الجزري نظم فيها القراءات العشر، ولكنه لم يكتف بالطرق الموجودة في الشاطبية والدرة بل زاد عليها طرقاً أخرى كثيرة.

العشر: هي قراءات الأئمة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر ويعقوب وخلف.

العشر الصغرى: هي القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة فقط.

العشر الكبرى: هي القراءات العشر من طريق الطبية، وسميت الكبرى لأنها مشتملة على ما في الشاطبية والدرة، وزادت عليها طرقاً أخرى كثيرة.

القراءة الشاذة: هي القراءات الزائدة على العشر وأشهرها أربع قراءات هي قراءات الأئمة ابن محيصن والحسن البصري ويحيى اليزيدي والأعمش

أسباب النزول

علم أسباب النزول أو شأن النزول أو أسباب التنزيل

هو: علم من العلوم الإسلامية المهمة بمعرفة أسباب نزول آيات القرآن والقضايا والأحداث المتعلقة بالقرآن الكريم، ومكان نزول الآيات ووقت نزولها.

فوائد علم أسباب النزول:

لمعرفة أسباب النزول فوائد مهمة جدا لطالب القرآن وعلومه فهو من العلوم التي تُعين قارئ القرآن على فهمه فهمًا صحيحًا سليمًا، وذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب.

يقول الواحدي: «لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»^(١)، ومعرفته أيضا يساعد علي حفظ القرآن وتثبيت معناه، لأن ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة والأمكنة يساعد على استقرار المعلومة وتركيزها. معرفته يساعد على فهم آيات القرآن بشكل صحيح.

ويساعد على معايشة الوقائع والأحداث والتوقف على الحكمة من التشريع، كما يعين أيضًا على استنباط الأحكام الشرعية المنضبطة، وقال القشيري، كما في البرهان: بيان سبب النزول طريق قوي من فهم معاني الكتاب العزيز»^(٢). وقال ابن دقيق العيد، كما في الإتيان: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن»^(٣).

قال شيخ الإسلام في مقدمة أصول التفسير: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

قال السيوطي في الإتيان: ومن فوائد معرفة أسباب النزول: دفع توهم الحصر، طرق معرفة أسباب النزول»^(٤).

ومن الفوائد معرفة الأحكام الخاصة التي لا يجوز تعميمها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تُشْهِدُهُمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، يَوْمَئِذٍ يَفْقَهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣]، فإن هذه الآية نزلت في عائشة خاصة، أو سائر أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ..﴾ الآية: نزلت في عائشة خاصة.

(١) أسباب النزول، تأليف: الواحدي، ص ٦.

(٢) البرهان للزركشي.

(٣) الإتيان للسيوطي.

(٤) ينظر: "الإتيان"، السيوطي (١/ ٢٩).

طرق معرفة أسباب النزول.

معرفة أسباب النزول يكون بالنقل الصحيح المنضبط، والرواية، والسماع ممن شاهدوا التنزيل وحضره، وهم الصحابة الكرام، ولا يوجد طريق آخر، قال الواحدي في أسباب النزول: لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية، والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها.

قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن، فقال: اتق الله، وقل سدادًا، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن^(١).

أعلم الأمة بأسباب النزول:

الصحابة الكرام هم أعلم الأمة بأسباب النزول، وعلي رأس هؤلاء، الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ..

الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ»^(٢)، عن: أبي بكر الصديق وعمران بن الحصين: إسناده صحيح

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة»^(٣)، وعن مسروق، قال: قال عبد الله بن مسعود «والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته»^(٤)، وعن مسروق أيضًا أنه قال: «شامت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر منهم: عمر وعلي وعبد الله وأبي بن كعب وأبو الدرداء وزيد ابن ثابت، ثم شامت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين: علي وعبد الله بن مسعود»^(٥).

المكي والمدني من القرآن الكريم

تعريف المكي والمدني:

اختلف العلماء في تعريف المكي والمدني: ف قيل: إن المكي: ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني: ما وقع خطابا لأهل المدينة:

(١) أسباب النزول ت الحميدان (ص: ٩)

(٢) المصاحف لابن أبي داود (ص: ٧٤)

(٣) التفسير والمفسرون (١/ ٦٥)

(٤) رواه مسلم .

(٥) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ١٦٠)

وأخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن ميمون بن مهران قال: « ما كان في القرآن يا أيها الناس أو يا بني آدم، فإنه مكى، وما كان ب: يا أيها الذين آمنوا، فإنه مدني»^(١).

وقيل المكي ما نزل بمكة، والمدني: ما نزل بالمدينة:

وأشهر التعريفات وأقواها أن المكي: ما نزل قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وإن كان نزوله خارج مكة، كقوله سبحانه: ﴿وَسُئِلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ رَسَلْنَا أَجْعَلُنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [سورة الزخرف آية: ٤٥]، فإنها نزلت ببیت المقدس ليلة الإسراء. العهد المكي الذي استمر قرابة ثلاثة عشرة سنة. والمدني: ما نزل بعد الهجرة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة: ولو كان نزوله خارج المدينة.

كقوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّبُهَةُ وَسِيحِلْفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة التوبة آية: ٤٢]، فإنها نزلت بتبوك.

و كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة آية: ٣]، مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع.

وكذلك آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء آية: ٥٨]، فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح.

فائدة العلم بالمكي والمدني

من فوائد العلم بالمكي والمدني:

- ١- تمييز الناسخ من المنسوخ: فلو وجد اختلاف في حكم شرعي وعرف المكي والمدني يقدم المدني علي المكي لأنه هو الأحدث ويعتبر المدني ناسخا له:
- ٢- معرفة تاريخ التشريع وتدرج أحكامه.

كيف يعرف المكي والمدني:

يعرف بالنقل الصحيح الثابت عن الصحابة والتابعين؛ لأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان للمكي والمدني، فهم أعلم الأمة بالتنزيل وأكثرها أخذ من النبي صلى الله عليه وسلم، وأعلم الأمة بالقرآن مكيه ومدنيه هو سيدنا عبد الله بن مسعود، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي

(١) الإتيان في علوم القرآن (١/ ٦٨)

لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت؟ ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت؟ ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»^(١).

فوائد معرفة المكي والمدني

أ- الاستعانة به في تفسير القرآن: فإن معرفة مواقع النزول تساعد على فهم الآية وتفسيرها تفسيراً صحيحاً.

ب- تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله.

ج- الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية.

(١) أخرجه البخاري.

مهارات

تعريف علم الفرائض

الفرائض لغة: جمع فريضة، وهي مشتقة من الفرض، والفرض يأتي لمعانٍ عدة منها: التقدير والقطع والبيان، يقول الله سبحانه: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ (البقرة- ٢٣٧)، بمعنى "قدرتم".

قال الله تعالى: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧)، بمعنى "مقطوعاً"

قال الله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ، وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (التحریم: ٢)، بمعنى "البيان".

قال الواحدي: "وهذا أيضاً راجع إلى معنى القطع؛ لأن من قطع شيئاً أبانه عن غيره، والله تعالى إذا فرض شيئاً أبانه، وبان ذلك الشيء عن غيره.

و(فرض) بمعنى: أوجب، وفرض بمعنى: أبان، كلاهما يَرْجِعُ إلى أصل واحد على ما بينا.^(١)

التعريف الاصطلاحي: هو معرفة القواعد الفقهية والأصول الحسابية التي يعرف بها نصيب كل وارث من التركة، ويعرف به من يرث ومن لا يرث.

وَقَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: "علم الفرائض لقباً، الفقه المتعلق بالإرث، وعلم ما يوصل لمعرفة قدر ما يجب لكل ذي حق في التركة"^(٢).

ويقال لعلم الفرائض أيضاً علم الموارث.

والموارث جمع ميراث، ويقال: تراث، وإرث، وهو اسم لما يورث عن الميت، مأخوذ من قولهم: ورث فلان غيره، إذا ناله شيء من تركته، أو خلفه في أمر من الأمور بعد وفاته ومنه قول الله تبارك وتعالى: "وَلِلَّهِ

(١) التفسير البسيط: ٣٤ / ٤، وتفسير القرطبي: ٤٠٦ / ٢. الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية (٤ / ٢٦٨)

(٢) شرح مختصر خليل للخرشي (٨ / ١٩٦)

مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَاللَّهُ** بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (آل عمران: ١٨٠). ولا شك أن الوارث يخلف المتوفى في ملك أمواله.^(١)

ومنه قوله تعالى: "وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا مَمًّا" (الفجر: ١٩)

والإرث لغة: البقاء وانتقال الشيء من قوم إلى قوم آخرين.

وشرعاً: حق قابل للتجزئ يثبت لمستحقه بعد موت من كان له ذلك لقراءة بينهما ونحوهما كالزوجية والولاء.^(٢)

فهذه الألفاظ الثلاثة: (علم الفرائض، وعلم الموارث، وعلم التركات) أسماء لمسمى واحد.

والتركة:

هي جميع ما يخلفه الميت بعد موته، من أموال منقولة، كالذهب والفضة وسائر النقود والأثاث، أو غير منقولة الأراضي والدور وغيرها، وذَهَبَ جُمُهورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ التَّرِكَهَ تَشْمَلُ جَمِيعَ مَا تَرَكَهُ الْمُتَوَفَّى مِنْ أَمْوَالٍ وَحُقُوقٍ، وَقَدْ اسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ مَاتَ وَتَرَكَ مَالاً فَمَالُهُ لِمَوَالِي الْعَصَبَةِ»^(٣)

ويسمى العارف بهذا العلم والمنشغل به: فاضلاً، وفريضاً، وفريضياً، وفرائضياً.^(٤)

معنى الفرع الوارث:

الفرع في اللغة: ما يبنى عليه غيره. وفي فقه الموارث هم: أولاد الشخص المنتسبون إليه باعتبار أنهم مولودون له مباشرة أو بواسطة. والفرع الوارث هم:

الولد المباشر ويشمل: «الأبناء والبنات»

(١) الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (٦٧/٥)

(٢) إعانة الطالب في بداية علم الفرائض (ص: ٢٠)

(٣) رواه البخاري.

(٤) الدلائل والإشارات على أخصر المختصرات، محمد بن بدر الدين البلباني الحنبلي (ت: ١٠٨٣ هـ) تصحيح:

د. عبد العزيز بن عدنان العيدان، د. أنس بن عادل اليتامي، الناشر: دار ركانز للنشر والتوزيع، الكويت، ودار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط/ ١، سنة: ٢٠١٨م، (٢/ ٥٠٥).

الولد غير المباشر هو الذي يدلي إلى الميت بواسطة فرع وارث ذكر، ويشمل:

أبناء الابن وإن سفل.

بنات الابن وإن سفل.

وأما أبناء وبنات البنت؛ فهم فرع غير وارث، لأن نسبهم يتصل بأبائهم لا بأمهاتهم.

واسم (الولد) يَتَنَاوَلُ أَوْلَادَ الْإِبْنِ كَمَا يَتَنَاوَلُ أَوْلَادَ الصُّلْبِ، قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ ولا يمتنع أَحَدٌ أن يقول: إن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَلَدِ هَاشِمٍ وَمِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَتَبَّتْ بِذَلِكَ أَنَّ اسْمَ الْأَوْلَادِ يَقَعُ عَلَى وَلَدِ الْإِبْنِ وَعَلَى وَلَدِ الصُّلْبِ جَمِيعًا^(١)، واستنادا للقاعدة (القريب الأقرب يحجب القريب الأبعد).

والله تعالى بدأ بذكر ميراث الأولاد في القرآن الكريم، وإنما فعل ذلك؛ لأن تعلق الإنسان بولده أشد التعلقات، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «فاطمة بضعة مني» “فهذا السبب قدم الله ذكر ميراثهم^(٢).”

فضل علم الموارث

جاء في فضل علم الموارث جملة أحاديث، وإن كان منها الضعيف، ولكن لا حرج من ذكرها، فما عليه جمهور المحدثين هو جواز العمل بالحديث الضعيف بشروط^(٣).

(١) أحكام القرآن للجصاص - أبو بكر أحمد بن علي الرازي ج ٣ ص ١٧

(٢) (تفسير الرازي — فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ)) النساء ١١

(٣) الشروط ذكرها الحافظ ابن حجر وغيره وهي: أن يكون الضعف غير شديد . أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به. ألا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط. وزاد العلماء شروطاً أخرى وهي أن يكون في باب الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال وألا يكون في مسائل الاعتقاد ولا الحلال والحرام. ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى، كلام طيباً بشأن العمل بالحديث الضعيف قال: فإذا روي حديث في فضل بعض الأعمال المستحبة وثوابها وكرامتها بعض الأعمال وعقابها فمقادير الثواب والعقاب وأنواعه إذا روي فيها حديث لا نعلم أنه موضوع جازت روايته والعمل به، بمعنى أن النفس ترجو ذلك الثواب أو تخاف ذلك العقاب، كرجل يعلم أن التجارة تربح لكن بلغه أنها تبيع ربحاً كثيراً، فهذا إن صدق نفعه وإن كذب لم يضره، ومثال ذلك الترغيب والترهيب بالإسرائيليات والمنامات وكلمات السلف والعلماء ووقائع العلماء ونحو ذلك مما لا يجوز بمجرد إثبات حكم شرعي لا استحباب ولا غيره، ولكن يجوز أن يذكر في الترغيب والترهيب والترجئة والتخويف.

ولقد ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى اتفاق المحدثين والفقهاء على جواز الأخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب في كثيرٍ من كتبه ... وقد نقل ذلك في كتاب الروضة وفي كتابه الإرشاد والتقريب وفي كتابه الأذكار.

فمما لا شك فيه أن علم الفرائض والمواثيق، من أجل وأفضل العلوم على الإطلاق فلقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتعليمه فقال رسول الله ﷺ فيما رواه ابن ماجه في سننه والحاكم في مستدركه، قال تعلموا الفرائض فإنها من دينكم فإنه نصف العلم وأنه أول ما ينزع من أمتي.

وجاء في رواية أخرى يا أبا هريرة تعلموا الفرائض وعلموه. قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: إِنَّمَا قِيلَ لَهَا: «نصف العلم» لِأَنَّهُ يُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ كُلُّهُمْ.^(١)

لماذا علم الفرائض نصف العلم؟

حمل الرافعي وغيره قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّهَا نِصْفُ الْعِلْمِ» عَلَى أَنَّ لِلنَّاسِ حَالَةَ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ، وَفِي الْفَرَائِضِ مُعْظَمُ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِحَالِ الْمَوْتِ. وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «تعلموا الفرائض وعلموه الناس فإنني امرؤ مقبوض وإن العلم سيقبض حتى يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان أحدا يفصل بينهما»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل: آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة»^(٣)، ومعنى (آية محكمة) أي آية غير منسوخة، معمول بها، و(سنة قائمة) معناها: سنة ثابتة، و(فريضة عادلة) أي فريضة موزعة وفقا للشريعة الإسلامية بدون

(١) رواه البيهقي في الكبرى ٦ / ٣٤٥. راجع. شرح مشكل الوسيط (٣ / ٤٨٥) صاحبه الشَّهْرُزُورِي، عثمان بن عبد الرحمن (٥٥٧ - ٦٤٣ هـ). وهو عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح. عالم في الحديث والفقه والتفسير وأسماء الرجال. وُلِدَ في شرخان، بلد قرب شهرزور. ثم انتقل إلى الموصل. تفقه على والده عبد الرحمن بن عثمان صلاح الدين. وسمع من أبي المظفر بن السمعاني، وعبد الصمد بن الحرساني والشيخ موفق الدين المقدسي، وابن عساكر، وغيرهم.

(٢) (صحيح الإسناد) رواه أحمد والترمذي والحاكم والفظ له

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه.

مخالفة لما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وجاء أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعلّموا الفرائض من تعلم فريضة كان كمن من أعتق عشر رقاب»^(١).

و حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَعَلَّمَ فَرِيضَةً أَوْ فَرِيضَتَيْنِ فَعَمِلَ بِهِمَا أَوْ عَلَّمَهُمَا لِمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا»^(٢)

ولقد كان السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم أجمعين يرتبون طلب العلم فيأمرّون طلاب العلم أولا بحفظ القرآن ثم تعلم الفرائض، فكانوا لا يكتبون في مجالسهم أحاديث مسنده لطلبة العلم حتى يكونوا أتموا حفظ القرآن الكريم فإن لم يكن أتموا حفظ القرآن يقولون لهم ارجعوا فاحفظوا القرآن فإن حفظوا القرآن يسألونهم عن علم الفرائض فيقولون لهم ارجعوا فتعلموا الفرائض فإن تعلموا الفرائض بدأوا معهم في تعلم الحديث وعلم الأسانيد .

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: «تَعَلَّمُوا الْفَرَايِضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ دِينِكُمْ»^(٣)، وقال أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَلَا يُحَسِّنُ الْفَرَايِضَ كَالْيَدَيْنِ بِلَا رَأْسٍ»^(٤)، وورد بلفظ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَلَا يُحَسِّنُ الْفَرَايِضَ كَالْبُرْئِيسِ لَا رَأْسَ لَهُ»^(٥)، والبرئيس كل ثوب رأسه منه ملتصق به أي محيط به^(٦).

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٩٠) بن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، باحث. يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة. ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ت الحوت (٦/ ٢٣٩) رقم: «٣١٠٣٤»، والبيهقي في السنن الكبير، ت التركي (١٢/ ٤٢٣) رقم: «١٢٣٠٦».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٦/ ٢٣٩) رقم: «٣١٠٣٥» .

(٥) أخرجه ابن حجر العسقلاني، زهر الفردوس، (٦/ ٢٥٤) رقم: «٢٣٨٤» جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» للسيوطي، (٨/ ٢٤٦ - ٢٤٧)، رقم: «١٩٨٧٩»، واللمتقي الهندي في كنز العمال، (١٠/ ١٧٨) رقم: «٢٨٩٢٩».

(٦) البرئيس: هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به، من دراعة أو جبة أو ممطر أو غيره. وقيل: هو قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام، هو من البرس بكسر الباء القطن، والنوى زائدة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (١/ ١٢٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إِذَا لَهَوْتُمْ قَالَهُوا بِالرِّمِيِّ، وَإِذَا تَحَدَّثْتُمْ فَتَحَدَّثُوا بِالْفَرَائِضِ»^(١)، وقال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «تعلموا الفرائض ولا يكون أحدكم كرجل لقيه أعرابي فقال له أمهاجر أنت ثم قال له إن إنسان من أهلي مات فكيف يقسم ميراثه؟ قال لا أدري قال فما فضلكم علينا يقرءون القرآن ولا تعلمون الفرائض»^(٢).

رُوي عن ابن مسعود أنه قال: مَنْ لَمْ يَعْرِفْ أَحْكَامَ الْفَرَائِضِ وَالْحَجِّ وَالطَّلَاقِ فِيمَ يُفْضَلُ أَهْلُ الْبَادِيَةِ؟!، يعني: إذا كنت لا تعرف أحكام الحج، ولا الطلاق، ولا الفرائض، فبأي شيء تتميز عن أهل البادية؟^(٣)

وفي رواية (من قرأ القرآن فليتعلم الفرائض الحديث)

وروي أيضا أنه لما بعث عامله إلى مكة ثم رجع إليه فقال له: من وليت على أهل مكة قال: تركت ووليت عليهم مولى من مواليهم قال: تترك عليهم مولى؟ فقال له: إنه يحفظ القرآن وعنده علم بالفرائض، فقال عمر بن الخطاب **رضي الله عنه** إني سمعت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْقُرْآنِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ»^(٤)

مكانة زيد بن ثابت رضي الله عنه:

عرف زيد بن ثابت رضي الله عنه بكونه أعلم الصحابة بعلم الفرائض، وقد ثبتت أن النبي ﷺ قال: «أفرضكم زيد»، فعن أنس **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمِّي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَأُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبُو بَنْ كَعْبٍ،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، (٤/ ٣٧٠) رقم: «٧٩٥٢»، والبيهقي في السنن الكبير،

(١٢/ ٤٢٣) رقم: «١٢٣٠٧»، رواه سعيد بن منصور.

(٢) رواه الألباني في إرواء الغلیل ورجاله ثقات ولكنه منقطع

(٣) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي (٢/ ٣)

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، (١٠/ ٤٥٠) رقم: «٢٢٠٢٢» والفاكهي في أخبار مكة، (٣/ ١٦٥) رقم:

«١٩٢٤» وأبو عوانة في المستخرج، (١١/ ٦ - ٧) رقم: «٤٢٠١».

وَأَعْلَمَهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بَنِي جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه حين مات زيد بن ثابت رحمه الله قال: «مات رباني هذه الأمة»^(٢)؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في زيد بن ثابت «أفرضكم زيد بن ثابت»، رضي الله تعالى عنه وأرضاه..

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيام كان بالشام يكتب إلى زيد بن ثابت، وهو بالمدينة حين استخلفه عليها فبدأ باسمه على نفسه لمكانته من العلم والفقه في الدين، وحين أشكل عليه مشى إليه بنفسه إلى بيت زيد ابن ثابت يستفتيه عن رأيه في ميراث الجدة، وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية، وهي مكان بالشام فقال: «من يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت فقد خصّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أفرضكم زيد»، فكان دائمًا يقدم زيدا لما له من العلم والفضل رضي الله عنه قال العلماء: لأن زيد كان أصحهم حسابًا وأسرعهم جوابًا، وأحرص الصحابة على تعلمه.^(٣)

تحريم التعدي والمخالفة لأحكام الميراث:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿[النساء: ١٣-١٤]، عن ابن عباس قال: «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده، الآية، في شأن الموارث».

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢١/ ٤٠٥) رقم: «١٣٩٩٠»، والترمذي في سننه (٦/ ١٢٧)، رقم: «٣٧٩١»، وقال: (هذا حديث حسن صحيح) جاء برواية: عبدالله بن عمر كما في صحيح الجامع الألباني، وأخرجه أبو يعلى (٥٧٦٣)، والبيهقي (١٢٥٤٩) واللفظ له.

(٢) الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم (١/ ٢٩١) ابن أبي عاصم (٢٠٦ - ٢٨٧ هـ) أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم، ويقال له ابن النبيل: عالم بالحديث، زاهد رحالة، من أهل البصرة. ولي قضاء أصبهان.

(٣) جمع الزوائد ومنبع الفوائد الهيثمي - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ص ١٣٦

والظلم، ولا تدري الأنفع لها والأصلح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيْهَمَ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، والمراد من: الذين يرثونكم من الآباء والأبناء ﴿لَا تَدْرُونَ أَيْهَمَ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفْعًا﴾ أي: لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا، فمنكم من يظن أن الأب أنفع له، فيكون الابن أنفع له، ومنكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الأب أنفع له، والله سبحانه هو العالم بمن هو أنفع لكم، وقد دبر أمرنا على ما فيه المصلحة فاتبعوه»

ثانيا ولعل الانسان يميز بعض أولاده أو بعض الورثة في العطية ،كزوجته مثلا او أولاد بعينهم من زوجة أخرى يحبها فيحدث بعد ذلك الضغينة وقطع الأرحام والحسد والكراهية بين الأولاد والأخوة والأقارب ، فالإسلام دائما يجمع ولا يفرق ويحب ولا يكره ، وهذا من عظيم فضل الله عز وجل على الناس أن بين لهم ووضع لهم نظاما ربانيا يسرون عليه حفاظا على ترابطهم ومحبتهم وقوتهم .

وأيضا حتى يرفع الحرج عن صاحب المال فلا يخرج أحد على صاحب المال ، ويلوم عليه ويطمع في نصيب أوفر ، وأكبر ويدعي أنه أخذ مالا قليلا وهو يستحق ، أكثر من ذلك لأنه صاحب فضل عليه ، مثلا كالزوجة مع وجود أبناء من زوجة أخرى أو أب أو أخ أو شخص حجب بشخص آخر وهكذا.

فنقول له: إن هذا المال وهذه التركة جاءت من عند الله عز وجل وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أعطى كل ذي حق حقه وليس للإنسان في ذلك دخل ولا اجتهاد

استمداد علم الفرائض:

يستمد علم الفرائض، أصوله، وأدلته وأحكامه من أربعة مصادر، وهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع المنبثق من الصحابة الكرام، واجتهادات بعضهم رضي الله عنهم.^(١)

أركان الميراث:

للإرث في الإسلام ثلاثة أركان:

(١) (الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (٥/ ٧١)

أركان الميراث



١. المورث: هو الشخص المتوفى أو المفقود الذي حكم القاضي بوفاته.

٢. الوارث: هو الشخص الحي الذي يحق له الميراث.

٣. التركة: هي المال المتروك، وهي: (ما يتركه الميت من الأموال مطلقاً)^(١)، وتشمل كل أنواع العقارات والمنقولات التي كان يملكها الميت في حياته من أراضٍ ومبانٍ وحيواناتٍ وأدواتٍ وآلاتٍ، ونقودٍ وبضائع، وأثاثٍ وثيابٍ وحبوبٍ وثمارٍ وغيرها من الأعيان المالية.

أسباب الإرث:

أي الحالات الموجبة للميراث، وهي ثلاث حالات:

أسباب الميراث



(١) فقه السنة، سيد سابق (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، سنة: ١٩٧٧م، (٣/ ٦٠٤).

1 . الزوجية أو المصاهرة: ولا تنعقد الزوجية إلا بعقد نكاح صحيح (أي العقد الذي تتوافر فيه الشروط والأركان. ولا يشترط الدخول ولا الخلوة بين الزوجين في الميراث.

فيثبت الميراث بمجرد العقد الصحيح ؛ لأن «النبي صلى الله عليه وسلم قضى في بَرُوع بنت واشق أن لها الميراث، وكان زوجها قد مات عنها قبل الدخول بها، ولم يكن فرض لها صداقاً»^(١)، وفي الحديث: عن عبد الله مسعود سأل عن رجل تزوّج امرأة، فمات عنها ولم يدخُلْ بها، ولم يفرض لها الصداق، فقال: «لها الصداق كاملاً، وعليها العدة، ولها الميراث»، فقال معقل بن سنان: «سمعتُ رسولَ الله عليه الصلاة والسلام قضى به في بَرُوع بنت واشق»، وفي رواية قال: اختلّفوا إليه شهراً. أو قال: مرّاً. قال: «فإنّي أقولُ فيها: إنّ لها صداقاً كصداق نساءها، لا وكس ولا شطط، وإنّ لها الميراث وعليها العدة، فإنّ يك صواباً فمن الله، وإنّ يكن خطأ فمِنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله بريّان»، فقام ناسٌ من أشجع، فمهمّ الجراح وأبو سنان، فقالوا: يا ابن مسعود، نحن نشهد أنّ رسولَ الله عليه الصلاة والسلام قضّاها فينا في بَرُوع بنت واشق، وإنّ زوجها هلال بن مرة الأشجعيّ- كما قضيت. قال: ففرّح عبدُ الله بن مسعود فرحاً شديداً حين وافقَ قضاؤه قضاء رسولِ الله عليه الصلاة والسلام^(٢).

٢. القرابة: ويراد بها القرابة الحقيقية، وتشمل فروع الميت وأصوله وفروع أصوله أي الأبناء، والأباء والأجداد، والأخوة والأعمام وغيرهم، علي تفصيل سيأتي إن شاء الله.

٣. الولاء: الولاء في فقه الموارث هو تعصيب سببه إنعام المعتق على عبده بالعتق فمن أعتق مملوكاً بأي وجه من أوجه العتق؛ كان عاصباً له فإن مات ولم يترك عاصباً من نسبه كان المعتق وعصبته الذكور لهذا العتق عصبه يرثون ماله لقوله صلى الله عليه وسلم «إنما الولاء لمن أعتق»^(٣)، وحديث: «الولاء لحمة كلحمه الدم»، ورواية أخرى «الولاء لحمة كلحمه النسب لا يباع ولا يوهب»^(٤)، وكلمة لحمة بمعنى صلة. بين السيد المعتق وبين من أعتقه، ويكون للسيد أو عصبته حق الإرث ممن أعتقه إن لم يكن للعبد من يرثه من قرابة أو زوجية لما كان له من الفضل عليه حيث إنه منحه الحرية والكرامة وازاح عنه ذل العبودية .

(١) رواه أبو داود وغيره، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود وغيره،

(٣) أخرجه البخاري

(٤) رواه أحمد وابن أبي شيبة عن ابن عمر.

وأجمع المسلمون على استحقاق الولاء للمعتق لإنعامه بالعتق، كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٣٧] يعني زيد بن حارثة أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم الرسول عليه بالعتق، ولذلك سمي السيد المعتق: المولى المنعم، وسمي العبد المعتق: المولى المنعم عليه، لأن اسم المولى ينطلق على كل واحد من المعتق والمعتق فاحتاجا لاشتراكهما في اسم المولى إلى ما يتميزان به ف قيل في تمييزهم مولى أعلى ومولى أسفل، وقيل: مولى نعمة، ومولى منعم عليه.^(١)

والولاء لغة: النصرة، واصطلاحاً: صلة تربط الشخص بغيره فتجعله في بعض الأحكام كأقاربه وهو ليس من أقاربه، والولاء قسمان: ولاء العتاقة وولاء الموالاتة.

أولاً: ولاء العتاقة: وهو قرابة حكمية أنشأها الشارع بين المعتق ومن أعنته ولهذا يسمى ولاء النعمة، ويسمى أيضاً العصبية السببية، أي الآتية من جهة السبب، تميزاً له عن العصبية النسبية التي هي من جهة النسب وقرابة الدم، والولاء سبب من أسباب الإرث من جانب واحد باتفاق الفقهاء، وقد أخذ به القانون في المادة السابعة، فيؤخر عن الرد على أصحاب الفروض، و إرث ذوي الأرحام.

ثانياً: ولاء الموالاتة: وهو عقد بين اثنين على أن يرث كل منهما الآخر إذا مات، ويعقل عنه إذا جنى، وهو ما كان عليه العرب في جاهليتهم على نحو ما ذكرنا، وقد أقره الإسلام في البداية، وأما جمهور الفقهاء فلم يعتبروا ولاء الموالاتة سبباً من أسباب للتوارث وأنه كان موجود في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بآيات الموارث، وقد أخذ القانون بهذا الرأي.

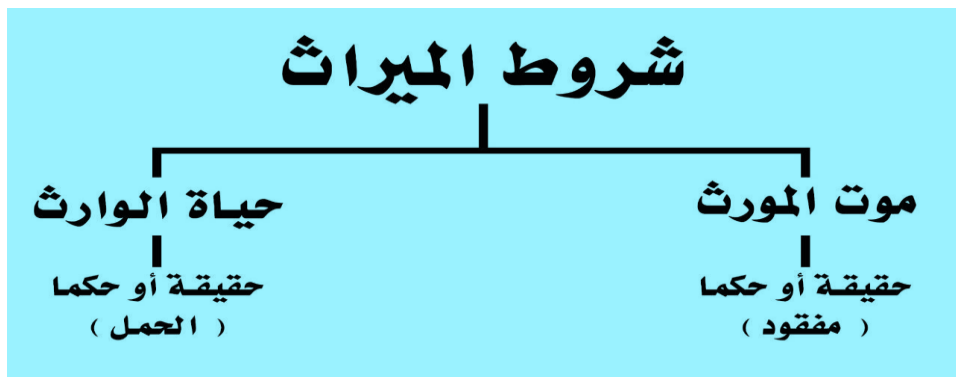
جاء في المادة ٧ من القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ م: (أسباب الإرث: الزوجية والقرابة والعصبية السببية، يكون الإرث بالزوجية بطريق الفرض، ويكون الإرث بالقرابة بطريق الفرض أو التعصيب أو بهما معاً، أو بالرحم مع مراعاة قواعد الحجب والرد، فإذا كان لوارث جهتا إرثٍ ورثَ بهما معاً مع مراعاة أحكام المادتين (١٤)، و (37)).

(١) الحاوي الكبير (١٨ / ٨٠) و الكتاب: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠ هـ)

اختلاف دين العاتق:

اُخْتَلَفَ الْمُفْقَهَاءُ فِي ثُبُوتِ الْوَلَاءِ لِلْمُعْتِقِ إِذَا اخْتَلَفَ دِينُهُ عَنْ دِينِ مُعْتَقِهِ، فذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن من أعتق عبداً يخالفه في دينه فله ولاؤه أيضاً واستدلوا بحديث جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ النَّصْرَانِيَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ أَوْ أُمَّتُهُ»^(١).

شروط الميراث:



الشرط الأول: مَوْتُ الْمُوْرَثِ:

اتفق الفقهاء على أن انتقال التركة من الْمُوْرَثِ إلى الوارث يكون بعد وفاة الْمُوْرَثِ حقيقة أو حكماً أو تقديرًا، فالْمُوْتُ الْحَقِيقِيُّ، هو: انْعِدَامُ الْحَيَاةِ ويكون إمَّا بالمُشَاهَدَةِ أو إخبار أهل الثقة كالطبيب مثلاً، والموت الحكمي، المقصود به الغائب، كالمفقود.

جاء في المادة ٢ من القانون المصري رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣: (يجب لاستحقاق الإرث تحقق حياة الوارث وقت موت المورث أو وقت الحكم باعتباره ميتاً. ويكون الحمل مستحق الإرث إذا توافر فيه ما نص عليه في المادة (٤٣)).

الشرط الثاني: حياة الوارث:

(١) رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ. وَرَوَاهُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ مَوْفُوقًا عَلَى جَابِرٍ

حياة الوارث حقيقة أو حكماً، والحياة الحقيقية تكون بالمعاينة أو بالإخبار، والحياة الحكمية المقصود بها الجنين في بطن أمه.

أحكام المفقود:

المفقود: إذا غاب الشخص وانقطع خبره ولم يعرف مكانه ولم يعرف أي هو أم ميت؟ وحكم القضاء بموته.

واختلف الفقهاء في المدة التي يحكم بعدها القاضي بموت المفقود: روي عن مالك أن المدة التي يحكم بعدها بموت المفقود، قال: (أربع سنين)؛ لأن عمر **رضي الله عنه** قال: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ فَقَدْتُ زَوْجَهَا فَلَمْ تَدْرِ أَيْنَ هُوَ؟ فَإِنَّهَا تَنْتَظِرُ أَرْبَعَ سِنِينَ ثُمَّ تَعْتَدُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ثُمَّ تَحِلُّ»^(١).

والمشهور عن أبي حنيفة والشافعي ومالك عدم تقدير المدة وهو مفوض إلى اجتهاد القاضي في كل عصر. وزمان قال صاحب المغني في المفقود الذي لا يغلب هلاكه: "لا يقسم ماله ولا تتزوج امرأته حتى يتيقن موته، أو يمضي عليه مدة لا يعيش في مثلها. وذلك مردود إلى اجتهاد الحاكم، وهذا قول الشافعي ومحمد بن الحسن، وهو المشهور عن مالك وأبي حنيفة وأبي يوسف"^(٢).

وذهب الإمام أحمد إلى إن كان في غيبة يغلب فيها الهلاك فإنه بعد التحري يحكم القاضي بموته بمضي أربع سنين لأن الغالب هلاكه، وإن كان في غيبة يغلب معها السلامة يفوض أمره إلى القاضي، أخرج البيهقي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «قَضَى عُمَرُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فِي الْمَفْقُودِ: تَرِبَصْ امْرَأَتَهُ أَرْبَعَ سِنِينَ ثُمَّ يَطْلُقْهَا وَلِي زَوْجَهَا ثُمَّ تَرِبَصْ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ثُمَّ تَزُوجْ»^(٣).

قال عبيد بن عمير: «فقد رجل في عهد عمر فجاءت امرأته إلى عمر فذكرت ذلك له فقال: انطلق فتربصي أربع سنين ففعلت ثم أتته فقال: انطلق فاعتدي أربعة أشهر وعشراً ففعلت ثم أتته فقال:

(١) الشافعي. وأخرجه مالك في موطأ (١/ ٦٣٤) رقم: «١٦٥٠» وفي المدونة، (٢/ ٣١).

(٢) المغني، لابن قدامة، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط/ ٣، سنة: ١٩٩٧م، (٩/ ١٨٧).

(٣) إسناده حسن ورجاله رجال البخاري.

أين وليّ هذا الرجل؟ فجاء وليه فقال: طلقها ففعل، فقال عمر: انطلقني فتزوجي مَنْ شئت فتزوجت ثم جاء زوجها الأول فقال له عمر: أين كنت فقال استهوتني الشياطين»^(١).

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى: «أن رجلاً من قومه من الأنصار خرج يصلي مع قومه العشاء فسبته الجن ففقد فانطلقت امرأته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقصته عليه القصة فسأل عنه عمر قومه فقالوا: نعم خرج يصلي العشاء ففقد فأمرها أن تربص أربع سنين فلما مضت الأربع سنين. أتته فأخبرته فسأل قوماً؟ فقالوا: نعم فأمرها أن تتزوج فتزوجت فجاء زوجها يخاصم في ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يغيب أحدكم الزمان الطويل لا يعلم أهله حياته فقال له: إن لي عذراً يا أمير المؤمنين فقال: وما عذرک؟ قال: خرجت أصلي العشاء فسببني الجن فلبثت فيهم زمناً طويلاً فغزاهم جن مؤمنون - أو قال: مسلمون شك سعيد - فقاتلوهم فظهروا عليهم فسبوا منه سباياً فسبوني فيما سبوا منهم فقالوا: نراك رجلاً مسلماً ولا يحل لنا سببك فخيرني بين المقام وبين القفول إلى أهلي فاخترت القفول إلى أهلي فأقبلوا معي أما بالليل فليس يحدثوني وأما بالنهار فعصاً أتبعها فقال له عمر رضي الله عنه: فما كان طعامك فيهم؟ قال: الغول وما لم يذكر اسم الله عليه قال: فما كان ثوابك فيهم؟ قال: الجدف قال قتادة: والجدف ما لا يخمر من الشراب قال: فخير عمر بين الصداق وبين امرأته»^(٢).

ويعتبر المفقود حياً، ويترتب عليه أحكام الأحياء ما دام لم يثبت موته ولم يحكم القاضي بموته.

استناداً إلى القاعدة الفقهية: (الأصل بقاء ما كان على ما كان حتى يثبت ما يغيره)، أوردها الشيخ الزرقا، بلفظ هو: (الأصل بقاء ما كان على ما كان، حتى يقوم الدليل على خلافه)^(٣)، ومعنى القاعدة: ينظر إلى الشيء على أي حال كان في الماضي، فيحكم بدوامه على ذلك الحال ما لم يقم دليل خلافه؛ لأنه تحقق وجود ذلك الشيء في الماضي، فيحكم بدوامه في الحاضر، وعلى هذا فلا يفرق بينه وبين زوجته، ولا تحل لأحد غيره، ولا يقسم ماله بين ورثته، حتى يظهر موته، أو يحكم القاضي بوفاته.

(١) صحيح، أخرجه البيهقي.

(٢) أورده الألباني في إرواء الغليل : وإسناده صحيح

(٣) شرح القواعد الفقهية، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا (ت ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م) تصحيح وتعليق: مصطفى أحمد الزرقا، تنسيق ومراجعة: د عبد الستار أبو غدة، الناشر: دار القلم، دمشق - سوريا، ط / ٢، سنة: ١٩٨٩م، (ص ٨٧).

مسألة خاصة بالمفقود:

إذا ظهر المفقود حيا بعد أن حكم القاضي الشرعي باعتباره ميتا ، وكانت زوجته قد تزوجت ودخل بها زوجها الثاني، فللفقهاء في هذه المسألة أقوال مختلفة:

القول الأول: هي زوجة للأول الذي كان مفقودًا ثم ظهر، وينسخ نكاحها من الثاني، وترجع إلى الأول بعد أن تعتد، وهذا مذهب الجمهور من الحنفية والشافعية والحنابلة، يقول الإمام الكاساني الحنفي رحمه الله: "إذا نعي إلى المرأة زوجها فاعتدت وتزوجت وولدت، ثم جاء زوجها الأول، فهي امرأته؛ لأنها كانت منكوحته، ولم يعترض على النكاح شيء من أسباب الفرقة، فبقيت على النكاح السابق، ولكن لا يقربها حتى تنقضي عدتها من الثاني"^(١)، أ.هـ.

أما الشافعية فيقول الخطيب الشربيني رحمه الله: "إذا بان حيا بعد أن نكحت فالزوج باق على زوجيته، لكن لا يطؤها حتى تعتد من الثاني"^(٢).

وقال الميشتي الحنبلي رحمه الله: "إن كان عود الأول بعد دخول الثاني بها، خُيّر الأول بين أخذها منه، فتكون امرأته بالعقد الأول، ولو لم يطلق الثاني نصًّا؛ لأن نكاحه كان باطلاً في الباطن، ويطأ الأول بعد عدة الثاني"^(٣).

القول الثاني: تبقى الزوجة للزوج الثاني، ولا سبيل للأول عليها، وهو مذهب مالك بن أنس رحمه الله حيث يقول: "إن تزوجت بعد انقضاء عدتها، فدخل بها زوجها، أو لم يدخل بها، فلا سبيل لزوجها الأول إليها، قال مالك: وذلك الأمر عندنا، وإن أدركها زوجها قبل أن تتزوج فهو أحق بها"^(٤).

والراجح في المسألة: ما جاء في قرار المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الحادية والعشرين المنعقدة بمكة المكرمة لعام (١٤٣٤هـ): "ويترك تحديد المدة التي تنتظر للمفقود للقاضي،

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للإمام الكاساني الحنفي، (٣/ ٢١٥).

(٢) مغني المحتاج شرح المنهاج، للخطيب الشربيني، (٩٩/٥).

(٣) كشاف القناع عن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي الحنبلي (ت ١٠٥١هـ)، تحقيق: لجنة متخصصة في وزارة العدل، الناشر: وزارة العدل في المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة: (٢٠٠٠ - ٢٠٠٨م)، (٣٢ / ١٣).

(٤) من "الموطأ" (٥٧٥/٢).

بحيث لا تقل عن سنة ولا تزيد على أربع سنوات من تاريخ فقدته؛ ويستعين في ذلك بالوسائل المعاصرة في البحث والاتصال، ويراعي ظروف كل حالة وملابساتها، ويحكم بما يغلب على ظنه فيها". انتهى.

تاريخ

التعريف ببيت المقدس



تقع مدينة القدس في
وسط فلسطين، وتبعد
نحو ٦٠ كيلومترا شرق
البحر المتوسط وحوالي
٣٥ كيلومترا غرب البحر
الميت، و ٢٥٠ كيلومترا
شمالا عن البحر الأحمر

وبيت المقدس بفتح الميم وسكون القاف، أي المكان المطهر من الذنوب، واشتقاقه من القدس، وهي
الطهارة والبركة .

والقدس: اسم مصدر في معنى الطهارة والتطهير، وروح القدس: جبريل عليه السلام ؛ لأنه روح مقدسة،
والتقديس: التطهير، ومنه ونقدس لك: علي لسان الملائكة أي ننزهك عما لا يليق بك، فمعنى بيت
المقدس المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب، ويقال: المرتفع المنزه عن الشرك^(١) ويعرف أيضا بالمسجد
الأقصى: وهو اسم تفضيل معناه الأبعد، ثم صار يُقصد به الوصف لا التفضيل.

والمسجد الأقصى هو المنطقة المحاطة بالصور المستطيل الواقعة في جنوب شرق مدينة القدس والتي
تعرف بالبلدة القديمة:

(١) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى (١ / ٩٤) بتصرف

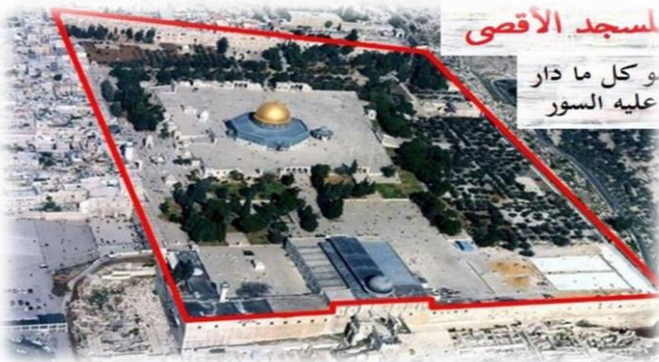
تبلغ مساحة المسجد قرابة الـ ١٤٤ دونم ، والدونم يساوي ١٠٠٠ متر مربع تقريبا فتكون مساحته ١٤٤٠٠٠ متر ويشمل قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى والمسعى الجامع القبلي، ويحتل نحو سدس مساحة البلدة القديمة. شكله مضلع أو شبه مستطيل، وعدة معالم أخرى يصل عددها إلى مئتي معلماً، وتعتبر الصخرة المشرفة هي أعلى نقطة في المسجد الأقصى وتقع في موقع القلب بالنسبة للمسجد الأقصى.



وكلمة «الأقصى» تعني الأبعد، وسُمِّيَ بالأقصى لبعده عن المسجد الحرام وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في هذا التوقيت ، والمسافة بينهما بتقدير جوجل إيرث حوالي ١٢٣٥ كم إلا بضع أمتار

قال **الله تعالى** ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء ١)

وقد أجمع المفسرون على أن المقصود بالمسجد الأقصى مدينة القدس ذاتها ، والمراد بالبركة المذكورة في الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿الذي باركنا حوله﴾



البركة الحسية والمعنوية، فأما الحسية فهي التي أنعم **الله تعالى** بها على تلك الأراضي من الثمار والزروع وكثرة الخيرات وهذا واضح جلي في قصة السيدة مريم عليها السلام.



قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧) آل عمران

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس "قال كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً"، قال: وجد عندها ثمار الجنة، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.

عن قتادة في قوله: "كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً"، قال: كنا نحدث أنها كانت تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وقال: وجد عندها ثمرة في غير زمانها.

وعن الحسن قال: كان زكريا إذا دخل عليها -يعني على مريم- المحراب وجد عندها رزقاً من السماء، من عند الله، ليس من عند الناس^(١)

وأما البركة المعنوية فهي ما اشتملت عليه من جوانب روحية ودينية، حيث كانت مهبط الصالحين والأنبياء والمرسلين عليه السلام ومسرى خاتم النبيين، وقد دفن حول المسجد الأقصى كثير من الأنبياء مثل سيدنا إبراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف وكثير من الصالحين وفي مدينة القدس دفن عدد كبير من الصحابة والتابعين منهم الصحابي الجليل عبادة بن الصامت وشداد بن أوس - رضي الله عنهما-. وفي المسجد الأقصى الصخرة المشرفة، الحلقة التي ربط النبي عليه الصلاة

(١) تفسر الطبري = جامع البيان ت شاكر ٦ ٣٥٦

والسلام بها البراق، وصلى النبي إماماً بالنبیین والمرسلین، فكانوا یزیدون على المائة الف نبی ورسول.

عُمر مدينة القدس

تُشير التقديرات التاريخية الخاصة بعُلماء التاريخ إلى أنَّ عُمر مدينة القدس يصل إلى حوالي ٣٨,٠٠٠ سنة، كما قدّرت مجموعة أخرى من العلماء عُمرها بحوالي ٦,٠٠٠ سنة، ولكن العُمر الحقيقي لمدينة القدس يصل إلى حوالي ٣٨ قرناً؛ لأنَّ مؤسس المدينة المعروف باسم ملكي صادق كان موجوداً في عهد النبي إبراهيم عليه السلام؛ حيث عاش النبي إبراهيم -عليه السلام- في الفترة التاريخية التي تُقارب حوالي سنة ١٨٥٠ ق.م.^(١)

وتذكر المصادر التاريخية أنها كانت في ابتداء الزمان صحراء خالية من أودية وجبال، وكان أول من اختطها سام بن نوح عليه السلام وخلال هذه الفترة هوجمت القدس ٥٢ مرة، واحتُلَّت وأُعيد احتلالها ٤٤ مرة، وحوصرت ٢٣ مرة، ودُمرت أكثر من مرة.

جغرافية مدينة القدس

تتميز مدينة القدس بأهمية موقعها الجغرافي الذي يُشكّل مركزاً يجمع مجموعة من الطُرق الخاصة بالتجارة، وتقع القدس وسط الأراضي الفلسطينية، وتحديداً على أحد التلال الصخرية، وأُسست المدينة على أربعة مرتفعات وتوجد حولها مجموعة من الأودية، وتشمل هذه المرتفعات جبل موريا الذي أُسس على أرضه حرم القدس الشريف، وجبل صهيون، وجبل أكر الذي أُسس على أرضه كنيسة القيامة، وجبل بزيتا، كما توجد في محيط مدينة القدس عدّة وديان وتلال، مثل: وادي هنوم الواقع في جهتها الشرقية، ووادي قدرون الواقع في جهتها الغربية^(٢)

(٤) د. عبد الناصر الفراء، الجذور التاريخية لمدينة القدس وكيفية الحفاظ عليها، صفحة: ١٩٤-١٩٦. بتصرّف

(١) جغرافيا القدس"، alquds.gateway.ps اطلع عليه بتاريخ ١٢-١١-٢٠١٧. بتصرّف.

وتنقسم مدينة القدس إلى قسمين:

١. المدينة القديمة (القدس الشرقية):

وهي زاخرة بآثارها الدينية، وتضم معظم الأماكن المقدسة، وأهم هذه الأماكن "المسجد الأقصى"، وهو الحرم المقدس للمسلمين، الذي تهفو إليه قلوب الملايين من بني البشر. وقد احتلت "إسرائيل" هذا القسم من مدينة القدس عام ١٩٦٧ م.

٢. المدينة الجديدة (القدس الغربية):

وهي حافلة بالمباني والطرق الحديثة، وقد اغتصبت "إسرائيل" هذا القسم من مدينة القدس اغتصاباً واستولت عليه عنوة عام ١٩٤٨ م^(١)

أسماء مدينة القدس

مرت مدينة القدس بعدة عصور اختلفت خلالها تسميتها، فقد وردت في سجلات الفراعنة تحت اسم يبوس أو روسالم كما كان اسمها عند الكنعانيين أو شراليم كما سماها العبرانيون بروساليم عند اليونانيين، هيروسلما أو سموليموس أو إيليا عند الرومان، وهي القرية أو بيت المقدس أو بيت المقدس أو القدس كما سماها العرب المسلمون^(٢)

القدس في القرآن الكريم

جاء في القرآن الكريم ذكر بيت المقدس في مواطن عدة نذكر منها^(٣)
قال الله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء ١

(١) مكتبة المسجد الأقصى المبارك (ماضيها وحاضرها).

(٢) خالد محمد غازي: سيرة مدينة القدس (القاهرة: دار الهدى للنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٨) ص ٢٨٢.

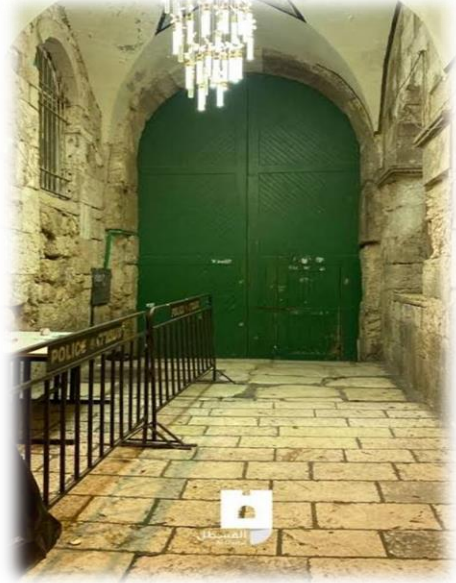
قال شمس الدين السيوطي: إن لم يكن لبيت المقدس من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية، وبجميع البركات وافية، لأنه إذا بورك حوله، فالبركة فيه مضاعفة، ولأن الله تعالى لما أراد أن يعرج بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى سمائه، جعل طريقه عليه تبياناً لفضله.

ومعني باركننا حوله: أجرى الله حول بيت المقدس الأنهار وأنبت الثمار وأظهر البركة، والبركة: الثبات يراد به ثبات الخير، ومضى تبارك الله: ثبت الخير عنده أو في خزائنه، وقيل: علا وتقدس من العظمة والجلال، وقيل: من البقاء والدوام^(١)

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾ البقرة (٥٨)

يقول ابن كثير في تفسيره: ولهذا كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس

وقال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية: (واختلف في تعيينها فقال الجمهور: هي بيت المقدس والباب الذي أمروا بدخوله هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم بـ"باب حطة"



(١) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى (1/ 94)

وقال **الله تعالى** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ **الله** أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسُئِلَ فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة (١١٤).

قال السيوطي: نزلت في منع الروم المسلمين من بيت المقدس، فأذلهم **الله** وأخزاهم ولا يدخله أحد منهم أبداً إلا وهو خائف متلفع ثوب الخزي والهوان والصغار.

وقال تعالى:

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ **الله** لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ المائدة "٢١".

قال قتادة: هي الشام، وقال الزجاج: دمشق وفلسطين. وقال السيوطي: سماه **الله تعالى** . يعني بيت المقدس . مباركاً مرة ومقدساً مرة.

وقال ابن كثير: تحريض موسى لبني إسرائيل على الجهاد والدخول إلى بيت المقدس، فالخطاب موجه لسيدنا موسى عليه السلام، وهذا يدل على قدسية هذه البلاد قبل بعثة سيدنا موسى وعيسى وقبل بناء الهيكل وكنيسة المهد

وقوله تعالى: ﴿وَنَجِّينَاهُ وَلَوْطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء "٧١"

عن ابن عباس: أنها الأرض المقدسة، قال ابن الجوزي في زاد المسير وغيره: بأن **الله** نجى إبراهيم ولوطاً عليهما السلام إلى الأرض المباركة أرض الشام وفيها فلسطين بعد أن كانا في العراق.^(١)

وذكر ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباس: إن الأرض المباركة هي بيت المقدس، لأن منها بعث **الله** أكثر الأنبياء، وهي كثيرة الخصب والنمو، عذبة الماء^(٢) وقال السيوطي: إن المراد بذلك بيت المقدس

^١ زاد المسير في علم التفسير (3/ 202)

^٢ تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (18/ 468)

وقال تعالى: ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾^(١)
الأنبياء "٨١"

قال ابن الجوزي والقرطبي وابن كثير في تفاسيرهم: بأن الله سخر لسليمان عليه السلام الريح تهب بشدة، وتجري بسرعة إلى الأرض التي باركنا فيها: أرض الشام^(٢)

وقوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾^(٣) الأنبياء ١٠٥.

قيل أنها أرض الأمم الكافرة، ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو قول ابن عباس الذي روى عنه علي بن أبي طلحة^(٤) وهذا دليل أن الأمة الإسلامية سوف ترث الدنيا وسوف تعود فلسطين كاملة للمسلمين إن شاء الله قريباً

- وقوله تعالى: ﴿وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾^(٥) المؤمنين 50

وعن أبي هريرة يقول في قول الله: (إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) قال: هي الرملة من فلسطين.^(٦)

وقد ذكره ابن كثير في تفسيره، وقال كعب وقتادة: بيت المقدس، كما وذكر ابن كثير قائلاً: وكذا قال الضحاك وقتادة: (إلى ربوة ذات قرار ومعين) : هو بيت المقدس^(٧)

وقال تعالى: ﴿واستمع يوم يُنادِ المُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(٨) ق ٤١ قال ابن الجوزي، والقرطبي وابن كثير في تفاسيرهم: بأن الله يأمر إسرافيل أن يقف على صخرة بيت المقدس لقربها من السماء وينادي: أيها الناس: هلموا إلى الحساب إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء^(٩)

وقال تعالى: ﴿والتين والزيتون﴾^(١٠) التين "١".

^١ تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٣٥٥) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (18/ 468)

^٢ تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (18/ 547)

^٣ تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (19/ 37)

^٤ تفسير ابن كثير ت سلامة (5/ 476)

^(٥) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى (1/ 97)

قال القرطبي: وروي عن ابن عباس وابن زيد: والزيتون: مسجد بيت المقدس، وقال الضحاك: "والزيتون": المسجد الأقصى.

و قال ابن كثير: قال قتادة " والزيتون " هو مسجد بيت المقدس، وذكر السيوطي عن عقبة بن عامر الجهني أنه قال " التين " دمشق، " والزيتون " بيت المقدس^(١)

وغير ذلك من الأدلة الكثيرة من كتاب الله تعالى علي قدسية هذه الأراضي المقدسة

بيت المقدس في السنة المباركة

جاءت في السنة المباركة أحاديث كثيرة تبين فضل بيت المقدس وفلسطين نذكر منها أنه المسجد الثاني الذي وُضع في الأرض؛ فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله أيُّ مسجد وُضع في الأرض أول، قال: ((المسجد الحرام))، قلتُ ثم أي، قال: ((المسجد الأقصى))، قلت: كم كان بينهما، قال: ((أربعون سنة))، ثم أينما أدركتُك الصلاة بعدُ فصله؛ فإن الفضل فيه))؛ متفق عليه.

ومن فضائله أنه قبلة المسلمين الأولى قبل تحويل القبلة إلى مكة؛ فعن البراء - رضي الله عنه - قال: صلينا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفه نحو القبلة؛ متفق عليه.

ومن فضائله أنه مَسَرَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومنه عُرج إلى السماء؛ فعن أنس ابن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغلة، يضع حافره عند منتهى طَرَفِهِ، فركبْتُ؛ حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت فصليتُ فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل - عليه السلام - بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترْتُ اللبن، فقال جبريل: اخترت الفِطْرَةَ، ثم عُرج بنا إلى السماء)) رواه مسلم.

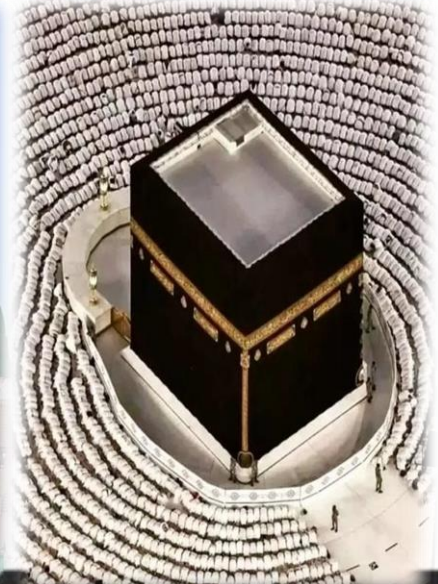
ومن فضائله:

(١) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى (1/ 97)

أن الصلاة فيه تُضاعَف والأجر فيه يزيد؛ فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيهما أفضل؛ أمسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم بيت المقدس، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلّي هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض، حيث يرى منه بيت المقدس، خير له من الدنيا جميعاً))، قال أو قال: ((خير له من الدنيا وما فيها))؛ رواه الحاكم، وهو حديث صحيح ومعني، شطن فرسه «الشطن: الحبل، والجمع أشطان ونلاحظ مدح الرسول له حيث قال ولنعم المصلّي هو.

والمعني كما يقول الدكتور محمد طاهر مالك في تحقيقه على (مشيخة ابن طهمان) أن مؤامرات الأعداء على المسجد الأقصى وبيت المقدس ستستمر وتتصاعد وتشتد لدرجة أن يتمنى المسلم أن يكون له موضع صغير يطل منه على بيت المقدس أو يراه منه ، ويكون ذلك عنده أحب إليه من الدنيا جميعاً

من فضائله أنه يشد له الرحال فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى) وروى البخاري ومسلم وعند مسلم بلفظ: "إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء) ومعني تشد الرحال عقد العزم على الخروج إلى السفر والذهاب إلى أماكن بعيدة .



بيت المقدس أرض المحشر والمنشر

عن ميمونة مولاة النبي قالت: «قلت يا رسول الله: أفتنا في بيت المقدس»، قال: «أرض المحشر والمنشر، انتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره، قلت: أرايت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه؟ قال: فتهدّي له زيتا يسرح فيه، فمن فعل فهو كمن أتاه»^(١)

أَرْضُ الْمُحْشَرِ (التي يُجمع فيها الخلق يوم القيامة) وَالْمُنْشَرِ (التي تُعاد فيها الأرواح إلى الخلق بعد موتهم)، فَتَهْدِي لَهُ زَيْتًا يُسْرَجُ (يُوضع في مصابيحها لتضيء) وميمونة هي مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنها علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم وهي ميمونة بنت سعد وليست زوجة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام

ومن الفضائل أن الدجال لا يدخل المسجد الأقصى :

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كُنَّا سِتِّ سِنِينَ عَلَيْنَا جُنَادَةَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ فَقَامَ فَخَطَبَنَا فَقَالَ: أَتَيْنَا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَلَا تُحَدِّثْنَا مَا سَمِعْتَ مِنَ النَّاسِ فَشَدَّدْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فِينَا فَقَالَ: أَنْذَرْتُكُمْ الْمَسِيحَ وَهُوَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ . قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ الْيُسْرَى . يَسِيرُ مَعَهُ جِبَالُ الْخُبْزِ وَأَنْهَارُ الْمَاءِ، غَلَامَتُهُ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَهْلٍ، لَا يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: الْكُعْبَةَ وَمَسْجِدَ الرَّسُولِ وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى وَالطُّورَ، وَمَهْمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ". رواه الإمام أحمد في مسنده (٢)

من فضائله الخروج من الذنوب كيوم ولدته أمه:

(١) رواه أحمد و ابن ماجه، والطبراني في الكبير وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسنَد: (إسناده ضعيف)
(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار))

وعن عبد الله بن عمر عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله خلا لا ثلاثا: حكما يصادف حكمة، وملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه؛ إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام «أما اثنتان فقد أعطيتهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة»^(١)

و روى أبو داود والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ أَهَلَ بِحِجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) أبو داود والبزار

وعن أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يَقُولُ: «مَنْ أَهَلَ بِحِجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. أَوْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» أخرجه الطبراني في الكبير

ومن فضائله أن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وصى بالعيش فيه:

فعن ذي الأصابع رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟ قال: «عليك بيت المقدس، فلعله ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذاك المسجد ويروحون»^(٢)

أهل بيت المقدس وفلسطين

في رباط إلى قيام الساعة: جاء في حديث النبي ﷺ ما يشر إلى أن أهل بيت المقدس في رباط إلى قيام الساعة وأنهم مؤيدون من الله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم ظاهرين على الحق - إلى أن تقوم الساعة»^(٣)

(١) إسناده صحيح | أخرجه النسائي (٦٩٣)، وابن ماجه (١٤٠٨)، وأحمد

(٢) (رواه احمد) 16196

(٣) (مسند الإمام أحمد) (22320)

و عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء (أي شدة وحصار وضيق) حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: "ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس".^(١)

وفي رواية مرة بن كعب الههزي، رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم، وهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتي أمر الله وهم كذلك". قلنا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: "بأكناف بيت المقدس". أخرجه الطبراني

وجاء في حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة"^(٢)

وعن المغيرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون". البخاري ومسلم

وجاء في حديث معاوية، رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك". قال عمير: فقال مالك بن يخامر: قال معاذ: وهم بالشأم. فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذًا يقول: وهم بالشأم). البخاري ومسلم

الصلاة في المسجد الأقصى

اختلفت الأحاديث في فضل الصلاة في المسجد الأقصى:-

فمن الأحاديث ما يجعل الصلاة فيه بخمسائة صلاة، كحديث أبي الدرداء روى البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء مرفوعاً: "الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف

^١ أخرجه أحمد و الطبراني . قال الهيثمي في المجمع ورجاله ثقات

^٢ أخرجه أبو يعلى (٦٤١٧)، والطبراني في الأوسط (٤٧)، وابن عدي في الكامل. 7/ 84.

صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة" قال البزار: إسناده حسن، رواه الحافظ ابن حجر في فتح الباري

ومنها ما يجعل الصلاة فيه تعدل مائتين وخمسين صلاة، وهو ما رواه الحاكم والدارقطني، عن أبي ذر رضي الله عنه -مرفوعاً-: صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات في بيت المقدس.

ومنها ما يجعل الصلاة فيه تعدل ألف صلاة في غيره، وهو حديث ميمونة بنت سعد عند أبي داود وابن ماجه وأحمد، وقال

ابن مفلح في الآداب:

رجاله ثقات. - ومنها

ما يجعل الصلاة فيه

تعدل خمسين ألف

صلاة، وهو حديث

أنس رضي الله عنه،

عند ابن ماجه، وفيه

جهالة، كما أشار إلى

ذلك العراقي. - ومنها

ما يجعل الصلاة فيه بمائة صلاة، وهو ما رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد، عن الأرقم رضي الله عنه -مرفوعاً-

موقع فلسطين الجغرافي

تقع فلسطين في الغرب من قارة آسيا، القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام

يحد فلسطين من الغرب: البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق: سوريا والأردن، ومن الشمال: الجمهورية اللبنانية وسورية، ومن الجنوب: سيناء "جمهورية مصر العربية" وخليج العقبة "المملكة الأردنية".



فلسطين المسمى والتاريخ

عرفت فلسطين؛ منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد بأرض كنعان أو بلاد كنعان.

والكنعانيون هم قبائل عربية سامية، نسبة إلى سام بن نوح **عليه السلام**، وقد استقر الكنعانيون في جنوب سوريا وفلسطين وسيطروا عليها سيطرة تامة، فاشتهرت باسم أرض كنعان أو بلاد كنعان، وكانوا قبل هجرة إبراهيم الخليل **عليه السلام** بحوالي ١٢٠٠ سنة وقبل موسى **عليه السلام** ب ١٧٠٠ عام تقريبا

وجاء في السجلات الرافدية والسورية الشمالية على أسماء المناطق الواقعة جنوب بلاد الشام، وذلك في الألف الثالثة قبل الميلاد، وكانت تعرف بلاد الشام كليا في تلك الفترة باسم "أمورو" أو الأرض الغربية، يقول يا قوت الحموي فِلَسْطِينُ بالكسر ثم الفتح، وسكون السين، وطاء مهملة، وآخره نون

وهي آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها البيت المقدس، ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة وغزة وأرسوف وقيسارية ونابلس وأريحا وعمّان ويافا وبيت جبرين، وقيل في تحديدها: إنها أول أجناد الشام من ناحية الغرب، وطولها للراكب مسافة ثلاثة أيام، أولها رفح من ناحية مصر وآخرها اللّجون من ناحية الغور، وعرضها ، من يافا إلى أريحا نحو ثلاثة أيام أيضا، وزغر ديار قوم لوط، وجبال الشراة إلى أيلة

كله مضموم إلى جند فلسطين وغير ذلك، وأكثرها جبال والسهل فيها قليل، وقيل: إنها سميت بفلسطين بن سام بن إرم بن سام بن نوح، **عليه السلام**، وقال الزجاجي: سميت بفلسطين بن كلثوم من ولد فلان بن نوح، وقال هشام بن محمد نقلته من خط جخجخ: إنما سميت فلسطين بفليشين بن كسلوخيم من بني يافث بن نوح، ويقال: ابن صدقيّا بن عيفا بن حام بن نوح ثم عزّبت فليشين،، (١)

وأصبح اسم فلسطين في العهد الروماني يطلق على كل الأرض المقدسة.. وفي الفتح الإسلامي كانت فلسطين جزءاً من بلاد الشام..

(٢٤) معجم البلدان - الحموي - ج ٤ - الصفحة ٢٧٤

بيت المقدس وفلسطين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

انتقل رسول الله ﷺ إلى جواربه وما زالت فلسطين وبيت المقدس تحت الحكم البيزنطي الروماني وكانت هذه الغزوات والسرايا السابقة مقدمة وتمهيدا لفتح الإسلامي للشام وبيت المقدس وفلسطين

ولقد امتدت أرض الإسلام آخر أيام الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام لتشمل أهل تبالة وجرش وبطون من قضاة ناحية الشام ، وقد أسلم أهل تبالة وجرش من غير قتال ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أسلموا عليه وجعل على كل حاكم (بالغ) ممن بهما من أهل الكتاب دينارا واشترط عليهم ضيافة المسلمين. وولى أبا سفيان بن حرب جرش (١)



مدينة جرش السياحية

^{١١٧} ص ٦٦ - كتاب فتوح البلدان - فتح تبالة وجرش - المكتبة الشاملة

بيت المقدس وفلسطين في خلافة الراشدين رضي الله عنهم

لقد كان لبيت المقدس وفلسطين عند الصحابة الكرام رضي الله عنهم الأهمية الكبرى والاهتمام العظيم ، ومن هذا الاهتمام إرسال بعث سيدنا أسامة بن زيد كما أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان أول قرار للصدیق، هو تنفيذ ما عزم عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم

لكن الصحابة جميعًا عارضوا سيدنا أبو بكر في قراره بإرسال جيش أسامة وتعللوا بأن الردة قد عمت شبه جزيرة العرب، وأن الخطر داهم ومصدق بهم، حتى «المدينة» نفسها، معرضة للخطر ((واشأبت أعناق أعداء الإسلام من يهود ونصارى وغيرهما، وتحفزوا للقضاء على الإسلام، ولذا فإن بقاء الجيش في «المدينة» ضرورة ملحة لحمايتها من الأخطار المحدقة بها(١)

ولكن سيدنا أبو بكر كان رده قويا حيث قال «والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفتني لأنفذت بعث أسامة، كما أمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته

وقد ظهرت نتائج سياسة «الصدیق» الموفقة، عندما ذهب جيش أسامة وحقق

ما قصده الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أهداف، وعاد محملاً بالغنائم، وألقى الرعب والفرع في قلوب القبائل العربية التي مرَّ عليها في شمالي شبه الجزيرة العربية وهو في طريقه إلى الشام؛ لأنهم قالوا: «لو لم يكن بالمسلمين قوة لما أرسلوا هذا الجيش الكبير إلى هذا المكان البعيد في مثل هذا الوقت»(٢)

يقول ابن عساکر فقتل من أشرف له وسبا من قدر عليه وحرق في طوائفها بالنار وحرق منازلهم وحرثهم ونخلهم فصارت أعاصير من الدخاخن وأقام الخيل في عرصاتهم ولم يمعنوا في الطلب أصابوا ما قرب منهم واقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم وكان أسامة خرج على فرس أبيه الذي قتل عليها أبوه يوم مؤتة كانت تدعى سبحة وقتل قاتل أبيه في الغارة أخبره به بعض من سبي وأسهم للفرس سهمين ولصاحبه سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسوا أمر الناس بالرحيل والدليل

^{١١٨} الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (١ / ٧٠)

^{١١٩} الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (١ / ٧٠)

أمامه حريث العذري فأخذوا الطريق التي جاء منها ودأبوا ليلتهم حتى أصبحوا بأرض بعيدة ثم طوى البلاد حتى انتهوا إلى وادي القرى في تسع ليال ثم قصد يغذ السير إلى المدينة وما أصيب من المسلمين أحد فبلغ ذلك هرقل وهو بحمص فدعا بطارقه فقال هذا الذي حذرتكم فأبيتم أن تقبلوه مني قد صارت العرب تأتي من مسيرة شهر فتغير عليكم (١)

فتح الشام وبيت المقدس وفلسطين



^{١٢٠} كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٥٨



خريطة للأبرشية المشرقية في بلاد الشام التابعة للإمبراطورية البيزنطية في عام ٤٠٠ م، يظهر فيها المقاطعات ومراكزها وأهم مدنها.

تعتبر خلافة الصحابي الجليل سيدنا أبو بكر رضي الله عنهم بداية للفتوحات الإسلامية فبعد أن مكن الله تعالى له الأمر في الجزيرة العربية وتم القضاء الكامل علي حركات الردة المنتشرة في الجزيرة العربية استشار سيدنا أبو بكر كبار الصحابة في فتح بلاد الشام، وخطب فيهم، فأيده معظمهم، و أشار عليه عبد الرحمن بن عوف بألا يقتحم أرضهم، وأن يبدأ بالإغارة على أطراف أراضيهم، ثم يبعث إلى قبائل اليمن وربيعة ومضر ليستنفروهم للجهاد، ووافق سيدنا أبو بكر علي رأي سيدنا عبدالرحمن ابن عوف واستحسنه فقام سيدنا أبو بكر بإرسال الجيوش الإسلامية للشام والعراق

وكان أول من أرسله لبلاد الشام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية رضي الله عنهم ، وأرسل سيدنا أبو بكر الصديق أيضا إلى عمرو بن العاص، يطلب منه المجيء لاستعماله في فتوح الشام. فكتب اليه: «إني كنت قد رددتك على العمل الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاكه مرة، وسماه لك أخرى،

مبعثك إلى عمان إنجازا لمواعيد رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد وليته ثم وليته. وقد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك»، فكتب إليه عمرو: «إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاه وأفضلها فارم به شيئا إن جاءك من ناحية من النواحي)

وكان مجموع ما أرسله سيدنا أبو بكر أربعة جيوش لفتح بلاد الشام

١- جيش بقيادة «أبي عبيدة بن الجراح» وجهه إلى «حمص» شمالي الشام

٢- جيش بقيادة «يزيد بن أبي سفيان»، ووجهه إلى «دمشق» في وسط الشام

٣- جيش بقيادة «شرحبيل بن حسنة»، ووجهه إلى «الأردن»

٤- جيش بقيادة «عمرو بن العاص»، ووجهه إلى «فلسطين»

وأمر «سيدنا أبو بكر» قادة الجيوش: فقال إذا جاهدتم منفردين، فكل واحد منكم أمير على من معه من قوات - وكان مع كل واحد منهم نحو ثمانية آلاف جندي - وهو أمير على المنطقة التي يفتحها، أما إذا ألتأتم الظروف إلى الاجتماع في مكان واحد، فالقائد العام «أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم».

تحرك الجيوش الفاتحة



قال محمد بن إسحاق ، عن صالح بن كيسان : خرج أبو بكر ماشيا ويزيد بن أبي سفيان راكبا ، فجعل يوصيه ، فلما فرغ قال : أقرئك السلام وأستودعك الله . ثم انصرف ومضى يزيد فأخذ التبوكية ، ثم تبعه شرحبيل ابن حسنة ، ثم أبو عبيدة

مددا لهما ، فسلكوا ذلك الطريق ، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل العربات من أرض الشام ، ويقال ، أن يزيد بن أبي سفيان نزل البلقاء أولا ، ونزل شرحبيل بالأردن ، ويقال : ببصرى . ونزل أبو عبيدة بالجابية ، وجعل الصديق يمدهم بالجيوش ، وأمر كل واحد منهم أن ينضاف إلى من أحب من الأمراء . ويقال : إن أبا عبيدة لما مر بمآب من أرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه ، وكان أول صلح وقع بالشام ويقال : إن أول حرب وقع بالشام أن الروم اجتمعوا بمكان يقال له العربية من أرض ، فوجه إليهم يزيد أبا أمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم ، وقتل منهم بطريقا عظيما . ثم كانت بعد هذه وقعة مرج الصفر ، استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين . ويقال : إن الذي استشهد في مرج الصفر ابن لخالد بن سعيد . وأما هو ففر حتى انحاز إلى أرض الحجاز . **فَاللَّهُ** أعلم . حكاه ابن جرير (١)

^{١٢١} البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٧٩

جيش سيدنا عمرو بن العاص أهم هذه الجيوش

في ٣ محرم ١٣ هـ الموافق فيه ١٠ مارس ٦٣٤م توجه سيدنا عمرو بن العاص إلى فلسطين وعدد جنده بين ستة وسبعة آلاف مقاتل، فسلك طريق البحر الأحمر حتى العقبة فوادي القرى فالبحر الميت وصولاً إلى بيت المقدس.



وصية أبو بكر لعمر بن العاص قبل الذهاب إلى فلسطين

قال أبو الدرداء كنت مع عمرو بن العاص في جيشه فسمعت أبا بكر يقول وهو يوصيه قال: «اتق الله في شرك و علانيتك واستحيه في خلواتك، فإنه يراك في عملك. وقد رأيت تقدمتي لك على من هو أقدم منك سابقة، وأقدم حرمة. فكن من عمال الآخرة، وأرد بعملك وجه الله، وكن والدًا لمن معك، وأرفق بهم في السير، فإن فيهم أهل ضعف، والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وإذا سرت بجيشك، فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد وربيعة وشرحبيل، بل اسلك طريق أيليا حتى تنتهي إلى أرض فلسطين، وإبعث عيونك يأتونك بأخبار أبي عبيدة، فإن كان ظافراً بعده، فكن أنت لقتال من في فلسطين، وأن كان يريد عسكراً، فأنفذ إليه جيشاً في أثر جيش، وقدم سهل بن عمرو

وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وسعيد بن خالد. وإياك أن تكون وانيًا عما ندبتك إليه، وإياك والوهن أن تقول جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به. وقد رأيت يا عمرو ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقي ما نلاقي من جموع المشركين ونحن في قلة من عدونا، ثم رأيت يوم حنين ما نصر الله عليهم، واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر، فأكرمهم واعرف، حقهم، ولا تتطاول عليهم بسططانك، ولا تداخلك نجدة الشيطان، فتقول إنما ولاني أبو بكر لأنني خيرهم وإياك وخداع النفس، وكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك. والصلاة ثم الصلاة، أذن بها إذا دخل وقتها، ولا تصل صلاة إلا بأذان يسمعه أهل العسكر، ثم ابرز وصل بمن رغب في الصلاة معك، فذلك أفضل له. ومن صلاها وحده، أجزأته صلاته. واحذر من عدوك، وأمر أصحابك بالحرس، ولتكن أنت بعد ذلك مطلعًا عليهم. وأطل الجلوس بالليل على أصحابك، وأقم بينهم وأجلس معهم، ولا تكشف أستار الناس واتق الله إذا لاقيت العدو. وإذا وعظت أصحابك فأوجز، وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك، فالإمام ينفرد إلى الله تعالى فيما يعلمه وما يفعله في رعيته. وإني قد وليتك على من قد مررت من العرب، فاجعل كل قبيلة على حميتها، وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق، وتعاهد عسرك في سيرك، وقدم قبلك طلائعك فيكونوا أمامك، وخلف على الناس من ترضاه، وإذا رأيت عدوك، فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك منك فخرًا. والزم أصحابك قراءة القرآن، وانهمهم عن ذكر الجاهلية وما كان منها، فإن ذلك يورث العداوة بينهم. وأعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك، وكن من الأئمة الممدوحين في القرآن إذ يقول الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (١)

الجيش المسلم يصل فلسطين

وصل الجيش إلى أرض فلسطين، فلما نزلوا جمع عمرو بن العاص المسلمين المهاجرين والأنصار وكان قد علم بتجمع الروم بجيش كبير وشاورهم فأقبل عليهم عدي بن عامر يخبرهم باجتماع جيش العدو وأنهم أزيد عن مائة ألف فارس. فجلس عمرو للمشورة، فخاف البعض واقترحوا العودة، فقال رجل من المهاجرين: «لقد كنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام نهزم الجمع الكثير بالجمع القليل، وقد وعدكم الله النصر، وما وعد الصابرين إلا خيرًا». فقال

^{١٢٢} ص ١٤ - كتاب فتوح الشام - وصية الصديق لعمرو بن العاص

سهل بن عمرو: «أما أنا فلا رجعت عن قتال الكفرة، ولا رددت سيفي عنهم، فمن شاء فلينهض ومن شاء فليرجع، ومن نكص على عقبيه، فأنا وراءه بالمرصاد». فقام عمرو بن العاص بعقد الراية وأعطاهما عبد الله بن عمر بن الخطاب، وضم إليه ألف فارس فيهم رجال من الطائف ومن ثقيف وأمرهم بالمسير للقاء جيش الروم، والتقى بطليعة من جيش الروم، وانهزم الروم، فرجع المسلمون واجتمع بعضهم على بعض وجمعوا الغنائم والأموال، وقُتل من المسلمين سبعة نفر فواروهم وصلى عليهم ابن عمر وانعطف الجيش إلى عمرو بن العاص. وفي اليوم التالي تجمع الروم في عشرة آلاف فارس، وأقبل عمرو ورتب أصحابه وجعل في الميمنة الضحاك بن قيس الفهري، وفي الميسرة سعيد بن خالد، وأقام على الساقة أبا الدرداء وعمرو على القلب ومعه أهل مكة وأمر الناس يقرأون القرآن، وثبت الروم في المعركة، وقُتل من

المسلمين مائة وثلاثون رجلاً، يروي الواقدي عن ابن عمر قوله: «فقتلنا في هذه الواقعة قريباً من خمسة عشر ألف فارس وأكثر، ولم نزل في آثارهم إلى الليل وعمرو بن العاص قد فرح بالنصر». وانتصر المسلمون، وندب عمرو الناس إلى الصلاة، فصلى ما فاتته كل صلاة بأذان وإقامة (١)

وسميت هذه المعركة بـ «يوم فلسطين»

١٢٣ - كتاب فتوح الشام - الواقدي ص ١٦



مكان المعركة

قرية داثن أو دميثة وهي مكان يبعد عن غزة ١٩ كيلاً، عندها أوقع المسلمون بالروم ، وكانت أول حرب بينهم حدثت زمن أبي بكر، أرسل لها عمرو بن العاص، فوجه إليهم هرقل أخاه ثيودوروس أو تذارق كما يسميه العرب، وجرى اللقاء عند داثن، أو الدائنة في أواخر عام ١٢هـ، وهي قرية قديمة كانت عامرة بعهد اليونان الوثنيين قرب دير الداروم، ثم خربت ودمرت بتوالي معارك الحروب عندها، وصارت تعرف بخربة دميثة، ثم حرفت إلى دميثة باتاء بدل الثاء، وهاجر منها أهلها في القرون الأخيرة إلى غزة، ذكرها ياقوت الحموي .

الفتوحات في فلسطين

ثم قام عمرو بن العاص ببعض الغارات المحدودة ضد القبائل العربية النازلة في النقب، وحقق عليها انتصاراً كبيراً في موقع العربات ، ثم بدأ عمرو بن العاص بفتح معظم مدن فلسطين، ففتح غزة وسبسطية ونابلس واللد ويبنى وعمواس وبيت جبرين ويافا ورفح، وكان يُعطي السكان الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم مقابل الجزية والخراج، وعقد معهم معاهدات نص بعضها على إخلاء

بعض المواقع والمنازل ليقيم بها الفاتحون، أو لإقامة أماكن عبادة، ثم عمل عمرو بن العاص على فتح بقية مدن فلسطين، التي لم تكن قد فتحت بعد، ومن أهمها

قيسارية التي حاصرها عمرو مرات عدة، وكان ينسحب منها حين يجد أن لا جدوى من ذلك، حتى تم فتحها على يد معاوية بن أبي سفيان الذي ظل مقيماً عليها حتى فتحها سنة ١٩هـ/٦٤٠م، ثم فتح عسقلان صلحاً سنة ٢٣هـ/٦٤٤م، فتم بذلك فتح فلسطين بكاملها.

ثم كتب عمرو إلى أبي عبيدة كتاباً يقول فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن العاص إلى أمين الأمة، أما بعد فإنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد عليهم السلام، وإني قد وصلت إلى أرض فلسطين، ولقينا عساكر الروم مع بطريق يقال له روبيس: في مائة ألف فارس فَمَنَّ الله بالنصر وقُتِل من الروم خمسة عشر ألف فارس، وفتح الله على يدي فلسطين بعد أن قُتِل من المسلمين مائة وثلاثون رجلاً فإن احتجت إلى سرت إليك والسلام عليك

ورحمة الله وبركاته». ودفع الكتاب إلى أبي عامر الدوسي، وكتب أبو عبيدة: «بسم الله الرحمن الرحيم إنما أنت مأثور فإن كان أبو بكر أمرك أن تكون معنا فسر إلينا، وأن كان أمرك بالثبات في موضعك فاثبت.» وطوى الكتاب وسلمه إلى خالد بن سعيد بن العاص. وسار مع أبي عامر إلى أن أتيا إلى جيش عمرو بن العاص. وكتب عمرو كتاباً إلى أبي بكر الصديق وذكر له ما جرى مع الروم، وبعث الكتاب مع أبي عامر الدوسي

بعد هذا النصر المبين للمسلمين كتب الروم في الشام إلى هرقل فأمر هرقل بخروج

الجيش الروماني في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف، فبعث إلى عمرو بن العاص أخاه لأبويه تذارق في تسعين ألفاً وكانت الغلبة للمسلمين والله الفضل، كما بعث أيضاً بجيوش لملاقاة الجيوش المسلمة الأخرى

مدينة بصرى الشام أول مدينة فُتحت في الشام

تجمعت الجيوش كلها تحت قيادة خالد بن الوليد، وحاصر بصرى حصاراً شديداً واضطرت إلى طلب الصلح ودفع الجزية، فأجابها خالد إلى الصلح وفتحها الله على المسلمين في (٢٥ من شهر ربيع

الأول ١٣ هـ = ٣٠ من مايو ٦٣٤ م)، فكانت أول مدينة فُتحت من الشام صلحاً على أن يؤمنوا على دمائهم وأموالهم وأولادهم، نظير الجزية التي سيدفعونها



مدينة بصرى الأثرية

مدينة بصرى الشام تُعرف باسم بُصرى، وهي إحدى المدن التاريخية التابعة لمحافظة درعا السورية، بحيث تبعد عن مركز مدينة درعا حوالي أربعين كيلومتراً، وعن العاصمة دمشق حوالي مئة وأربعين كيلومتراً، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي ثمانمائة وثمانين متر.

معركة أجنادين جنوب فلسطين بعد معركة بصرى

وكانت بين المسلمين والبيزنطيين سنة (١٣ هـ = ٦٣٤ م) ٦٣٤ م. ووقعت في أرض فلسطين على مقربة من مدينة الرملة حيث عسكر المسلمون في قرية عجور شمال غرب مدينة الخليل، في حين عسكر جيش الروم في قرية بيت جبرين منتظرين تجميع الجيوش القادمة للمؤازرة

وتعتبر معركة أجنادين أول لقاء كبير كان بين جيوش الخلافة الراشدة والروم البيزنطيين

فبعد أن انكسر الروم في معركم بصرى الشام تجمعوا خوفاً على الشام من الضياع فجّهزوا جيشاً ضخماً، وتوجه إلى أجنادين من جنوب فلسطين، وانضم إليه نصارى العرب والشام

وتجمعت الجيوش الإسلامية مرة أخرى عند أجنادين، وهي موضع يبعد عن «بيت جبرين» بحوالي أحد عشر كيلو مترًا، وعن الرملة حوالي تسع وثلاثين كيلو مترًا، وكانت الملتقى في السهول الشمالية الغربية لقرية دير الدبان والغرب من قرية عجور وحتى قرى تل الصافي وبركوسيا والتي تعتبر ملتقى مهمًا للطرق

كانت القيادة العامة لسيدنا خالد فنظم الجيش فجعل على الميمنة «معاذ بن جبل»، وعلى الميسرة سعيد بن عامر، وعلى المشاة في القلب أبا عبيدة بن الجراح وعلى الخيل «سعيد بن زيد»، وأقبل خالد يمر بين الصفوف لا يستقر في مكان، يحرض الجند على القتال، ويحثهم على الصبر والثبات، ويشد من أزرهم، وأقام النساء خلف الجيش يبهلن إلى الله ويدعونه ويستصرخنه ويستنزلن نصره ومعونته، ويحمسن الرجال

وبعد صلاة الفجر أمر خالد جنوده بالتقدم حتى يقتربوا من جيش الروم، وأقبل على كل جمع من جيشه يقول لهم: " اتقوا الله عباد الله، قاتلوا في الله من كفر بالله ولا تنكصوا على أعقابكم، ولا تهنوا من عدوكم، ولكن أقدموا لإقدام الأسد وأنتم أحرار كرام، فقد أبيتم الدنيا واستوجبتكم على الله ثواب الآخرة، ولا يهولكم ما ترون من كثرتهم فإن الله منزل عليهم رجزه وعقابه، ثم قال: أيها الناس إذا أنا حملت فاحملوا.

وكان خالد بن الوليد يرى تأخير القتال حتى يصلوا الظهر وتهب الرياح، وهي الساعة التي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحب القتال فيها، ولو أدى ذلك أن يقف مدافعًا حتى تحين تلك الساعة)

وأعجب الروم بكثرتهم ودخل في نفوسهم الكبر وغرتهم قوتهم وعتادهم فبادروا بالهجوم على الميمنة؛ حيث معاذ بن جبل، فثبت المسلمون ولم يتزعزع أحد، فأقبل خالد على خيل المسلمين، وقال: احملاو رحمكم الله على اسم الله فحملوا حملة مزقوا صفوف العدو ولله الفضل والمنة

وفي هذه المعركة أبلى المسلمون بلاءً حسنًا، وضربوا أروع الأمثلة في طلب الشهادة، وبرز في هذا اليوم من المسلمين «ضرار بن الأزور»، وكان يومًا مشهودًا له، وبلغ جملة ما قتله من فرسان الروم ثلاثين فارسًا، وقتلت «أم حكيم» الصحابية الجليلة أربعة من الروم بعمود خيمتها واستشهد من المسلمين ٤٥٠ شهيدًا

وبلغ قتلى الروم في هذه المعركة أعدادًا هائلة تجاوزت الآلاف، وأرسل خالد إلى سيدنا أبو بكر بالبشري قائلا: (أما بعد فإني أخبرك أيها الصديق إنا التقينا نحن والمشرّكين، وقد جمعوا لنا جموعا جمة كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صلهم، ونشروا كتمهم، وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يفنون أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله، فطاعناهم بالرماح، ثم صرنا إلى السيوف، فقارعناهم في كل فج.. فأحمد الله على إعزاز دينه وإذلال عدوه وحسن الصنيع لأوليائه؛ فلما قرأ أبو بكر الرسالة فرح بها، وقال: "الحمد لله الذي نصر المسلمين، وأقر عيني بذلك (١)



فتح غزة علي يد سيدنا عمر بن العاص

وغزة مدينة ساحلية فلسطينية، في الطرف الجنوبي للساحل الشرقي من البحر المتوسط. تبعد عن مدينة القدس مسافة ٧٨ كم إلى الجنوب الغربي، وتبلغ مساحتها ٥٦ كم٢، من أكثر المدن كثافة بالسكان في العالم

في عام ٦٣٥ سنة ١٣ هـ حاصر المسلمون غزة وفتحها جيش الخلفاء الراشدين تحت قيادة عمرو بن العاص بعد معركة أجنادين، وقام بتحويل بعض الكنائس إلى مساجد، بما في ذلك المسجد الكبير الحالي في قطاع غزة (الأقدم في المدينة)، كما أن عددا كبيرة من السكان دخلوا الإسلام، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية

^{١٢٤} فتوح الشام للواقدي ج ١ ص ٦٠، ٦



عمرو بن العاص وحصار أرض بيسان

وبيسان من أقدم مدن فلسطين، على بعد ٨٣ كم شمال شرق القدس. فخرج إليهم عمرو بن العاص فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم صالحوهم على مثل ما صالحوا عليه دمشق، وضرب عليهم الجزية، والخراج على أراضيهم (١)



^{١٢٥} البداية والنهاية، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وقعة فحل، الجزء رقم ٩ ص ٥٩١

وتقع مدينة بيسان في الجزء الشمالي من فلسطين المحتلة جنوب شرق مدينة الناصرة، شرق مدينة جنين وغرب نهر الأردن. وبالتحديد في المنطقة التي تصل غور الأردن بمرج ابن عامر، ويعتبر سهل بيسان حلقة الوصل بين وادي الأردن شرقاً ومرج ابن عامر غرباً. وتحتوي المدينة على آثار هامة تدل على أهميتها ومكانتها العظيمة



نخل مدينة بيسان الذي ذكر في حديث الدجال

عمرو بن العاص يفتح نابلس

في عام ١٦ هـ ٦٣٨ م فتح المسلمون نابلس بقيادة عمرو بن العاص ، وقد تعهد المسلمون بحماية من بقي من أهلها على دينه من النصارى على أن يدفعوا الجزية عن رقابهم والخراج عن أراضيهم (١) أصبحت نابلس بعد الفتح الإسلامي مدينة من مدن جند فلسطين الذي كانت عاصمته اللد ثم الرملة



نابلس إحدى أكبر المدن الفلسطينية سكاناً وأهمها موقعاً. وهي مقر أكبر الجامعات الفلسطينية. تعتبر نابلس مركزاً لشمال الضفة الغربية إضافةً إلى كونها عاصمة لمحافظة نابلس التي تضم ٥٦ قرية ويُقدر عدد سكانها بقرابة ٣٨٨,٣٢١ نسمة حسب إحصاءات عام ٢٠١٧. تُعرف أيضاً بأسماء جبل النار ودمشق الصغرى وعش العلماء وملكة فلسطين غير المتوجة.

وهكذا توالى الأحداث والفتوحات في أرض فلسطين

عن بقية بن الوليد عن مشايخ من أهل العلم، قالوا: كانت أول وقعة واقعتها المسلمون الروم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أرض فلسطين، وعلى الناس عمرو بن العاصي، ثم أن عمرو بن العاصي فتح غزة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، ثم فتح بعد ذلك سبسطية ونابلس على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنزلهم وعلى أن الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم، ثم فتح مدينة لد وأرضها ثم فتح يبنى وعمواس ويبت جبرين واتخذ بها ضيعة تدعى عجلان باسم

^{١٢٦} البلاذري. فتوح البلدان. ص ١٤٤

مولى له، وفتح يافا ويقال فتحها معاوية، وفتح عمرو رفح على مثل ذلك. وقدم عليه أبو عبيدة بعد أن فتح قنسرين ونواحيها وذلك في سنة ست عشرة (١)



معركة اليرموك الطريق إلى بيت المقدس

تمركز البيزنطيون في شمال فلسطين، فأقام المسلمون معسكرهم في الجابية بالجولان على نهر الرقاد، وتمركزت جيوشهم على طول وادي اليرموك، وكانت معركة اليرموك في رجب سنة ١٥هـ/ آب ٦٣٦م وتعتبر أهم المعارك في تاريخ المسلمين والعالم لأنها كانت بداية لأول موجة انتصارات للمسلمين خارج الجزيرة العربية.

وتعد معركة اليرموك الطريق المؤدي إلى فتح بيت المقدس وفتح بلاد الشام جميعاً ومصر وشمال أفريقيا وغيرها، والسبب لأن هذه المعركة كان فيها الانكسار الحقيقي والكبير للجيش المشرك المتمثل في أقوى إمبراطورية في الأرض يومئذ الإمبراطورية البيزنطية: حيث تحرك القادة الأربعة السابق ذكرهم بجيوشهم، فلما دخلوا جنوب الشام، وجدوا جيشاً رومياً، قوامه نحو (٢٥٠) ألف جندي، بقيادة «تذراق» أخو هرقل»، يساندتهم نحو ستين ألفاً من العرب - تقريباً - بقيادة «جبله بن الأيهم

^{١٢٧} البلاذري فتوح البلدان. بيروت - لبنان: مكتبة الهلال.. ص ١٤١

الغساني»، فلم يستطيعوا الالتحام مع هذه الجموع الحاشدة، فدارت بينهم مراسلات تجمعوا بعدها في وادي (١)

فيكون مجموع جيش الروم ما يزيد علي ٣١٠ ألف ٢٥٠ ألف من الروم بالإضافة إلى ٦٠ ألف من العرب

وجميع هذه الجيوش كانت تحت قيادة «أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم وعندما عجزت هذه الجيوش عن مقاتلة الروم بهذه الإمكانيات الضعيفة ، طلبوا المدد من خليفة المسلمين، فارسل سيدنا أبو بكر رضي الله عنهم إلى سيدنا خالد طالبا منه أن يتحرك بنصف الجيش الموجود معه في العراق ويترك النصف الآخر مع سيدنا المثني بن حارثة الشيباني وقال سيدنا أبو بكر المقولة المشهورة: «والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد»، ثم كتب رسالة إلى سيدنا خالد أما بعد فإذا جاءك كتابي هذا، فدع العراق، وأخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه وامضي متخففاً في أهل القوة من أصحابك الذين قدموا العراق معك من اليمامة، وصحبوك من الطريق، وقدموا عليك من الحجاز، حتى تأتي الشام، فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك.

فخرج «خالد» في سبعة آلاف جندي حيث قطع أكثر من ألف كيلو متر في ثمانية عشر يوماً، في الصحراء حتي وصلوا إلى «وادي اليرموك» فتسلم خالد بن الوليد القيادة من «أبي عبيدة» وخاض المعركة مع الروم.

وهزم الجيش الرومي الذي كان أقوى جيوش العالم، فقتل منهم قرابة مائة وعشرين ألفاً، وما كان من «هرقل» إمبراطور الروم إلا الهروب والانسحاب، وهو يردد ، قائلاً: «السلام عليك يا سوريا، سلاماً لا لقاء بعده، ونعم البلد أنت للعدو وليس للصديق، ولا يدخلك رومي بعد الآن إلا خائفاً، والله الفضل والمنة وقد استشهد من المسلمين قرابة الثلاثة آلاف.

^{١٢٨} الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (١/ ٧٩)



وبعد تولى «عمر بن الخطاب» الخلافة عزل «خالد بن الوليد» من قيادة جيوش الشام، وأعاد «أبا عبيدة بن الجراح» إليها، وجعل «خالدًا» جنديًا تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح

وكانت تعليمات «عمر» رضي الله عنهم لأبي عبيدة بعد «اليرموك»، أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه من قبل في مطلع فتح الشام، حين رتب ذلك «أبو بكر الصديق»، فيسير «أبو عبيدة» ومعه «خالد بن الوليد» إلى «حمص»، و«يزيد بن أبي سفيان» إلى «دمشق»، و«شرحبيل بن حسنة» إلى «الأردن»، و«عمرو بن العاص» إلى «فلسطين»، وكل قائد يكون أميرًا على منطقته التي يفتحها، على أن يكون ذلك بعد أن يشتركوا جميعًا في فتح «دمشق».

عمرو بن العاص أميراً على فلسطين

استخلف سيدنا أبو عبيدة عمرو بن العاص على فلسطين، وبعدما فتح أبو عبيدة حمص، استقر هو في حمص وأرسل خالدًا إلى دمشق ليقوم بها، وكلف عمرو بن العاص أن يقيم في فلسطين. (١)

^{١٢٩} البلاذري فتوح البلدان. بيروت - لبنان: دار ومكتبة الهلال. ص. ١٣٦ - ١٣٧.

فتح بيت المقدس

كانت القدس محتلة زمناً من الفرس أقل من ٩ سنوات وبعد أن حررها هرقل تم تحصين المدينة جداً.

وبعد هزيمة البيزنطيين في اليرموك، أصلح بطريك القدس صفرونيوس دفاعاتها وشدد من حصونها وعندما وصل جيش المسلمين أريحا، جمع صفرونيوس الآثار المقدسة بما في ذلك الصليب المقدس عندهم ، وأرسلها سرا إلى الساحل لأخذها للقسطنطينية. بدأ المسلمون الحصار في شوال ١٥ هـ

وكان على فلسطين قائد رومانيّ دعى (الأرطوبون) أي القائد الكبير الذي يلي الإمبراطور وكان هذا أدهى الروم وأبعدها غوراً وأنكاها فعلاً، وكان قد وضع بالرملة جنداً عظيماً، وبإلياء جنداً عظيماً، وكتب عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنهما، يخبره بذلك، ويستشيريه ويستأمره، فقال عمر كلمته الشهيرة: قد رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب، فانظروا عما تنفج (١)

واجتمع المسلمون، بقيادة عمرو بن العاص حول إيلياء، وضرب سيدنا عمرو على المدينة حصاراً شديداً، وكانت المدينة حصينة ومنيعة، ويصف الواقدي أسوار المدينة بأنها كانت محصنة بالمجانيق والطوارق والسيوف والدرق والجواشن والزرد الفاخرة ويذكر أن القتال بدأ بعد ثلاثة أيام من الحصار، حيث تقدم المسلمون نحو أسوار المدينة فأمطرتهم حاميتها بوابل من السهام والنبال التي كان المسلمون يتلقونها (بدرقهم) وكان القتال يمتد من الصباح إلى غروب الشمس واستمر على هذا المنوال عدة أيام، حتى كان اليوم الحادي عشر إذ أقبل أبو عبيدة على المسلمين ومعه خالد وعبد الرحمن بن أبي بكر، ومعهم فرسان المسلمين وأبطال الموحدين (٢) مما ألقى الجزع في قلوب أهل إيلياء، واستمر الحصار أربعة أشهر، ما من يوم إلا وجرى فيه قتال شديد (والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر (٣) إلى أن يئس الروم من مقاومة حصار المسلمين لمدينتهم، فقرر بطريقهم

^{١٣٠} تاريخ الطبري (٤/٤٣١) راجع فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - ص ٢ - ص ٤٠

^{١٣١} حروب القدس ص ٣٨ .

^{١٣٢} حروب القدس ص ٣٨

(البطريق صفرونيوس) القيام بمحاولة أخيرة، وكتب إلى عمرو بن العاص، قائد جيش المسلمين، رسالة يغريه فيها بفك الحصار نظراً لاستحالة احتلال المدينة (١)

يقول ابن كثير:

وكان الصحابي أبو عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا (فلسطين) يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم، فأخذ بقول علي وترك ما قال عثمان رضي الله عنهم

^{١٣٣} فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب الصلابي - ج ٢ - ص ٤٢

تحرك سيدنا عمر بن الخطاب إلى فلسطين

تحرك سيدنا عمر بالجيش نحو بيت المقدس واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وسار معه العباس ابن عبد المطلب على مقدمته، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة فكف أبو عبيدة فكف عمر ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ويقال إنه لبى (لبيك اللهم لبيك) حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال ضاهيت اليهودية ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو المسجد العمري اليوم ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف رداءه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزيلة لأنها قبلة اليهود، حتى إن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز لتلقى في الصخرة، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهي المكان الذي

كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب فجعلوا يلقون على قبره القمامة فأجل ذلك سمي ذلك الموضع القمامة وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك (١)

كتاب سيدنا ابو عبيدة لأهل بيت المقدس

كان سيدنا أبو عبيدة كتب إلى أهل بيت المقدس يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية

نص كتاب أبي عبيدة إلى أهل إيلياء وفيه: **بسم الله الرحمن الرحيم** من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها . فإننا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله .. فإن أبيتم فأقروا لنا باعطاء الجزية وإن أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حبا للموت منكم للحياة ولشرب الخمر وأكل الخنزير، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله حتى أقتل مقاتلتكم واسبي ذراريكم

^{١٣٤} البداية والنهاية ط إحياء التراث (٦٥ / ٧)

قال الازدي: فخرج أهل إيلياء فقاتلوا المسلمين ساعة، ثم انهزموا ثم قاتلوهم ثم انهزموا إلى داخل حصنهم (١)

أما الواقدي فذكر في فتوح الشام: ولم يزل أبو عبيدة ينازل بيت المقدس أربعة أشهر كاملة وما من يوم إلا ويقاثلهم قتالا شديدا، (ثم طلبوا أن يبعث إلى عمر ليفتحوا له البلد) فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم (٢)

وصول سيدنا عمر رضي الله عنه إلى بيت القدس

وكان وصول عمر رضي الله عنه في ربيع الأول من السنة ١٦ هـ، ووصل إلى فلسطين وكان قد ذهب أولا إلى الجابية، (٣) حيث استقبله أبو عبيدة وخالد بن الوليد الذي كان قد سافر مع مرافقه لاستقباله. وترك عمرو بن العاص قائدا لجيش المسلمين للحصار وعند وصول عمر إلى القدس، تمت كتابة العهدة العمرية. واستسلمت المدينة وأعطيت ضمانات الحرية الكاملة مقابل دفع الجزية. وقد وقع عليها الخليفة عمر نيابة عن المسلمين، وشهدها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان. في أواخر نيسان / أبريل ٦٣٧ م، وأصبحت القدس رسميا للمسلمين

طرد اليهود من بيت المقدس

وقد جاء في شروط العهدة العمرية أن لا يسكن بإيلياء (القدس) أحد من اليهود. وكان في نص العهدة **بسم الله الرحمن الرحيم** هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وتدعي بعض الروايات اليهودية بأن اليهود طلبوا من عمر بن الخطاب السماح لهم باستقدام مائتي عائلة يهودية من مصر للسكن في القدس، ولكن البطريق صفرونيوس عارض ذلك، فسمح عمر بن الخطاب لسبعين عائلة بالحضور من مصر وأسكنهم جنوب الحرم القدسي هذا كذب وباطل فمصر لم تفتح أصلا في وقت دخول عمر القدس الشريف ولم يكن له ولاية عليها

^{١٣٥} الازدي في فتوح الشام ٢٤٣

^{١٣٦} فتوح الواقدي ١ / ٢٢٠

^٢ الجابية في سوريا ويعرف اليوم بتل الجابية ويقع إلى الغرب من مدينة نوى الواقعة بسهل حوران، وقد اتخذ الغساسنة الجابية عاصمة لهم

في جنوب سوريا، وفيها عقد عمر بن الخطاب مؤتمر الجابية بعد معركة اليرموك

رفض عمر الصلاة في كنيسة القيامة

عندما خطب عمر في أهل بيت المقدس قائلاً: «يا أهل إيلياء لكم ما لنا وعليكم ما علينا.» ثم دعاه البطريك صفرونيوس لتفقد كنيسة القيامة، فلبى عمر دعوته، وأدركته الصلاة وهو فيها فالتفت إلى البطريك وقال له: «أين أصلي؟ فقال "مكانك صل" فقال: ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة فيأتي المسلمون من بعدي ويقولون هنا صلى عمر وبينون عليه مسجداً وابتعد عنها رمية حجر وفرش عباءته وصلى وجاء المسلمون من بعده وبنوا في ذلك المكان مسجداً سمي بمسجد عمر

نص العهد العمرية كاملة لأهل إيلياء

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تقدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بما من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة (١)

تواضع سيدنا عمر بن الخطاب

كان من تواضع سيدنا عمر رضي الله عنه التناوب على يعيره مع خادمه فكانت نوبة عمر المشي حين وصولهم إلى القدس ولم يرض عمر أن يركب بدلا عن خادمه مع طلب الخادم ذلك ولم يأبه لتلك الوجاهات المزيفة فدخلها ماشيا فكان ذلك من العلامات التي زعم البطريق أنها تكون فيمن يستلم المفاتيح فأخذها عمر وصلى في بيت المقدس واتخذ مسجدا كما كان ولم يصل في مسجد الصخرة رغم مشورة بعضهم له بذلك ثم عقد الصلح مع أهلها وكتب بذلك الشروط المشهورة، والمعروفة إلى اليوم بالشروط العمرية (١)

المسجد العمري

هو مسجد أثري، يعود تاريخه إلى عهد الخلافة الراشدة في فلسطين، حيث سُمي نسبةً إلى الخليفة عمر بن الخطاب. يقع داخل أسوار البلدة القديمة لمدينة القدس، في السور الجنوبي للمسجد الأقصى أي شرقي المصلى القبلي في حارة المغاربة. أُدخلت على المسجد إصلاحات في العهد الأموي، وتحديدًا عصر عبد الملك بن مروان، وله مأذنة يبلغ ارتفاعها ١٥ متر

وكان عبارة عن مبنى خشبي مستطيل الشكل يتسع لحوالي ألف مصلي ويتوسطه محراب يقع على نفس الخط مع قبة السلسلة ليدل على أن عمر بن الخطاب هو من أمر بوضعه في هذا المكان اقتطع جزء من المصلى ليكون غرفة عيادة طبية (٢) و مسجد عمر، لا يزال قائماً بجانب كنيسة القيامة

١٤٠ الموسوعة التاريخية - الدرر السنينة (١/ ١٣٦)، بترقيم الشاملة آليا)
١٤١ موقع جمعية الأقصى صورة ومعلومة



مفاتيح القدس



وبعد أن تسلم الخليفة عمر بن الخطاب مفاتيح القدس من القساوسة وعلي رأسهم رئيس أساقفة القدس صفرونيوس، سلم المفاتيح إلى عبد الله ابن الصحابية المعروفة نسيبة بنت كعب رضي الله عنها، وكان مع من دخل القدس من الصحابة والتابعين وكان معه الصحابي معاذ بن جبل، وغيرهم من الصحابة وأيضا أحوال الرسول من أبناء سلمى من بني النجار وهي إحدى قبائل الأوس والخزرج واستمرت المفاتيح معه ومع أهل بيته وذريته من بعده وآل نسيبة وإلى الآن لهم وجود في بلاد الشام ومنهم الدكتور سري نسيبة، أستاذ الفلسفة ورئيس جامعة القدس في القدس الشريف.

أول قاضي للقدس

يعتبر الصحابي الجليل عبادة بن الصامت من الصحابة الذين استقروا في القدس بعد الفتح الاسلامي ، وقد عينه الخليفة عمر بن الخطاب قاضيا علي القدس ولقد ذهب الامام الأوزاعي أن عبادة أول من ولي



قضاء فلسطين.

قال محمد بن كعب القرظي: «جمع القرآن في زمن النبي عليه الصلاة والسلام خمسة من الأنصار: معاذ وعبادة وأبي وأبو أيوب وأبو الدرداء وفي خلافة سيدنا عمر بن الخطاب، كتب يزيد بن أبي سفيان إليه: «إن أهل الشام كثير، وقد احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم»، فقال: «أعينوني بثلاثة»، فرشحوا سيدنا أبي بن كعب وسيدنا أبو أيوب الأنصاري وسيدنا عبادة بن الصامت فخرج الثلاثة إلى الشام، فقال: «أبدنوا بحمص، فإذا رضيتم منهم، فليخرج واحد إلى دمشق، وآخر إلى فلسطين واستقر عبادة بن الصامت رضي الله عنهم في فلسطين حتي مات بالرملة سنة ٣٤ هـ، وعمره ٧٢ سنة



الإيمان طريق النصر والتمكين

قال الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥، ٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

المتدبر لآيات النصر والتمكين في كتاب الله عز وجل نجد أن النصر والتمكين مقرون دائماً بالإيمان ، فلا نجد آية في كتاب الله تعالى ذكر فيها النصر إلا واقترن بالإيمان .

حتمية النصر ووعده الله عز وجل للذين آمنوا

قال الله عز وجل : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]

وقال تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]

وقال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وقال الله سبحانه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وهذه الصفات لا تكون إلا للمؤمن فالنصر يكون للرسول وللجنة المؤمنة الصابرة

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٧].

والصلاح لا يكون الا بعد إيمان

وقال سبحانه: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤].

وقال سبحانه: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ صُدُورِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ١٤، ١٥].

و شفاء الصدر يكون للمؤمن لأن المؤمن هو من يتألم قلبه لله ولدين الله عز وجل

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين واعتناؤه بأحوالهم حتى أنه جعل من المقاصد الشرعية شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم)

وقال سبحانه: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ * لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١].

وهذا الخطاب ختمه الله عز وجل للقوم المومنين.

وقال سبحانه: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بَنَصَرَ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم: ٤ - ٧].

فالذي يفرح بنصر الله هو المؤمن والمنافق لا يهمه النصر

وقال تعالى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (١٧٣ آل عمران)

وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ { [محمد: - ١١].

فالخطاب أيضا للذين آمنوا

وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ } [الصف: ٧ - ١٤].

قال الله - سبحانه: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [آل عمران: ١٣٩]

وقال: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) [النساء: ١٤١]

وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) [الحج ٣٨] وقال تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [المنافقون: ٨]

صفات الفئة المؤمنة التي تنزل عليها النصر

الإيمان لغة هو التصديق والاطمئنان وشرعا «التصديق الجازم بكل ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله، مع التسليم به والقبول والعمل» وقيل هو تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية)

أركان الإيمان ستة "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورُسُله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره".

كما جاء في حديث جبريل قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، ورُسُله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت. رواه مسلم

قال الله تعالى واصفا الفئة المؤمنة

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة ١١٢)

جاء في تفسير الجلالين: «التائبون» من الشرك والنفاق «العابدون» المخلصون العبادة لله «الحامدون» له على كل حال «السائحون» الصائمون «الراكعون الساجدون» أي المصلون «الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله» لأحكامه بالعمل بها «وبشر المؤمنين» بالجنة.

وقال تعالى

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال ٤)

{وجلّت قلوبهم} أي رقت و فرغت وخافت من الله عز وجل .

عن ابن عباس قوله: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم} قال: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون، ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم} فأدوا فرائضه. {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً} يقول: تصديقاً {وعلى ربهم يتوكلون} يقول: لا يرجون غيره.^(١)

وقال تعالى

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤ / ١١)

هُم عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿
[المؤمنون: ١ - ١١].

علامات الإيمان وطرق النصر

الإخلاص لله تعالى وهو من أول أسباب النصر.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]،

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: (لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ،
وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَاَنْفِرُوا) « مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ».

وَمَعْنَاهُ: لَا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ لِأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لِرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ
الْمَرْضُ، وَفِي رَوَايَةٍ: إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ.) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

تَقْوَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ : وَتَقْوَى اللَّهِ الْإِمْتِنَانُ لِلْوَجِبَاتِ وَاجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّوَجَلَّ: (إِنَّ الْأَرْضَ
لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الأعراف: ١٢٨] ، وَقَالَ: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ) [البقرة: ١٩٤] ، أَي: مَعَهُمُ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ.

الْإِكْتِسَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَكَثْرَةِ الدَّعَاءِ: قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الأنفال: ٤٥] ،

وَقَالَ: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِبْ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ) [الأنفال: ٩] .

الْإِعْتَصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ وَعَدَمُ التَّنَازُعِ وَالتَّفَرُّقِ: قَالَ - سُبْحَانَهُ: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا) [آل عمران: ١٠٣] ، وَحَبْلُ اللَّهِ هُوَ كِتَابُهُ، وَ سُنَّةُ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وقالت تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرصُومٌ) [الصف: ٤]

قال الله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: ٤٦] ، ومعنى ربحكم: أي: نصركم وقوتكم ودولتكم.

موالاة المؤمنين والبراءة من الظالمين: قال الله - عز وجل: (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) [المائدة: ٥٦] ،

وقال - سبحانه: (وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) [هود: ١١٣] ،

إقامة شرع الله تعالى على النفس والأهل وعلى القريب والبعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بقدر ما الاستطاعة، قال - الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد: ٧] ،

وقال: (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [الحج: ٤٠ - ٤١] .

البذل والتضحية بالأنفس والأموال قال - الله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١١١] ،

حب الله وحب رسوله وحب الجهاد في سبيله تعالى قال - سبحانه: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَصُّوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [التوبة: ٢٤] ، وقال - سبحانه: (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) [النساء: ٧٤] ، ويشرون معناها: يبيعون الحياة

الإعداد بما يستطع المسلم من قوة: قال - سبحانه: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ

اللَّهُ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ [الأنفال: ٦٠] ، وكلمة قوة نكرة تشمل كل قوة نستطيع أن يعدها المسلم لنصر الدين

الثبات والصبر: قال - سبحانه: (وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) [آل عمران: ١٢٠]

وقال: (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) [الأنفال: ٦٥] ،

وقال- سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آل عمران: ٢٠٠]

وقال - تعالى: (وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَثَّلَ لَكُمْ رَيْبُكَ الْخُسْفَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) [الأعراف: ١٣٧] .

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يا أيها الناس ، لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) .
صحيح البخاري.

- التوكل على الله: وهو اعتماد القلب على الله وحده وعدم الركون لغيره قال تعالى:- (إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران: ١٦٠] ، وقال تعالى مخاطبا بني اسرائيل (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [المائدة: ٢٣] .

فهذه هي أسباب النصر، فإن أخذنا بها كنا أهلنا للنصر والتمكين وإن تركناها وابتعدنا عنها وعن منهج الله لم نكن للنصر أهلا، ولن يخلف الله وعده ، قال الله - عز وجل: (وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [محمد: ٣٨]

أسباب تسلط الكافرين على المسلمين

وسبب تسلط الكافرين على المسلمين من الممكن أن يكون : ابتلاء واختبار يبتلي الله عز وجل به المسلمين.

قال سبحانه : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ {البقرة: ١٥٥}.

وقال تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ {محمد: ٣١}.

وقد يكون بسبب الذنوب والمعاصي وبعدنا عن منهج الله تعالى، قال سبحانه : وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ {الشورى: ٣٠}.

وكما جاء في الحديث : عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالرِّزْقِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ. (صححه الألباني في صحيح أبي داود)

ومعني إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ بالربا .

ومعني أَذْنَابَ الْبَقَرِ أي ذيل البقر ولأن من يحرق الأرض يكون خلف البقرة ليسوقها .وهي كناية عن الاشتغال عن الجهاد بالحرق، والزراعة

ومعني وَرَضِيتُمْ بِالرِّزْقِ عن الجهاد ومعناه رضيتم بالدنيا عن الآخرة

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) التوبة/٣٨.

أي تكاسلتم عن الجهاد

ومعني سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا أَي عَاقِبَكُمْ اللَّهُ تعالى بالذلة والإهانة

حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ أَي : يستمر هذا الذل عليكم ، حتى الي أمر ربكم

ويكون بسبب حب الدنيا وكراهية الموت

حب الدنيا وكراهية الموت فعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ، قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت. رواه أحمد وأبو داود

لن يخزيك الله أبدا

اعلم أيها الحبيب أن القلب الرحيم، الذي يحمل الخير للناس ويقدم لهم العون والمساعدة، لن يخزيه الله، ولن يتركه أبدا في الدنيا ولا في الآخرة:

عندما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء لأول مرة، رجع النبي عليه الصلاة والسلام إلى السيدة خديجة رضي الله عنها فأخبرها وقال: ((لقد خشيتُ على نفسي))

فقالت له السيدة خديجة رضي الله عنها: "كلًا والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وفي رواية وتؤدي الأمانة

الحديث كما في صحيح البخاري" عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله عليه الصلاة والسلام من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك، فقال اقرأ قال: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال اقرأ قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال { اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم } فرجع بها رسول الله عليه الصلاة والسلام يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها، فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق (ومعنى تحمّل الكل: أي تتحمّل هموم الفقراء والضعفاء والأيتام بالإتفاق عليهم وإعانتهم بالمال، و تكسب المعدوم، أي: تتبرّع بالمال علي معدوم المال، وتقري الضيف معناها: أنك تُكرم الضيوف، ومعنى تُعين على نوائب الحق: أي تُعين الناس علي ما يصيبهم من خير أو شر) فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما

شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله عليه الصلاة والسلام خبر ما رأى، فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله عليهم السلام: أو مخرجي هم قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي))

قال الإمام النووي في شرح مسلم: معنى كلام خديجة رضي الله عنها إنك لا يصيبك مكروه؛ لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم السمائل، وذَكَرَتْ ضرورًا من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الربِّ، وصلَّة الرَّحِمِ تزيد في العمر صحيح الترغيب والترهيب وفي رواية عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والآفات والهلكات." صحيح الحاكم

وهذا ما يؤيده قوله تعالى: ((فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى))

فإذا كان الرجل قد من الله عليه بهذه الصفات فاعلم أنه من المتقين، وأنه في طرق الجنة يسير ويمشي، وأن الله يسره لليسرى، فهذه بشرى عاجلة للمؤمن

وإن حرمها وابتعد عنها، فهو في طريق العسرى وطريق النار نعوذ بالله منها

قال الله تعالى (وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى) [الليل: ١٠-١١]

قال رسول عليهم السلام: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ: {فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى} [الليل: ١٠-١١]

قال الله تعالى (الذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) [محمد: ١٧]

وقال تعالى {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين} العنكبوت: ٦٩

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: تعودوا الخير، فإن الخير بالعادة. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: من يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يُوقه.

قال ابن السماك: من أحب الخير وفق له، ومن كره الشر جنبه.

طريق التأييد من الله تعالى وعدم الخذلان

الطريق الأول - صلة الرحم

ومعنى صلة الرحم: الإحسان إلى الأقارب في القول والفعل، ويدخل في ذلك زيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، ومساعدة المحتاج منهم، والسعي في مصالحهم، وخدمتهم

عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [من سره أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء، فليتنق الله وليصل رحمه]. رواه البزار والحاكم

وعن أبي بكر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه بالعقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم]. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه

الطريق الثاني - صدق الحديث: وقد كان عليه الصلاة والسلام معروفًا في الجاهلية بالصادق الأمين، وقال له قومه: "ما جربنا عليك كذبًا قط"

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بالصدق: فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا...)) البخاري ومسلم

وأنواع الصدق متنوعة منها

الصدق مع الله: وذلك بإخلاص الأعمال كلها لله، والمسلم يخلص في جميع الطاعات بإعطائها حقها وأدائها على الوجه المطلوب منه.

الصدق مع الناس: فلا يكذب في حديثه ويكون الظاهر مثل الباطن في الأقوال والأفعال والا كان منافقا قال رسول الله عليهم السلام: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» البخاري

الصدق مع النفس: فيعترف بعيوبه وأخطائه ويصححها، ولا يخدع نفسه ويغمسها في الشهوات، قال عليهم السلام: «دع ما يُرِيْبُكَ إلى ما لا يُرِيْبُكَ، فإن الكذب ريبة والصدق طمأنينة» (أحمد والترمذي والنسائي)

صدق المعاملة: كصدق البيع والشراء، عن أبي خالد حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليهم السلام: «البَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا؛ فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بَوْرُكٌ لِهَمَّا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» متفق عليه

الطريق الثالث أداء الأمانة:

والأمانة كل حقٍ يجب أدائه وحفظه؛ كالودائع فعندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، الي المدينة، ترك سيدنا علي بن أبي طالب ليُرَدِّدَ الأمانات إلى أهلها

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ﴾ سورة النساء ٥٨

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أربعٌ إذا كن فيك، فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق، وعفة مطعم))؛ (صحيح الجامع: ٨٧٣)

أنواع الأمانة الأمانة لها أنواع كثيرة، منها

الأمانة في العبادة

فيجب علي المسلم أن يؤدي الفروض الشرعية ، كما ينبغي، ويحافظ عليها كالصلاة والصيام وبر الوالدين، وغير ذلك من الفروض التي يجب علينا أن نؤديها لله رب العالمين

الأمانة في حفظ الجوارح

ويجب علي المسلم أيضا أن يحافظ علي جوارحه ، ولا يستعملها فيما يغضب الله؛ فالعين أمانة يجب علي المسلم أن يغيضها عن الحرام، والأذن أمانة يجب عليه أن يجنيها سماع الحرام، واليد أمانة، والرجل أمانة...الخ.

حفظ الودائع

وهي الأمانات وأداؤها لأصحابها عندما يطلبونها كما هي، مثلما فعل الرسول مع المشركين.

الأمانة في العمل

ومن الأمانة أن يؤدي المرء ما عليه على أكمل وجه، فالعامل يتقن عمله ، وكل صاحب حرفة يقوم بعمله بإتقان ، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) صححه الألباني

الطريق الرابع مساعدة الضعيف (وتَحْمِلُ الْكَلِّ):

أي تتحمّل مؤونة الكَلِّ، وهو الضعيف واليتيم وذو العيال، فتُنْفِقُ عليه، وتقوم على حاجته.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا

المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه - ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة - حتى يثبتها له - أثبت الله قدمه يوم نزول الأقدام" - رواه الطبراني : صحيح الترغيب

الطريق الخامس تكسب المعدوم:

أي تعطي المال للمعدوم وهو التبرع بالمال لمن لا يجده من فقراء ومساكين وأيتام عن أبي هريرة قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل (أخرجه البخاري

الطريق السادس تقري الضيف:

والمقصود به الإكرام ، والقري هو ما يُقدَّم للضيف من طعام وشراب، وما يحتاجه حال وجوده عند مضيفه.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه،) " رواه البخاري ومسلم.

الطريق السابع تعين على نوائب الحق:

والنوائب جمع نائبة، وهي الحادثة أو المصيبة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه" - رواه بن ماجه

فهذه طرق سبعة للوصول الي تأييد الله تعالى ، ومن تحلي بها فاز بقول السيدة خديجة رضي الله عنها

لن يخزيك الله أبدا. رزقنا الله وإياكم نصرته ونعوذ بالله من خذلانه

(جوامع الخير وطريق الوصول إليه)

هل تعلم أخي المسلم أن آية واحدة في القرآن الكريم جمعت خصال الخير وأصول الشريعة ؟ قال الله تعالى :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ سورة البقرة: ١٧٧

يقول الطبري رحمه الله " ذكر أن رجلاً سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم عن البر فأنزل الله هذه الآية. وذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا الرجل فتلاها عليه. وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ثم مات على ذلك يرجى له ويطمع له في خير، فأنزل الله: "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب" ^(١)

وجاء رجل إلى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، فقال : ما الإيمان ؟ فقرأ عليه هذه الآية : (ليس البر أن تولوا وجوهكم) حتى فرغ منها ^(٢)

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: فِي تَفْسِيرِ ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ الْآيَةِ، قَالَ: هَذِهِ أَنْوَاعُ الْبِرِّ كُلِّهَا.

قال ابن كثير وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فَإِنَّ مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَدْ دَخَلَ فِي عُرَى الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ الْخَيْرِ كُلِّهِ ^(٣)

وقال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ذلك. فقال بعضهم: معنى ذلك: ليس البر الصلاة وحدها، ولكن البر الخصال التي أبينها لكم.

¹ (تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٣/ ٣٣٨

² رواه ابن مردويه ، وفيه إنقطاع ، والله أعلم

³ (تفسير ابن كثير — ابن كثير (٧٧٤ هـ

قال ابن جريج، وقال مجاهد: "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب"، يعني السجود، ولكن البر ما ثبت في القلب من طاعة الله.^(١)

يقول الامام القرطبي رحمه الله :

هذه الآية العظيمة من أمهات الأحكام؛ لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة، في العقيدة، والأحكام والأخلاق

وقال القرطبي: أيضا " قال علماؤنا: هذه آية عظيمة من أمهات الأحكام؛ لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة: الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته- وقد أتينا عليها في (الكتاب الأسنى)- والنشر والحشر والميزان والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار -وقد أتينا عليها في كتاب (التذكرة)- والملائكة والكتب المنزل وأنها حق من عند الله والنبیین وإنفاق المال فيما يعن من الواجب والمندوب وإيصال القرابة وترك قطعهم وتفقد اليتيم وعدم إهماله والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل -قيل المنقطع به، وقيل: الضيف- والسؤال وفك الرقاب ، والمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهد والصبر في الشدائد. وكل قاعدة من هذه القواعد تحتاج إلى كتاب.^(٢)

تعريف ﴿ البر ﴾

هو كلمة جامعة لكل خصال الخير، الظاهرة والباطنة: من بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى ورد السلام والتواضع والحلم والأناة والرفق والصدق والنصيحة والأمانة والإصلاح والرحمة وبر الوالدين والإيثار وغيرها من الأخلاق الحميدة.

يقول ابن عمر رضي الله عنه " : البر شيء هين : وجه طليق ، وكلام لين

¹ (تفسير الطبري = جامع البيان ت شاکر (٣/ ٣٣٦

² المصدر: الجامع لأحكام القرآن

(منزلة الأبرار)

علي المسلم أن يجتهد حتي يكون من الأبرار فلقد كان من دعاء المؤمنين أن يحشروا مع الأبرار قال تعالى ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ آل عمران ١٩٣

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ سورة: الانفطار (13): وقال تعالى (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) [الانفطار: ١٣ - ١٤] وقال تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّيْنَ (١٨) وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين: ١٨ - ٢٣].

وعن البراء مرفوعا: " إن عليين في السماء السابعة تحت العرش.

فالأبرار هم أصحاب النفوس الزكية والقلوب الطاهرة التي تستحق هذه المنازل العالية الرفيعة

(فوائد البر)

والبر من الأشياء التي تسكن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البر ما سكنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب» صحيح أخرجه أحمد

والبر هو حسن الخلق، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البر حسن الخلق» ((عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس) رواه مسلم

والبر ضد الإثم، و تعريف الإثم هو: ارتكاب المحرم في الشرع من قول وفعل واعتقاد صغيرا كان أو كبيرا قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]

والبر أيضا ضد الفجور: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤،

المعنى الإجمالي للآية الكريمة

أي: ليس البر وكثرة الخير فقط ﴿أَنْ تُؤَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ وأن تتوجهوا بوجوهكم ﴿قَبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، أي: جهة المشرق والمغرب، وإنما البر الحقيقي في هذه الأمور التي ذكرها الله -تبارك وتعالى- في الآية الكريمة من تحقيق الإيمان وأعمال القلب، وأعمال الجوارح، والتعامل الحسن مع الآخرين الطرق التي تؤدي إلى البر - الخ

(طريق الإيمان)

قال تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾

أهل العلم يقولون: الإيمان له مبدأ ومنتهى ووسط، فالمبدأ هو الإيمان بالله، هو الأصل، وهو المقدم على غيره، والمنتهى الإيمان باليوم والقيامة، وما بين ذلك الملائكة .

والإيمان مقدم على أعمال الجوارح كإتاء المال والصلاة والزكاة؛ وذلك أن أعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح

الطريق الأول

تحقيق الإيمان الكامل ويكون بالإيمان بأصوله الستة كما جاء في الآية الكريمة وجاءت في الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» (مسلم)

﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ والإيمان في اللغة: التصديق، والثبات والإيمان بالله هو الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته والإيمان بالله هو أصل أركان الإيمان الستة وأولها وأعظمها،

﴿واليوم الآخر﴾ وهو يوم القيامة وما فيه من البعث والمعاد والحساب، وما فيه من المواقف والأحوال والجنة والنار. وسُمي يوم القيامة بـ«اليوم الآخر»؛ لأنه ليس بعده يوم، فأخر ليلة من الدنيا صبيحتها يوم القيامة وهو الذي يحمل الإنسان على العمل؛

قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: «لولا الإيمان باليوم الآخر لرأيت من الناس غير ما ترى.» (أي لفعل الناس المنكرات)

﴿والملائكة﴾ أي: وأمن وصدق بـ«الملائكة»، والملائكة: جمع «ملك» وهم عالم غيبي خلقهم الله عز وجل من نور، كما قال صلى الله عليه وسلم: «خلق الله الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما ذكر لكم» أي تراب (صحيح مسلم).

﴿والكتاب﴾ «أل» في «الكتاب» اسم جنس يشمل جميع كتب الله عز وجل؛ أي: وأمن وصدق بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من أولها إلى آخرها وأعظمهم القرآن الكريم.

﴿والنبيين﴾، النبيين جمع «نبي»، ويدخل فيهم الرسول؛ لأن الرسول أشمل من النبي قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

فيجب الإيمان بجميع النبيين والرسول من أول آدم عليه السلام إلى نبينا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

الطريق الثاني (أعمال الجوارح)

قال تعالى ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾

وعمل الجوارح داخل في أصل الإيمان ويشمل الفعل والترك

قال تعالى ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾ معطوف على ﴿أَمَنَ﴾، ﴿وَأَتَى الْمَالَ﴾، أي: وأعطى المال وهو محباً له، راغباً فيه؛ محتاجاً إليه، كما قال تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

قال تعالى:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر» البخاري

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أن تعطيه وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر. [«ذوي القربى» أصحاب القرابة، لأن حقهم مؤكد، فهم أولى من غيرهم بالصدقة والهدية قال صلى الله عليه وسلم: «إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذوي الرحم اثنتان: صدقة وصلة» (رواه الترمذي).

وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنها وامرأة أخرى سألتا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما، وعلى أيتام في حجورهما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لهما أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة» [صحيح البخاري].

وعندما نزل قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قال أبو طلحة رضي الله عنه: يا رسول الله إن الله أنزل هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، وإن أحب مالي إلي (بيرحاء) وإني أضعها صدقة لله ورسوله، فقال صلى الله عليه وسلم: «بخ بخ ذاك مال رابح، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّه [صحيح البخاري والأولى أن تكون علي الأقرب فالأقرب، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك» [متفق عليه].

﴿واليتامى﴾: أي: وآتى المال وأنفق علي اليتامى، و«اليتامى»: جمع يتيم، ويتيمة؛ مأخوذ من اليتيم وهو الانفراد، وهو من مات أبوه قبل بلوغه ذكراً كان أو أنثى، فإذا بلغ زال عنه اليتيم. [«المساكين» جمع «مسكين» وهو الفقير الذي لا يجد كفايته في الطعام والمسكن والملبس، قال تعالى: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا

مَثَرَتِهِ ﴿[البلد: ١٦]﴾. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه» (الصحيحين)

وقال صلى الله عليه وسلم: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر» [صحيح البخاري].

﴿وابن السبيل﴾ «السبيل»: الطريق، و﴿وابن السبيل﴾ المسافر، وسمي المسافر بابن السبيل لملازمته الطريق، كما يقال ابن الكتب لمن لازم الكتب. ﴿والسائلين﴾: جمع سائل، وهو الذي يطلب من الناس ما يطعمه ويكسبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "للسائل حق وإن جاء على فرس". رواه أبو داود

﴿وفي الرقاب﴾ الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم وهو: العبد المكاتب الذي اتفق مع سيدة علي مبلغ من المال مقابل عتقه ولا يستطيع السداد مثل الغارم والذي عليه ديون لا يستطيع سدادها، ويدخل فيه السجين الذي سجن ظلماً والأسير المسلم

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ إقامة تامة بشروطها وأركانها، وواجباتها وسننها. الطريق الثالث (التعامل الحسن مع الآخرين) ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ معطوف على ﴿من آمن﴾. و قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠] و«العهد» يشمل العهد فيما بينهم وبين الله عز وجل، والعهد وبين المسلمين وغير المسلمين. ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾: أي: في حال البؤس وشدة الفقر، فلا سخط ولا جزع ﴿والضراء﴾ أي وفي حال المرض والسقم والضرر، قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وهذا لا يحملهم الضرر والمرض على الجزع والتسخط من قضاء الله وقدره.

﴿وحين البأس﴾: أي وقت القتال والجهاد في سبيل الله «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة» وبعد التحلي بهذه الصفات كان المدح لهم من الله تعالى بسبب تمسكهم بهذه الصفات ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وهذه شهادة من الله عز وجل - خير شهادة - علي صدقهم، ؛ لأنها

شهادة رب العالمين- سبحانه وتعالى ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ والتقوى هي سفينة النجاة يوم القيامة وأهلها هم أكرم خلق عز وجل عند عز وجل قال تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]

وأَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بالتعاون على البر والتقوى، فقال سبحانه: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٢]. قال الماوردي - رحمه الله -: (نَدَبَ اللَّهُ - تعالى - إلى التعاون بالبر، وَقَرَنَهُ بالتقوى له؛ لَأَنَّ فِي التقوى رضا الله، وفي البر رضا الناس. وَمَنْ جَمَعَ بين رضا الله ورضا الناس فقد تَمَّتْ سعادته، وَعَمَّتْ نِعْمَتُهُ^(١))

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: "أولئك الذين صدقوا"، من آمن بالله واليوم الآخر، ونعتهم النعت الذي نعتهم به في هذه الآية. يقول: فمن فعل هذه الأشياء، فهم الذين صدقوا الله في إيمانهم، وحققوا قولهم بأفعالهم - لا من ولى وجهه قبل المشرق والمغرب وهو يخالف الله في أمره، وينقض عهده وميثاقه، ويكتم الناس بيان ما أمره الله ببيانه، ويكذب رسله.^(٢)

رزقنا الله عز وجل البر والتقوى وجعلنا عز وجل من الأبرار

^١ (تفسير القرطبي، ٤٧ / ٦)

^٢ (تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر ٣٥٦ / ٣)

مناسبات

من فضائل يوم الجمعة

قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» الآية ٥٦ سورة الأحزاب،

قد جاء في أحاديث كثيرة بيان فضيلة هذا اليوم؛ حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها» [صحيح مسلم،

ويوم الجمعة هو سيد الأيام وأعظمها عند الله، وقد تميز بخصال وخلال ليست في غيره، ومن خصاله أن يوم الجمعة من أعظم الأيام عند الله تعالى، وقد جاء في الحديث عن أبي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الْأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ، فِيهِ حَفَسُ خِلَالٍ، خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَقَّى اللَّهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا سَمَاءٍ، وَلَا أَرْضٍ، وَلَا رِيَّاحٍ، وَلَا جِبَالٍ، وَلَا بَحْرٍ، إِلَّا وَهْنٌ يُشْفِقَنَّ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ (ابن ماجه)

يقول العز بن عبد السلام: «ليست صلاتنا على النبي -صلى الله عليه وسلم- شفاعة منا له، فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا، فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء .

والصلاة على النبي لقضاء الحوائج، قال أبي بن كعب: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك. فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: "ما شئت". قال: قلت: الربع؟ قال: "ما شئت. فإن زدت فهو خير لك". قلت: النصف؟ قال: "ما شئت. فإن زدت فهو خير لك". قال: قلت: الفالثلثين؟ قال: "ما شئت. فإن زدت فهو خير لك". قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: "إذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك". رواه الترمذي والحاكم وصحاحه.

وفي رواية

روى الترمذي في سننه عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء

الموت بما فيه، قال أبي: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي، فقال: ما شئت، قال: قلت: الربع، قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف، قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قال: قلت: فالثلثين، قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك. قال: أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، قال الترمذي: حسن صحيح، قال: في تحفة الأحوذى: يعني إذا صرفت جميع أزمان دعائك في الصلاة علي أعطيت مرام الدنيا والآخرة. انتهى.

ومن ذلك أيضاً ما رواه أبو داود وغيره، عن أوس بن أوس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، قال: فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت، قال: يقولون: بليت، قال: إن الله تبارك وتعالى حرم على الأرض أجساد الأنبياء صلى الله عليهم.

، عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة.. فيه خلق آدم عليه السلام.. وفيه قبض.. وفيه النفخة.. وفيه الصعقة. فأكثروا علي من الصلاة فيه. فإن صلاتكم معروضة علي.." قالوا: يا رسول الله وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ - يعني: بليت - قال: "إن الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام"، رواه أحمد وأبو داود، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم..

وقد ورد في ذلك حديث مرفوعاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من صلى علي في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة" أخرجه ابن شاهين في الترغيب والضيء في الأحاديث المختارة.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي.. فليقل عبد من ذلك أو ليكثر" رواه ابن ماجه وأحمد وحسنه المنذري وابن حجر.

يقول الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين رضي الله عنهما: "علامة أهل السنة: كثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.." رواه أبو القاسم التيمي في "الترغيب والترهيب"..

أفضل صبيغ الصلاة على النبي

الصيغة الإبراهيمية: **اللهم** صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، **اللهم** بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، **اللهم** ترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، **اللهم** تحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، **اللهم** سلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم ورضي **الله** عن الصحابة أجمعين.

الصيغة الثانية: **اللهم** صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، **اللهم** بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

الصيغة الثالثة: **اللهم** صلي على عبدك وحيبيك ورسولك محمد **صلى الله عليه وسلم** كما صليت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وفي تفسير قوله تعالى

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب/ ٥٦).

قال ابن كثير رحمه الله: المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً.

وقال ابن القيم - رحمه الله - في "جلاء الأفهام": والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسول الله فصلوا أنتم أيضاً عليه، فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليماً؛ لما نالكم ببركة رسالته ويؤمن سفارته، من خير شرف الدنيا والآخرة.

ومعنى الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - : قال أبو العالية : صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء .

وقال ابن عباس : يصلون يباركون .

قال ابن القيم - رحمه الله - : الصلاة المأمور بها فيها أي في الآية المتقدمة هي الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته ، وهي ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه .

وقد ذكر العلماء فوائد جلية فيفضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ منها .

١ - أنها امتثال لأمر الله - سبحانه - الذي أمر بالصلاة والسلام عليه بقوله : " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) سورة الأحزاب .

٢ - أنها ترفع درجات المصلي في الجنة ، وتكفر ذنوبه وسيئاته .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه عشر صلواتٍ ، وحُطَّتْ عنه عشر خطيئاتٍ ، وُرِفَعَتْ له عشر درجاتٍ»
([النسائي: ١٢٩٦] ، وصححه الألباني في [صحيح الترغيب: ١٦٥٧])

٣ - أنها سببٌ لكفاية هموم العبد وإن عظمت .

فعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا رسول الله إني أُكثِرُ الصلاةَ عليك فكم أجعلُ لك من صلاتي فقال ما شئتُ قال قلتُ الربعُ قال ما شئتُ فإن زدتَ فهو خيرٌ لك قلتُ النصفَ قال ما شئتُ فإن زدتَ فهو خيرٌ لك قلتُ ما شئتُ قال قلتُ فالثلثينِ قال ما شئتُ فإن زدتَ فهو خيرٌ لك قلتُ أجعلُ لك صلاتي كلها قال : إِذَا تُكْفِيَ هَمَّكَ وَيَغْفِرَ لَكَ ذَنْبُكَ» (الترمذي: ٢٤٥٧)

٤ - أنها أداءٌ لبعض حقوقه الكثيرة على أمته ، فأعظم خير وصلنا على يديه ، فمن أبسط حقوقه كثرة الصلاة والثناء عليه .

٥- أَنَّهَا سَبَبٌ لِنَيْلِ شَفَاعَتِهِ .

فمن : " صلى عليه عشراً إذا أصبح ، وعشراً إذا أمسى فاز بشفاعته " رواه الطبراني بسند جيد .

وفي الحديث الحسن : (من صلى على محمد ، وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة ، وجبت له شفاعتي) رواه أحمد .

٦- أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى عَلَيْهِ ، صَلَّى وَآتَى عَلَيْهِ رَبُّهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَكَلِمَا زَادَ الْعَبْدُ صَلَاةً زَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ ثَنَاءً

٧- أَنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِهِ ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ صَلَاةً عَلَيْهِ ، فَأَكْثَرُ مِنْهَا لَتَفُوزَ بِهِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " أَوَّلَى النَّاسِ بِیَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً " رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

٨- إِنَّ صَلَاةَ الْعَبْدِ وَسَلَامَهُ تُعْرَضُ عَلَى نَبِيِّهِ فِي قَبْرِهِ .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ أَحَدٍ يَسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » ([أبي داود: ٤١: ٢٠] وصححه الألباني في [صحيح الجامع: ٥٦٧٩]) ، وَإِذَا صَلَّى عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ " قَالَ الْمَلَكُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ فُلَانًا بَنَ فُلَانًا صَلَّى عَلَيْكَ السَّاعَةَ " وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِي فِي "السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ" (١٥٣٠) .

٩- أَنَّهَا سَبَبٌ فِي اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، فَيَنْبَغِي لِمَنْ يَدْعُو رَبَّهُ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِهِ وَنَهَائِهِ .

فعن فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه قال : « سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَلَ هَذَا ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لغيرِهِ إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ » (الترمذي: ٣٤٤٧) .

١٠- أَنَّهَا مِنْ عِلَامَاتِ تَوْفِيقِهِ ﷺ وَمِنْ دَلَائِلِ الْإِيمَانِ ، وَمِنْ بَرَاهِينِ الْمَحَبَةِ (خصوصاً إذا أكثر العبد منها)

قال الله تعالى : {لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح: ٩]

١١- أنها سبب لطيب المجالس ، وأن لا تعود حسرة على أهلها يوم القيامة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أن النبي صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا قَوْمٍ جَلَسُوا، فَأَطَالُوا الْجُلُوسَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى، أَوْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِ كَانَتْ عَلَيْهِمْ تَرَةً مِنَ اللَّهِ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ» (صححه الألباني في [صحيح الجامع: ٢٧٣٨])

١٢ - أنها سبب للثبات على الصراط .

ففي الحديث: (ورأيت رجلاً من أمّتي يزحفُ على الصِّراطِ ، يحبو أحياناً ويتعلّقُ أحياناً ، فجاءتهُ صلاتُهُ عليّ فأقامتهُ على قدميه وأنقذتهُ) قال ابن تيمية وشواهد السُّنة تدل عليه .

١٣ - أن الله يُخرج المصلي على نبيه من الظلمات إلى النور .

قال سبحانه : " هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) " وفي الحديث :

" مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا " رواه مسلم .

١٤ - أنها سبب لإبقاء الذكر الحسن للعبد ، لأن المصلي يطلب من الله الثناء على نبيه ، فيجزيه الله من جنس عمله . ذكره ابن القيم .

١٥ - أنها سبب لدوام محبته وزيادتها وتضاعفها لأن العبد كلما أكثر من ذكر محبوبه تضاعف حبه في قلبه (ولا أعظم حباً ولا أنفع من حبه ﷺ) . (١)

وأخرج أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: صلوا علي فإنها زكاة لكم، وسلوا لي الوسيلة من الجنة.

(١) صيد الفوائد عادل بن عبدالعزيز المحلاوي

وعن عبد الرحمن بن عوف : قلت يا رسول الله ، سجدت سجدة خشيت أن يكون الله قد قبض روحك فيها . فقال : إن جبريل أتاني فبشرني أن الله عز وجل يقول لك : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه . فسجدت لله شكراً . رواه أحمد وغيره .

وعن أوس الثقفي رضي الله عنه قال : من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه قبض ، وفيه النفخة وفيه الصعقة . فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي . رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وصححه .

قال ابن كثير في تفسيره : وحكى بعضهم أنه إنما تجب الصلاة عليه **صلى الله عليه وسلم** في العمر مرة واحدة امتثالاً لأمر الآية ، ثم هي مستحبة في كل حال . وهذا هو الذي نصره عياض بعدما حكى الإجماع على وجوب الصلاة عليه **صلى الله عليه وسلم** في الجملة .

بعض ما جاء في فضل الأيام العشرة

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

وبعد

فمن المعلوم أن الأيام الأول من شهر ذي الحجة هي أفضل الأيام عند الله تعالى، وأن العمل الصالح فيها أفضل من العمل الصالح في سائر أيام السنة،

كما هو ثابت في سنة رسولنا ﷺ وما نقل عن الصحابة والتابعين، وإن كان في بعضها مقال ولكنه يعمل به في فضائل الأعمال بإجماع المحدثين بشروطه المعروفة

قال الله تعالى: {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} [الحج: ٢٨]؛ و الأيّام المعلومات هي أيّام العشر عند جمهور العلماء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: الأيام المعلومات: أيام العشر

«وروي مثله عن أبي موسى الأشعري ومجاهد وقتادة وعطاء وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وعطاء الخراساني وإبراهيم النخعي، وهو مذهب الشافعي والمشهور عن أحمد بن حنبل.»^(١)

وعن قتادة: قال {في أيام معلومات}. قال: أيام العشر، والمعدودات أيام التشريق.^(٢)

ورواه مجاهد عن ابن عمر، وسعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة ومجاهد، وقتادة والشافعي.^(٣)

وقال سبحانه: {والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر} (الفجر: ١-٣)، قال كثير من أهل العلم: إنها عشر ذي الحجة.

(١) «تفسير ابن كثير - ط ابن الجوزي» (٤٠٣/٥):

(٢) تفسير الطبري سورة الحج الآية ٢٨

(٣) «زاد المسير في علم التفسير» (٢٣٣/٣):

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعني أيام العشر - قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء». [أخرجه البخاري وأبو داود وابن ماجه وغيرهم].

وروى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أيام أعظم ولا



أحب إلى الله

العمل فمهن

من هذه الأيام

العشر

فأكثرُوا فيها

من التَّهْلِيلِ

والتَّكْبِيرِ

والتَّحْمِيدِ».

وروى ابن

حبان رحمه

الله في

صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الأيام يوم عرفة».

وقال ﷺ: («صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ») [صحيح ابن حبان].

و في حديث عائشة رضي الله عنها: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء ؟) رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم: (أعظم الأيام عند الله تعالى، يوم النحر، ثم يوم القرّ) رواه أبو داود. ويوم القرّ: هو اليوم الذي يلي يوم النحر، أي اليوم الحادي عشر من ذي الحجة، لأن الناس يستقرون فيه بمنى فسمي يوم القرّ أي الاستقرار



عن ابن المُسَيَّب، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال: "ما مِن أَيَّامٍ أَحَبُّ إلى اللَّهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ؛ يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا سَنَةً، وَكُلُّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ"^(١).

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ؛ اجْتَهَدَ اجْتِهَادًا حَتَّى مَا يَكَادُ يُقَدِّرُ عَلَيْهِ. وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَا تُطْفِئُوا سِرْجَكُمْ لِيَالِي الْعَشْرِ؛ تُعْجِبُهُ الْعِبَادَةُ.

يقول الإمام الأوزاعي رحمه الله: "بلغني أن العمل في اليوم من أيام العشر كقدر غزوة في سبيل الله؛ يصام نهارها ويحرس ليلها إلا أن يختص امرؤ بشهادة".

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الحسنة في عشر ذي الحجة بسبعمئة ضعف.

يعني الحسنة بسبعمئة حسنة وصفحة القرآن بسبعمئة صفحة قرآن والتسبيحة بسبعمئة تسبيحة وصلاة الضحى بسبعمئة ضحى والمكث في مصلاك من الفجر حتى صلاة الشروق بسبعمئة حجة وعمرة تامة وثواب قراءة صفحة قرآن أعظم من ثواب ختمه قرآن في غير عشر ذي الحجة..

وكذلك صلة الرحم والصدقات وعبادة المريض وغير ذلك من الأعمال الصالحة

^١ خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ رِوَايَةِ: النَّهَّاسِ بْنِ قَهْمٍ، عَنْ قَتَادَةَ، وَالنَّهَّاسُ بْنُ قَهْمٍ ضَعُفُوهُ. وَرَوَاهُ أَيْضًا الْبَيْهَقِيُّ فِي "الشَّعْبِ"

وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ وَغَيْرُهُمْ

ويقول قتادة رحمه الله: صيام يوم في عشر ذي الحجة يعدل عند الله أجر سنة. غير أن صيام يوم عرفة يكفر الله بصيامه ذنوب سنتين،

ويقول بن عمر: العمرة في عشر ذي الحجة أفضل من عمرة رمضان.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان يقال في أيام العشر: بكل يوم ألف يوم ويوم عرفة عشرة آلاف يوم. وعن الحسن البصري أنه قال: صيام يوم من العشر يعدل شهرين.

قال الأوزاعي . كما رواه البيهقي : بلغني أن العمل في اليوم كقدر غزوة في سبيل الله ، يُصام نهارها ويُحرس ليلها ، إلا أن يختصَّ امرؤ بشهادة.

وقال أبو عثمان النهدي: "كانوا يعظمون ثلاث عَشْرَاتٍ؛ العَشْرَ الأخير من رمضان والعَشْرَ الأوَّل من ذي الحجة، والعشر الأوَّل من محرم".

قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله -: "لَمَّا كَانَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قَدْ وَضَعَ فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ حَنِيقًا إِلَى مَشَاهِدَةِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ قَادِرًا عَلَى مَشَاهِدَتِهِ فِي كُلِّ عَامٍ، فَفُرضَ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ الْحَجَّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي عَمْرِهِ، وَجُعِلَ مَوْسَمُ الْعَشْرِ مُشْتَرَكًا بَيْنَ السَّائِرِينَ وَالْقَاعِدِينَ، فَمَنْ عَجَزَ عَنِ الْحَجِّ فِي عَامٍ قَدَرَ فِي الْعَشْرِ عَلَى عَمَلٍ يَعْمَلُهُ فِي بَيْتِهِ، يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْجِهَادِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَجِّ".

ويقول ابن رجب رحمه الله أن مضاعفة حسنات فرائض العشر الأوائل من ذي الحجة أعظم عند الله من مضاعفة حسنات فرائض رمضان وأن مضاعفة حسنات نوافل العشر الأوائل من ذي الحجة أعظم عند الله من مضاعفة حسنات نوافل رمضان.^(١)

وقد كَانَ يَصُومُ الْعَشْرَ عدد كبير من الصحابة والتابعين منهم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ. وَالْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ ، وَقَتَادَةُ وَفَضْلُ صِيَامِهِ قَوْلُ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ

^١ «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (ص ٥٨١ ت عامر):

«وَمِنْ فَضَائِلِهِ أَيْضًا: أَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْأَرْبَعِينَ الَّتِي وَعَدَهَا اللَّهُ [عز وجل] لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ تَعَالَى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) [الأعراف: ١٤٢]. لَكُنْ هَلْ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ خَاتَمَةُ الْأَرْبَعِينَ فَيَكُونُ هُوَ الْعَشْرَ الَّذِي أُتِمَّ بِهِ الثَّلَاثُونَ، أَمْ هُوَ أَوَّلُ الْأَرْبَعِينَ فَيَكُونُ مِنْ جَمَلَةِ الثَّلَاثِينَ الَّتِي أُتِمَّتْ بِعَشْرِ. فِيهِ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْمَفْسِّرِينَ.^(١)

ما يسن فعله

من أعمال

١- الصيام

جاء في الحديث القدسي: "قال الله: كل عمل بني آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به". أخرجه البخاري

وعن هنيذة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان

النبي صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر. أول اثنين من الشهر وخمسين^(٢)

^١ «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (ص ٥٩٦ ت عامر):

^٢ أخرجه النسائي ٢٠٥/٤ وأبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٤٦٢/٢.

وفي سنن أبي داود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم هذا العشر.

وقد كَانَ يَصُومُ العَشرَ عدد كبير من الصحابة والتابعين منهم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ. وَ الْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ ، وَقَتَادَةُ وَفَضْلُ صِيَامِهِ قَوْلُ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ.

ويقول قتادة رحمه الله صيام يوم في عشر ذي الحجة يعدل عند الله أجر سنة. غير أن صيام يوم عرفة يكفر الله بصيامه ذنوب سنتين.

٢- الإكثار من ذكر الله تعالى.

يسن التكبير والتحميد والتهليل والتسبيح أيام العشر. والجهر بذلك في المساجد والمنازل والطرقات وكل الموضع

قال الله تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ الحج/٢٨.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد". وروي من وجه آخر عن مجاهد، عن ابن عمر بنحوه. رواه أحمد وغيره^(١)

وقد ثبت أن ابن عمر وأبا هريرة رضي الله عنهما كانا يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

قال البخاري رحمه الله: وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى [السوق] في أيام العشر، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

٣- أداء الحج والعمرة

لقول رسول

الله صلى الله

عليه وسلم:

الحج المبرور



(١) «تفسير ابن

ليس له جزاء إلا الجنة.

٤- الأضحية:

روى الترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم، وإنه ليؤتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع بالأرض، فطيبوا بها نفساً.^(١)

روى الإمام أحمد وابن ماجه عن زيد بن أرقم قال: قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: سنة أبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قالوا: فما لنا فيها يا رسول الله؟ قال: بكل شعرة حسنة، قالوا: فالصوف يا رسول الله؟ قال: بكل شعرة من الصوف حسنة.



ومن السنة للمضحي عدم الأخذ من الشَّعر والأظفار، فلا يأخذُ منها شيئاً، والسبب رجاء أن يُعتق الله بدَنَّهُ كُلَّهُ من النار، فعن أمِّ سلمة رضي الله عنها أن

النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إذا رأيتم هلالَ ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره»: أخرجه مسلم.

^١ الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بكبشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ في سواد، ويبرك في سواد، وينظر في سواد فأُتِيَ به ليضحي به فقال لها: «يا عائشة هلمي المذبة» (أي السكين) ثم أخذها وأخذ الكبش فأضجعه ثم ذبحه. ثم قال: «بسم الله، اللهم تقبل من محمد، وآل محمد، ومن أمة محمد، ثم ضحى به»؛ أخرجه مسلم. أقرن: يعني أن له قرون. و يطأ في سواد: يعني أن أقدامه سوداء. ويبرك في سواد: يعني أن بطنه فيها سوداء. وينظر في سواد: ما حول عينيه سوداء



وقد ذكر أهل العلم التفضيل بينها وبين العشر الأواخر من رمضان.

فقل أن نهار عشر ذي الحجة أفضل من نهار عشر رمضان الأخيرة، وليالي عشر رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة.

لأن ليالي العشر من رمضان إنما فضلت باعتبار ليلة القدر وهي من الليالي، وعشر ذي الحجة إنما فضلت باعتبار الأيام، ففيها يوم النحر ويوم عرفة ويوم التروية.

وفي تفسير ابن كثير: «وبالجملة فهذا العشر قد قيل: إنه أفضل أيام السنة، كما نطق به الحديث، وفضله كثير على عشر رمضان الأخير؛ لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه.»^(١)

(١) «تفسير ابن كثير - ط الجوزي» (٥/ ٤٠٥):

فضل شهر الله المحرم



قال سبحانه وتعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ» (التوبة - ٣٦)

وعن أبي بكر رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثُ مُتَوَالِيَّاتٍ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)) متفق عليه.

قال القرطبي: "خص الله تعالى الأشهر الحرم بالذكر ونهى عن الظلم فيها تشريفاً لها، وإن كان منهيّاً عنه في كل الزمان، كما قال تعالى: "فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ" (البقرة: من الآية ١٩٧). وعلى هذا أكثر أهل التأويل، أي: لا تظلموا في الأربعة أشهر الحرم أنفسكم، وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: "فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ" في الاثني عشر" هـ.

وقبل أي شيء لابد أن نشير إلى معنى في غاية الأهمية ، ألا وهو أننا نجد أن النبي

ذكر كل شهر باسمه بدون إضافته إلى الله تعالى ، وعندما ذكر شهر المحرم أضافه إلى الله تعالى فقال
شهر الله المحرم ولم يقل مثلاً شهر الله رمضان أو شهر الله شعبان وهكذا

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، قال: "أفضل الصيام بعد شهر رمضان
شهر الله الذي تدعونه المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل". رواه مسلم

يقول ابن رجب رحمه الله

وقد سعى النبي **صلى الله عليه وسلم** المحرم شهر الله. وإضافته إلى الله تدل على شرفه وقضيه، فإن الله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته، كما نسب محمداً وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - إلى عبوديته، ونسب إليه بيته وناقته.^(١) «ولما كان هذا الشهر مختصاً بإضافته إلى الله تعالى، وكان الصيام من بين الأعمال مضافاً إلى

الله تعالى؛ فإنه له من بين الأعمال، ناسب أن يختص هذا الشهر المضاف إلى الله بالعمل المضاف إليه، المختص به، وهو الصيام.^(٢)

قال ابن حجر: "هذا يقتضي أن يوم عاشوراء أفضل الأيام للصائم بعد رمضان، لكن ابن عباس أسند ذلك إلى علمه، فليس فيه ما يرد علم غيره، وقد روى مسلم من حديث أبي قتادة مرفوعاً أن صوم عاشوراء يكفر سنة، وأن صيام يوم عرفة يكفر سنتين، وظاهره أن صيام يوم عرفة أفضل من صيام عاشوراء، وقد قيل في الحكمة في ذلك إن يوم عاشوراء منسوب إلى موسى عليه السلام، ويوم عرفة منسوب إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** - فلذلك كان أفضل". اهـ

يقول ابن رجب رحمه الله

أراد ببيته بيت الله المحرم؛ قال تعالى: {وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}. وأراد بناقته ناقة الله؛ قال تعالى: {هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَمَنْ ذَرَاهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ} وفي الصيام قال الصيام لي «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (ص ٧٧ ت السواس)^٢.

^١

وهذا الحديث صريحٌ في أن أفضلَ ما تُطَوَّعَ به من الصَّيَامِ بعد رمضان صومُ شهرِ الله المحرم، وقد يحتملُ أن يراد أنه أفضلُ شهرٍ تُطَوَّعَ بصيامه كاملاً بعد رمضان.^(١)

وعن عليٍّ أن رجلاً أتى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسولَ الله، أخبرني بشهرٍ أصومه بعد شهرِ رمضان، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنْ كُنْتَ صَائِماً شهرًا بعدَ رمضانَ فصُمِ المحرمَ فإنه شهرُ الله؛ وفيه يومٌ تاب اللهُ فيه على قومٍ ويتوبُ على آخرين". أخرجه الإمام أحمد والترمذي

فقد استحب جمهور الفقهاء صيام الأشهر الحرم لما رواه أبو داود أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للرجل "صم من الحرم واترك" ثلاث مرات

قعن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها، أنه أتى رسولَ الله، ثُمَّ انطلقَ فَاتَاهُ بعدَ سَنَةٍ، وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حالُهُ وَهَيْئَتُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الْبَاهِلِيُّ الَّذِي جِئْتُكَ عامَ الْأَوَّلِ. قَالَ: فَمَا غَيَّرَكَ، وَقَدْ كُنْتَ حَسَنَ الْهَيْئَةِ؟ قَالَ: مَا أَكَلْتُ طَعَامًا مُنْذُ فَارَقْتُكَ إِلَّا بَلِيلًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: عَذَّبْتَ نَفْسَكَ، ثُمَّ قَالَ: صُمِ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَيَوْمًا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ قَالَ: زِدْنِي، فَإِنَّ بِي قُوَّةً، قَالَ: صُمِ يَوْمَيْنِ قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: صُمِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: صُمِ مِنَ الْحُرْمِ وَاتْرُكْ، صُمِ مِنَ الْحُرْمِ وَاتْرُكْ، صُمِ مِنَ الْحُرْمِ وَاتْرُكْ وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ فَضَمَّهَا، ثُمَّ أَرْسَلَهَا. رواه أبو داود.

وقد روي أن أسامة بن زيد كان يصوم الأشهر الحرم، وقد روي عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أمرَ رجلاً أن يصومَ الأشهر الحرم،

وأفضلُ صيامٍ في الأشهر الحرم صيامُ شهرِ الله المحرم

أفضل الأشهر الحرم

اختلف العلماء في أي الأشهر الحرم أفضل، فقال الحسن وغيره: أفضلها شهرُ الله المحرم، ورجَّحه طائفةٌ من المتأخرين. وروى وهبُ بن جَرِيرٍ، عن قُرَّةَ بن خالد، عن الحسن، قال: إن الله افتتح السنة بشهر حرام، وختمها بشهر حرام. فليس شهرٌ في السنة بعد شهرِ رمضان أعظم عند الله من المحرم، وكان يُسمى "شهرَ الله الأصم"؛ من شدة تحريمه.

«لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (ص ٧٧ ت السواس):¹

فعن أبي ذرٍّ، قال: سألتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ اللَّيْلِ خَيْرٌ، وَأَيُّ الْأَشْهُرِ أَفْضَلُ؟ فقال: "خيرُ اللَّيْلِ جَوْفُهُ، وَأَفْضَلُ الْأَشْهُرِ شَهْرُ اللَّهِ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُحَرَّمَ". رواه النسائي

وذهب بعض العلماء الى فضل شهر ذي الحجة علي غيره

أنه شهر معظم عند العرب وعند المسلمين

قال أبو عثمان النهدي: كانوا يعظمون ثلاثَ عشراتٍ: العَشْرَ الْأَخِيرَ من رمضان، والعَشْرَ الْأَوَّلَ من ذي الحِجَّةِ، والعَشْرَ الْأَوَّلَ من المحَرَّمِ.

ورُوي عن وَهْب بن مَنْبَهٍ، قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن مُرْ قَوْمَكَ أن يتقربوا إليَّ في أولِ عشرِ المحرم، فإذا كان يومُ العاشرِ فليخرجُوا إليَّ أَغْفِرْ لَهُمْ.

البداية السعيدة

جميل أن يبدأ المسلم عامه بطاعة الله تعالى والإكثار من ذكره سبحانه وتعالى وهذا هو دأب السلف الصالح رضوان الله عليهم

فعن قتادة أن الفجرَ الذي أقسمَ الله تعالى به في أوَّلِ سورةِ الفجرِ هو فجرُ أولِ يومٍ من المحَرَّمِ، تنفجرُ منه السَّنَةُ.

يقول ابن رجب

ولما كانت الأشهرُ الحُرُمُ أَفْضَلُ الْأَشْهُرِ بَعْدَ رَمَضَانَ أو مُطْلَقًا، وكان صِيَامُهَا كُلِّهَا مَنْدُوبًا إِلَيْهِ، كما أمر به النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان بعضها ختامَ السَّنَةِ الْهِلَالِيَّةِ، وبعضُها مَفْتاحًا لَهَا، فمن صامَ شهرَ ذِي الْحِجَّةِ سِوَى الْأَيَّامِ الْمُحَرَّمِ صِيَامُهَا مِنْهُ، وَصَامَ الْمُحَرَّمَ، فَقَدْ خَتَمَ السَّنَةَ بِالطَّاعَةِ وَافْتَتَحَهَا بِالطَّاعَةِ، فَيُرْجَى أَنْ تَكْتَبَ لَهُ سَنَتُهُ كُلُّهَا طَاعَةً، فَإِنَّ مَنْ كَانَ أَوَّلَ عَمَلِهِ طَاعَةً وَآخِرُهُ طَاعَةً، فَهُوَ فِي حَكَمٍ مِنْ اسْتَغْرَقَ بِالطَّاعَةِ مَا بَيْنَ الْعَمَلَيْنِ.

عن ابن المبارك قال: مَنْ خَتَمَ نَهَارَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ كُتِبَ نَهَارُهُ كُلُّهُ ذِكْرًا.

فضل الصيام فيه

معلوم أن الصَّيَامُ سرٌّ بينَ العبدِ وبينَ ربِّه، وهو من أجل القربات إلى الله تعالى وكما جاء في الحديث القدسي: "كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، إِنَّهُ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي". وفي الجنة بابٌ يقال له "الرَّيَّانُ" لا يدخلُ منه إِلَّا الصَّائِمُونَ، فإذا دخلوا أُغْلِقَ فلم يدخلُ منه غيرُهم.

وكان كثير من الصحابة والتابعين يصوم الأشهر الحرمَ كلّها كابن عمر والحسن البصري وغيرهما.

فضل عاشوراء وما جاء فيها من أحكام

عاشوراء

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام عاشوراء فقال عليه الصلاة والسلام: ((أحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ))
(يستحب صيام التاسع مع العاشر لحديث: (لنن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع)

قال سبحانه وتعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ» (التوبة - ٣٦)

عن أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ الرَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ

مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمَحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)) متفق عليه.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ". رواه مسلم

عن أَبِي قَتَادَةَ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صِيَامِ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: (أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ) صحيح مسلم

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن صَوْمِ يوم عاشوراء، فقال: "ما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صامَ يوماً يتحرى فضله على الأيام إلا هذا اليوم، يعني يوم عاشوراء؛ وهذا الشهر، يعني رمضان". البخاري ومسلم

يقول ابن رجب :

يوم عاشوراء له فضيلة عظيمة وحرمة قديمة، وصومه لفضله كان معروفاً بين الأنبياء عليهم السلام، وقد صامه نوحٌ وموسى عليهما السلام، وروى إبراهيم الهجري، عن أبي عياض، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يومُ عاشوراء كانت تصومه الأنبياءُ فصوموه أنتم". خرجه بقي بن مخلد في "مسنده". وقد كان أهل الكتاب يصومونه، وكذلك قريش في الجاهلية كانت تصومه.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزلت فريضة شهر رمضان كان رمضان هو الذي يصومه، فترك يومَ عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء أفطره". وفي رواية للبخاري: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شاء فليصم، ومن شاء أفطر".

وفي الصحيحين عن ابن عباس، قال: "قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياماً يومَ عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ قالوا: هذا يومٌ عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنحن أحقُّ وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بصيامه.

وفي مسند الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بأناسٍ من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء، فقال: ما هذا من الصوم؟ قالوا: هذا اليوم الذي نجى الله عز وجل فيه موسى عليه السلام وبني إسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون.

وهذا يومٌ استوت فيه السفينة على الجودي، فصام نوحٌ وموسى «عليهما السلام شكراً لله عز وجل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنا أحقُّ بموسى وأحقُّ بصوم هذا اليوم، فأمر أصحابه

بالصَّوْم. وفي الصحيحين عن سَلَمَةَ بن الأَكْوَعِ رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم أَمَرَ رجلاً من أسلم: أن أَذِنَ في النَّاسِ: مَنْ أَكَلَ فَلْيَصُمْ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَكَلَ فَلْيَصُمْ؛ فَإِنَّ اليَوْمَ يَوْمَ عاشوراء".

عن الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ، قالت: "أرسلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غَدَاةَ عاشوراءَ إلى قُرَى الأنصَارِ التي حولَ المدينة: مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِماً فَلْيَتِمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مَفْطِراً فَلْيَتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ. فَكُنَّا بعدَ ذلك نَصُومُهُ، ونُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصَّغَارَ منهم، وَنَذْهَبُ إلى المسجد فنَجْعَلُ لهم اللَّعْبَةَ مِنَ العِزِيِّ، فإذا بكى أَحَدُهُمْ على الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ إِيَّاهَا حَتَّى يَكُونَ عندَ الإفطار". وفي رواية: "فإذا سألونا الطَّعَامَ أَعْطَيْنَاهُم اللَّعْبَةَ تُلْهِمُهُمْ، حَتَّى يَتِمُّوا صَوْمَهُمْ".

وخرَجَ الطبرانيُّ بإسنادٍ فيه جَهَالَةٌ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو يومَ عاشوراءَ بِرُضْعَائِهِ وَرُضْعَاءِ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ فَتَيْتُفُلُ في أَفْوَاهِهِمْ، ويقولُ لَأُمَّهَاتِهِمْ: لا تُرْضِعُوهُمْ إلى الليل، وكان ريقُهُ صلى الله عليه وسلم يجزئهم.

مراتب صيام يوم عاشوراء:

أولاً: صيام اليوم التاسع واليوم العاشر، وهذا أفضل المراتب؛ لحديث أبي قتادة عند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صيام يوم عاشوراء: أحْتَسِبُ على الله أن يكفر السنة التي قبله"، ولحديث ابن عباس عند مسلم أيضاً "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر".

ثانياً: صيام اليوم العاشر والحادي عشر؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خالفوا اليهود صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده"، أخرجه أحمد وابن خزيمة.

ثالثاً: صيام اليوم التاسع والعاشر والحادي عشر؛ لحديث ابن عباس مرفوعاً "صوموا يوماً قبله ويوماً بعده".

رابعاً: أفراد العاشر بالصيام ؛ لحديث أبي قتادة عند مسلم " أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في صيام يوم عاشوراء: أحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ" ^(١).

صيام عاشوراء قبل فريضة صيام رمضان

اختلف العلماء رضي الله عنهم، هل كان صوم يوم عاشوراء قبل فرض شهر رمضان واجباً أم كان سنة متأكدة؟ على قولين مشهورين؛ ومذهب أبي حنيفة أنه كان واجباً حينئذ، وهو ظاهر كلام الإمام أحمد وأبي بكر الأثرم.

وقال الشافعي رحمه الله: بل كَانَ متأكداً الاستحباب فقط، وهو قول كثير من العلماء.

وفي "الصحيحين" أيضاً عن معاوية، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "هذا يوم عاشوراء، ولم يَكُنْبِ الله عليكم صيامه، وأنا صائمٌ؛ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُفْطِرْ".

عدد من الصحابة الكرام يحافظون علي صيام عاشوراء

«وممن رُوي عنه صيامه من الصَّحابةِ عمرُ، وعلي، وعبدُ الرحمن بن عوف، وأبو موسى، وقيسُ بن سَعْدٍ، وابنُ عباس وغيرهم. ويدلُّ على بقاء استحبابه قولُ ابن عباس رضي الله عنهما: "لم أرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوماً يتحرى فضله. على الأيام إلا يومَ عاشوراء وشهرَ رمضان".

وخرَجَ الإمامُ أحمد، والنسائي من حديث حَفْصَةَ بنتِ عُمَرَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يدعُ صيامَ يومِ عاشوراء والعشر، وثلاثة أيامٍ من كل شهرٍ. وخرَجَهُ أبو داود إلا أن عنده: "عن بعضِ أزواجِ النبي صلى الله عليه وسلم، غير مُسمَّاةٍ.

الْحِثُّ علي صيام التاسع أو الحادي عشر مخالفةً لأهل الكتاب.

^١ اللجنة العلمية بموقع المسلم

في صحيح مسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله! إنه يومٌ تُعْظِمْهُ اليهودُ والنصارى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ". قال: فلم يأتِ العامُ المقبلُ حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي روايةٍ له أيضًا، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَنْ بَقِيَتْ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ".

وفي مسند الإمام أحمد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَالِفُوا الْيَهُودَ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا وَبَعْدَهُ يَوْمًا". وجاء في روايةٍ "أو بعده".

وممَّن رأى صِيَامَ التَّاسِعِ وَالْعَاشِرِ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ. وَكَرِهَ أَبُو حَنِيفَةَ إِفْرَادَ الْعَاشِرِ وَحْدَهُ بِالصَّوْمِ.

ورئي بعضُ العلماء المتقدِّمين في المنام فسئل عن حاله، فقال: غُفِرَ لي بصيام عاشوراء ستينَ سنةً. وفي رواية: ويوم قبله ويوم بعده. وذكر عبد الوهاب الخفافُ في كتاب الصيام، قال سعيد: قال قتادة: كان يقال: صَوْمُ عَاشُورَاءَ كَفَّارَةٌ لِمَا ضَيَّعَ الرَّجُلُ مِنْ زَكَاةٍ مَالِهِ. وقد رُوي أن يومَ عاشوراء كان يومَ الزينة الذي كان فيه ميعادُ موسى لفرعونَ، وأنه كان عيدًا لهم. ويروى أن موسى عليه السلام كان يلبسُ فيه الكَتَّانَ ويكتحلُ فيه بالإثمدِ. وكانت اليهودُ من أهل المدينة وخيبر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذونه عيدًا، وكان أهلُ الجاهلية يقتدون بهم في ذلك، وكانوا يَسْتُزُّون فيه الكعبةَ. ولكن شَرَعْنَا وَرَدَ بِخِلَافِ ذَلِكَ. ففي "الصحيحين" عن أبي موسى، قال: كان يومُ عاشوراء يومًا تُعْظِمْهُ الْيَهُودُ وَتَتَّخِذُهُ عِيدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صُومُوهُ أَنْتُمْ". وفي رواية لمسلم: كان أهلُ خيبر يَصُومُونَ يَوْمَ

عَاشُورَاءَ، يَتَّخِذُونَهُ عِيدًا، وَيُلْبِسُونَ نِسَاءَهُمْ فِيهِ حُلِيَّهمْ وَشَارِبَهُمْ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَصُومُوهُ أَنْتُمْ".^(١)

^١ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» (ص ٧٧ ت السواس):

ثواب التصديق في عاشوراء والتوسعة فيه علي الأهل:

وَأَمَّا الصَّدَقَةُ فِيهِ فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: مَنْ صَامَ عَاشُورَاءَ فَكَأَنَّمَا صَامَ السَّنَةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ فِيهِ كَانَ كَصَدَقَةِ السَّنَةِ. أَخْرَجَهُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ.

وَأَمَّا التَّوَسُّعُ فِيهِ عَلَى الْعِيَالِ فَقَالَ حَرِيبٌ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ: "مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ" فَلَمْ يَرَهُ شَيْئًا. وَقَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ: هَلْ سَمِعْتَ فِي الْحَدِيثِ "مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَائِرَ السَّنَةِ"؟ فَقَالَ: نَعَمْ. رَوَاهُ سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ جَعْفَرِ الْأَحْمَرِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْمُنتَشِرِ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَى عِيَالِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَائِرَ سَنَتِهِ. فَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: جَرَّبْنَاهُ مِنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً أَوْ سِتِينَ سَنَةً فَمَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا.

البدع التي تقام في عاشوراء:

وَأَمَّا اتِّخَاذُهُ مَأْتَمًا كَمَا تَفْعَلُهُ الرَّاغِبَةُ لِأَجْلِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِيهِ، فَهُوَ مِنْ عَمَلٍ مَنْ ضَلَّ سَعْيُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا، وَلَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ بِاتِّخَاذِ أَيَّامٍ مَصَائِبِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَوْتِهِمْ مَأْتَمًا، فَكَيْفَ بِمَنْ دُوِّنَهُمْ.^(١)

قال العلامة الشيخ عبد الله الفوزان حفظه الله: وقد ضلَّ في هذا اليوم طائفتان:

طائفةٌ شابهت اليهود؛ فَاتَّخَذَتْ عَاشُورَاءَ مُوسِمَ عِيدٍ وَسُرُورٍ، تُظْهِرُ فِيهِ شَعَائِرَ الْفَرَحِ؛ كَالِاخْتِضَابِ، وَالِاكْتِحَالِ، وَتَوْسِيعِ النَّفَقَاتِ عَلَى الْعِيَالِ، وَطَبْخِ الْأَطْعَمَةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْعَادَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ عَمَلٍ الْجُهَالِ، الَّذِينَ قَابَلُوا الْفَاسِدَ بِالْفَاسِدِ، وَالْبِدْعَةَ بِالْبِدْعَةِ.

وطائفةٌ أُخْرَى اتَّخَذَتْ عَاشُورَاءَ يَوْمَ مَأْتَمٍ وَحُزْنٍ وَنِيَاحَةٍ؛ لِأَجْلِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- تُظْهِرُ فِيهِ شَعَارَ الْجَاهِلِيَّةِ؛ مِنْ لَطَمِ الْخُدُودِ، وَشِقِّ الْجَيُوبِ، وَإِنْشَادِ قِصَائِدِ الْحُزَنِ، وَرَوَايَةِ الْأَخْبَارِ الَّتِي كَذِبُهَا أَكْثَرُ مِنْ صِدْقِهَا، وَالْقَصْدُ مِنْهَا فَتْحُ بَابِ الْفِتْنَةِ، وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الْأُمَّةِ، وَهَذَا عَمَلٌ مَنْ ضَلَّ سَعْيُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا.

^١ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف «(ص ٧٧ ت السواس):

وقد هدى الله تعالى أهلَ السُّنَّةِ، ففَعَلُوا ما أَمَرَهُم به نَبِيُّهم صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ من الصَّوْمِ، مع رعايَةِ
عَدَمِ مشابَهَةِ اليهودِ فيه، واجْتَنَبُوا ما أَمَرَهُم الشَّيْطَانُ به من البِدْعِ، فله الحمدُ والمِنَّةُ. ^(١).



^١رسالة في أحاديث شهر الله المحرم.

قضايا الأمة

خطورة التكفير وما يبني عليه من أحكام

لقد انتشر التكفير بين كثير من الشباب ، وأصبح كالنار في الهشيم وصار الشاب يكفر المسلم علي أنفه الأسباب وبدون بينة أو تثبت أو علم.

خطورة التكفير والغلو في الدين، وكيفية التصدي له

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٩٤﴾ [النساء: ٩٤].

تعريف التكفير: هو الحكم على أحد المسلمين بالكفر^(١)

وقيل التكفير هو نسبة أحد من أهل القبلة إلى الكفر، والاسم على وزن تفعيل ، يقال: كفر فلان فلانا تكفيرا، أي نسبه إلى الكفر، ومن معاني التكفير في اللغة: التغطية والستر، ومنه تكفير البذر، أي تغطيته بالتربة.^(٢)

زمن ظهور التكفير بين المسلمين:

يرجع زمن ظهور التكفير بين المسلمين: إلى الخوارج، الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكفَّروه هو ومن معه من الصحابة والتابعين، وذلك بعد حادثة التحكيم التي كانت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين.^(٣)

قال البخاري: كان ابن عمر يراهم (أي الخوارج) شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.^(٤)

ولقد ابتليت الأمة الإسلامية في عصرنا الحديث ببعض المجموعات من الفئات والشباب قليل العلم ، والفقہ في الدين ، وأصيبوا بنزعة خارجية وانحراف عن منهج الإسلام ، فأطلقوا عنان التكفير والتبديد

(١) (معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ج ١ ص ٤٨٧).

(٢) "ما هو تعريف التكفير وما هي ضوابطه؟ - الشيخ أ.د. محمد بن عبد الغفار الشريف".

(٣) احذروا تكفير المسلمين الشيخ صلاح نجيب الدق

(٤) (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ١٢ ص ٢٩٥)

والتفسيق ، في المجتمع المسلم ، وبدون ضوابط شرعية ، وعلي اتفه الأسباب ، وأبسط المسائل ، فخرج كل من هب ودب وسمح لنفسه أن يكون قاضيا علي المسلمين ، يكفر منهم من أراد ويبعد ويفسق كل مخالف ، وكل من لم يكن علي هواه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ونسوا أن هذا المنهج مخالف لما كان عليه رسول الله ﷺ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال، وليس على بن آدم نذر فيما لا يملك ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله) رواه البخاري ، وروى الترمذي: ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة ، ويقول ابن تيمية: (كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله ، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله ، وكذلك التكفير حق لله ، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله) (١)

ولقد رأينا شبابا وهم في أول أعمارهم لا يجيدون الكثير من العلوم الشرعية ولا الأحكام الفقهية ، وهم يتناولون علي رجال عاشوا وماتوا وافنوا حياتهم في سبيل الاسلام والمسلمين وفي سبيل إحياء سنة النبي الأمين ﷺ كالإمام النووي وابن حجر والغزالي وأبو حنيفة ، رحمهم الله ، بل وجدنا العجب العجيب ، فنجد من يكفر شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وعلماء أجمعت الأمة علي عدالتهم وتوثيقهم وعلمهم وفضلهم ، فأسهل شيء عند هؤلاء هو التكفير واستحلال الدماء والأموال ، نسأل الله لنا ولهم الهداية والرشاد.

وهذا ليس معناه أن علماء الأمة لا يكفرون أحد ولا يبدعون أهل الأهواء والبدع ، فهذه الأمور تحتاج إلي ضوابط شرعية محكمة ولا تصدر إلا من علماء وهيئات راسخة في العلم .

حرمة التكفير كما جاء في القرآن والسنة وعلماء الأمة

لقد نهى القرآن الكريم المسلم أن يتكلم بكلام يكون فيه اتباع للهوى وانحراف عن سبيل وهدى

(١) عصمت الله محمد، قواعد شرعية في التكفير قراءة لأفكار ابن تيمية

المسلمين ، وما عليه علماء الأمة وأهل الفضل منها فقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وامتدح وأثنى الله تعالى على المسلم الذي يدعو لأخيه المسلم فقال سبحانه وتعالى في آية الحشر: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال سبحانه : ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ محمد: ١٩

وكان من هدي الرسول ﷺ الدعاء للمسلمين وعدم الدعاء عليهم ، كما أمره الله تعالى فقال له ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

و جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم طيب نفس، قلت: يا رسول الله، ادع الله لي، فقال: ((اللهم اغفر لعائشة، ما تقدم من ذنبها وما تأخر، ما أسررت وما أعلنت))، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أيسرك دعائي؟)) فقالت: وما لي لا يسرنى دعاؤك؟! فقال صلى الله عليه وسلم: ((والله إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة))^(١) رواه ابن حبان في صحيحه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى على جنازة يقول: ((اللهم اغفر لحيتنا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده))^(٢) رواه الترمذي

وعن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة. قال الهيثمي في المجمع: إسناده جيد، وحسنه الألباني في الجامع.

وأمر الله تعالى المسلم بعد إطلاق اللسان في الاتهامات بدون دليل .

يقول الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَفْضُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٧١١١)، وحسنه الأرناؤوط والألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٢٢٥٤).

(٢) رواه الترمذي (١٠٢٤)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وصححه الألباني.

الدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤] وكان سبب نزول الآية عندما قتل صحابي رجلاً مشركاً قال لا إله إلا الله عندما همّ بقتله، فبلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فغضب.

ومن الأحاديث التي جاءت في ذم التطاول، وتكفير المسلمين بدون سبب.

ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَوْ يَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ). متفقٌ عليه. وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) رواه البخاري.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُئِبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُئِبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ). رواه مالك في "الموطأ" والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ: قُلْ رَبِّي اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخَوْفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ هَذَا. رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وعن معاذ بن جبل، قال: كنت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويُباعدني عن النار، قال: ((لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على مَنْ يَسِرْهُ اللَّهُ عليه، تعبدُ الله ولا تُشركَ به شيئاً، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتُحج البيت))، ثم قال: ((ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل))، قال: ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ثم قال: ((ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟))، قلت: بلى يا رسول الله، قال: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ((ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟))، قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه، قال: ((كُفَّ عليك هذا))، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ((تَكَلَّمْتُ أَكُفُّكَ يا معاذ، وهل يكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَانِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))؛ أخرجه الترمذي، وقال: "هذا حديث حسنٌ صحيح."

فهذه بعض الأحاديث النبوية حذر منها النبي ﷺ المسلم من الخوض في كلام غير جائز شرعاً وليس أعظم أن يهتم المسلم في دينه.

ولقد حذر الرسول ﷺ من يتهم المسلم بالكفر والتضليل بدون بينة ولا دليل ولا برهان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله)^(١). والذي يترتب علي التكفير أمور في غاية الأهمية قد ذكر العلماء بعضها منها وهي:

١_ التفريق بين زوجته ، لأن المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع ، يقول الله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾ [الممتحنة: ١٠].

علي القاضي أن يقوم بنقل أولاده من تحت سلطانه فلا يجوز أن يبقوا تحت سلطانه؛ لأنّه لا يُؤتمن عليهم، ويُخشى أن يُؤثر عليهم بكفره

٢_ فقد حق الولاية والنصرة من المجتمع الإسلامي .

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في خطبته وهو مسند ظهره إلى الكعبة قال : المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم^(٢) .

٣_ يعامل معاملة المرتد وحكم المرتد القتل ، بعد أن يُستتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام : (من بدّل دينه فاقْتُلوه) أخرجه البخاري

٤_ إذا مات لا تُجرى عليه أحكام المسلمين، فلا يُغسّل، ولا يُصلّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُورث، كما أنه لا يرث إذا مات مورث له.

لأن الكفر من موانع الإرث يقول النبي عليه الصلاة والسلام (لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم) المتفق عليه

٥_ يستوجب لعنة الله وطرده من رحمته، والخلود الأبدي في نار جهنم. ولا يجوز الدعاء له بالرحمة والترحم عليه ولا يُستغفر له؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٣).

(١) رواه البخاري برقم (٦١٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٣٠)، والنسائي (٤٧٣٤)، وأحمد (٩٩٣)

(٣) قضية التكفير بين أهل السنة و فرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٣٩)

التكفير حكم شرعي

يقول أبو حامد الغزالي: "الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلاً، إذ معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار، ومدركه شرعي، فيدرك إما بنص، وإما بقياس على منصوص".

ويقول ابن تيمية: "الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يُعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأً في العقل، يكون كفرًا في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل، تجب في الشرع معرفته".

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: ((الكفر حق الله ورسوله، فلا كافر إلا من كفره الله ورسوله))

ويقول ابن الوزير: "إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه"، ويقول: "إن الدليل على الكفر والفسق لا يكون إلا سمعياً قطعياً"^(١).

موانع التكفير:

لقد جمع أهل العلم موانع تمنع من الحكم على المسلم المكلف بالكفر وهي

١- الجهل:

العذر بالجهل من الأعذار التي يعذر فيها المسلم، ولكنه يختلف باختلاف الأشخاص والزمان والمكان، فهناك مسائل لا يعذر فيها بالجهل إلا لمن هو حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة. كالأموور التي لا تخفي علي أحد مثل وجود الله تعالى وأنه واحد، وكذلك يختلف إن كان الجهل معلوم من الدين بالضرورة أو غير معلوم.

والواجب علي المسلم التعلم والتفقه في دين الله تعالى

(١) التكفير وضوابطه - السقار (ص: ٢٩) ظاهرة الغلو في التكفير، ص ٢٣، د. يوسف القرضاوي،

وهناك أشياء يعذر فيها المسلم بالجهل، فإذا فعل المسلم شيئاً منها - جاهلاً بالحكم : فإنه لا يكفر بذلك ، ولا يرتفع عنه الإسلام حتى تقام عليه الحجة وتزال الشبهة. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: " فكل من كان مؤمناً بالله ورسوله ، مصداقاً لهما ، ملتزماً طاعتهما ، وأنكر بعض ما جاء به الرسول ، جهلاً ، أو عدم علم أن الرسول جاء به : فإنه وإن كان ذلك كفراً ، ومن فعله فهو كافر ، إلا أن الجهل بما جاء به الرسول يمنع من تكفير ذلك الشخص المعين ، من غير فرق بين المسائل الأصولية والفرعية ، لأن الكفر جحد ما جاء به الرسول أو جحد بعضه مع العلم بذلك.^(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كذلك من دعا غير الله وحجج إلى غير الله هو أيضاً مشرك، والذي فعله كفر، لكن قد لا يكون عالماً بأن هذا شرك محرم.

كما أن كثيراً من الناس دخلوا في الإسلام من التتار وغيرهم وعندهم أصنام لهم صغار من لبد وغيره وهم يتقربون إليها ويعظمونها ولا يعلمون أن ذلك محرم في دين الإسلام، ويتقربون إلى النار أيضاً ولا يعلمون أن ذلك محرم ، فكثير من أنواع الشرك قد يخفى على بعض من دخل في الإسلام ولا يعلم أنه شرك ، فهذا ضال ، وعمله الذي أشرك فيه باطل ، لكن لا يستحق العقوبة حتى تقوم عليه الحجة ، قال تعالى: (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)"^(٢)

ولقد استدلل العلماء الذين قالوا أن العذر بالجهل من موانع التكفير بجملته من الآيات والأحاديث وأقوال لعلماء الأمة

أدلة العذر بالجهل^(٣)

قال الله تعالى ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ (النساء: ١٦٥)

وقال تعالى ﴿وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً﴾ (الإسراء: ١٥)

(١) "الفتاوى السعدية" (ص: ٤٤٣-٤٤٧).

(٢) "الرد على الإخنائي" تحقيق العنزي (ص: ٢٠٦)

(٣) التكفير وضوابطه - السقار (ص: ٦٥)

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((أربعة يحتجون على الله يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هريم، ورجل مات في فترة)).^(١)

يقول ابن تيمية: "فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين أو حصل العجز عن بعضه كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه، كالمجنون مثلاً.."^(٢)

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جهلت أمراً لا يسع المؤمن جهله، فأبانه لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وما كفرها ولا عاقبها، لأن الجهل عذر يقبله الله، فقد سألت رسول الله فقالت: مهما يكتنم الناس يعلمه الله؟ قال: ((نعم)).^(٣)

قال ابن تيمية: "وهذا يدل على أنها لم تكن تعلم ذلك، ولم تكن قبل معرفتها بأن الله عالم بكل شيء يكتنمه الناس كافرة، وإن كان الإقرار [بذلك] عند قيام الحجة من أصول الإيمان، وإنكار علمه بكل شيء كإنكار قدرته على كل شيء... فقد تبين أن هذا القول كفر، ولكن تكفير قائله لا يحكم به حتى يكون قد بلغه من العلم ما تقوم به عليه الحجة التي يكفر تاركها، ودلائل فساد هذا القول كثيرة في الكتاب والسنة".^(٤)

كما عذر الله الرجل الذي كان من بني إسرائيل الذي جهل قدرة الله وبعثه للخلائق، فغفر الله له جهله، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - حاكياً خبره: ((كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت، قال لبنيه: إذا أنا متّ، فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فُعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم. فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك. فغفر له)).^(٥)

(١) (١) رواه أحمد ح (١٥٨٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح (٨٨١).

(٢) (٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٩ - ٦٠).

(٣) (٣) رواه مسلم ح (٩٧٤)، النسائي ح (٣٩٦٢)، واللفظ له

(٤) (٤) مجموع الفتاوى (١١/ ٤١٣ - ٤١٣).

(٥) (٥) رواه البخاري ح (٣٤٨١)، ومسلم ح (٢٧٥٦).

ويقول ابن قتيبة: " وهذا رجل مؤمن بالله، مقرر به، خائف له، إلا أنه جهل صفة من صفاته، فظن أنه إذا أحرق وذري في الريح أنه يفوت الله تعالى، فغفر الله تعالى له بمعرفته ما بنيته، وبمخافته من عذابه جهله بهذه الصفة من صفاته".^(١)

قال ابن حجر: " قال الخطابي: قد يستشكل هذا، فيقال: كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ والجواب أنه لم ينكر البعث، وإنما جهل فظن أنه إذا فُعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله".^(٢)

يقول ابن تيمية: " فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذُري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك".^(٣)

وقد استنتج العلماء من فقه هذه القصة أن من " أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد، من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ حالاً من هذا الرجل، فيغفر الله خطأه، أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق على قدر دينه، وأما تكفير شخص عُلِمَ إيمانه بمجرد الغلط في ذلك، فعظيم".^(٤)

قال ابن القيم: " وأما من جحد ذلك جهلاً، أو تأوياً يعذر فيه صاحبه: فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه ولم يجحد قدرة الله على إعادته عناداً أو تكذيباً".^(٥)

المانع الثاني للتكفير - الخطأ، مع سلامة القصد

الخطأ هو فعل الخطأ أو اعتقاده مع إرادة الحق والصواب. قال تعالى: {وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم} (الأحزاب: ٥)

(١) تأويل مختلف الحديث (١١٩).

(٢) فتح الباري (٥٢٣ / ٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣١ / ٣).

(٤) الاستقامة (١٦٥).

(٥) مدارج السالكين (١ / ٣٣٨ - ٣٣٩).

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه)).
(١)

قال ابن رجب: "الخطأ هو أن يقصد بفعله شيئاً، فيصادف فعله غير ما قصده، مثل أن يقصد قتل كافر فصادف قتله مسلماً، والنسيان أن يكون ذاكرةً الشيء فينساه عند الفعل، وكلاهما معفو عنه: يعني لا إثم فيه ... والأظهر - والله أعلم - أن الناسي والمخطئ إنما عفي عنهما، بمعنى: رفع الإثم عنهما، لأن الإثم مرتب على المقاصد والنيات، والناسي والمخطئ لا قصد لهما، فلا إثم عليهما".^(٢)

ولقد جاء في حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح)).^(٣)

قال القاضي عياض: "فيه أنّ ما قاله الإنسان من مثل هذا في حال دهشته وذهوله لا يؤاخذ به .. ويدل على ذلك حكاية النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك، ولو كان منكراً ما حكاها".^(٤)

المانع الثالث الإكراه.

ومن الموانع التي تمنع تكفير المسلم إذا ارتكب مكفراً الإكراه، إذ قد يكره المسلم على أمر هو من الكفر، لكن لا مخرج منه، فهذا مما يعذر الله به عباده، فإن التكاليف الشرعية منوطة بالاستطاعة، والإكراه أمر خارج عنها، لذا فإن الله لم يكلف به عباده رحمة منه وفضلاً.^(٥)

قال الله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (النحل: ١٠٦)

(١) رواه ابن ماجه ح (٢٠٤٣)، وابن حبان ح (١٤٩٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح (١٦٦٢).

(٢) التكفير وضوابطه - السقار (ص: ٨٦)

(٣) (رواه مسلم ح (٢٧٤٧).

(٤) فتح الباري (١٠٨ / ١١).

(٥) التكفير وضوابطه - السقار (ص: ٩٣)

محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: ((أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ما وراءك؟ قال: شرب يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير قال: كيف تجد قلبك، قال: مطمئنا بالإيمان، قال: إن عادوا فعد))^(١)، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (واتفقوا على أنه (أي عمار) نزل فيه إلا من أكره وقلبه مطمئن [النحل: ١٠٦].)^(٢).

قال الجصاص: "قال أبو بكر: هذا أصل في جواز إظهار كلمة الكفر في حال الإكراه" أحكام القرآن (٥/ ١٣)

روي أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين، فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ فقال: رسول الله، فقال: ما تقول في؟ قال: أنت أيضا، فخلاه، وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال رسول الله، قال: ما تقول في؟ قال: أنا أصم، فأعاد عليه ثلاثا، فأعاد جوابه، فقتله، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق، فهنيئا له"^(٣)

التأويل، المقصود به هنا:

التلبس والوقوع في الكفر من غير قصد لذلك، وسببه القصور في فهم الأدلة الشرعية دون تعمّد للمخالفة، بل يعتقد أنه على حق.^(٤)

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر))^(٥).

ولعل أهم أدلة عذر السلف لمن أخطأ في التأويل عذرهم قدامة بن مظعون وأصحابه حين شربوا الخمر مستحلين شربها، لغلطهم في فهم معنى قوله تعالى: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات} (المائدة: ٩٣)، واعتقاد جواز شرب الخمر

(١) رواه الحاكم (٣٥٧/٢) والبيهقي (٢٠٨/٨، ٢٠٩)

(٢) كتاب الموسوعة العقدية ج ٦ ص ٣٤٣

(٣) التفسير الكبير الرازي - فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين ج ٢٢ ص ٩٨

(٤) قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٣٦)

(٥) رواه البخاري ح (٧٣٥٣)، ومسلم ح (١٧١٦)

كفر، لكن بسبب التأول لم يكفرهم عمر رضي الله عنه ولا الصحابة، بل بينوا لهم معنى الآية، واستتابوهم من استحلالها، وعاقبوهم على شربها.

يقول الطحاوي: "اتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك، فإن قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة، وتأولوا قوله تعالى: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات} (المائدة: ٩٣) فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا على استحلالها قتلوا، وقال عمر لقدامة: (أخطأت استك الحفرة، أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر)"^(١).

وأما ما نقل عن ابن مسعود في أصل المسألة فقد اختلف أهل العلم في ثبوت ذلك عنه وفي توجيهه، فمنهم من أنكر ثبوته ومن هؤلاء ابن حزم والنووي وغيرهما مع أنه -أعني ما روي من عدم قرآنيتهما- عارضه ما هو أصح منه فقد ثبت إقراء ابن مسعود لهاتين السورتين على أنهما قرآن، وقد تناقله عنه جمع من قراء القرآن فالقراءات الكوفية مسندة بالأسانيد المتصلة إلى ابن مسعود وقد تواتر فيها وجود المعوذتين.

قال ابن حزم في المحلى : كل ما روي عن ابن مسعود أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبیش عن ابن مسعود، وفيها أم القرآن والمعوذتان. انتهى.

وقد جنح ابن حجر في الفتح والزرقاني في مناهل العرفان لثبوت ذلك عن ابن مسعود وقال إنه يحتمل التأويل بأنه قال ذلك قبل ثبوت قرآنيتهما عنده، فلما ثبت ذلك عنده وافق جمهور الصحب فيهما وكان يقرئ بهما.

قال الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن: يحتمل أن إنكار ابن مسعود لقرآنية المعوذتين والفتحة على فرض صحته كان قبل علمه بذلك، فلما تبين له قرآنيتهما بعد تم التواتر وانعقد الإجماع على قرآنيتهما كان في مقدمة من آمن بأتهما من القرآن. قال بعضهم: يحتمل أن ابن مسعود لم

(١) التكفير وضوابطه - السقار (ص: ٨٢)

يسمع المعوذتين من النبي **صلى الله عليه وسلم** ولم تتواترا عنده فتوقف في أمرهما. وإنما لم ينكر ذلك عليه لأنه كان بصدد البحث والنظر والواجب عليه التثبت في هذا الأمر. اهـ
قال الزرقاني : ولعل هذا الجواب هو الذي تستريح إليه النفس لأن قراءة عاصم عن ابن مسعود ثبت فيها المعوذتان والفاتحة وهي صحيحة ونقلها عن ابن مسعود صحيح، وكذلك إنكار ابن مسعود للمعوذتين جاء من طريق صححه ابن حجر. إذا فليحمل هذا الإنكار على أولى حالات ابن مسعود جمعا بين الروایتين. اهـ

وأما ما نقل عن ابن مسعود في أصل المسألة فقد اختلف أهل العلم في ثبوت ذلك عنه وفي توجيهه، فمنهم من أنكر ثبوته ومن هؤلاء ابن حزم والنووي وغيرهما مع أنه -أعني ما روي من عدم قرأنيتهما- عارضه ما هو أصح منه فقد ثبت إقراء ابن مسعود لهاتين السورتين على أنهما قرآن، وقد تناقله عنه جمع من قراء القرآن فالقراءات الكوفية مسندة بالأسانيد المتصلة إلى ابن مسعود وقد تواتر فيها وجود المعوذتين.

قال ابن حزم في المحلى : كل ما روي عن ابن مسعود أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود ، وفيها أم القرآن والمعوذتان. انتهى.

وقد جنح ابن حجر في الفتح والزرقاني في مناهل العرفان لثبوت ذلك عن ابن مسعود وقال إنه يحتمل التأويل بأنه قال ذلك قبل ثبوت قرأنيتهما عنده، فلما ثبت ذلك عنده وافق جمهور الصحب فيهما وكان يقرئ بهما.

قال الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن :يحتمل أن إنكار ابن مسعود لقرآنية المعوذتين والفاتحة على فرض صحته كان قبل علمه بذلك، فلما تبين له قرأنيتهما بعد تم التواتر وانعقد الإجماع على قرأنيتهما كان في مقدمة من آمن بأتهما من القرآن. قال بعضهم: يحتمل أن ابن مسعود لم يسمع المعوذتين من النبي **صلى الله عليه وسلم** ولم تتواترا عنده فتوقف في أمرهما. وإنما لم ينكر ذلك عليه لأنه كان بصدد البحث والنظر والواجب عليه التثبت في هذا الأمر. اهـ
قال الزرقاني : ولعل هذا الجواب هو الذي تستريح إليه النفس لأن قراءة عاصم عن ابن مسعود ثبت فيها المعوذتان والفاتحة وهي صحيحة ونقلها عن ابن مسعود صحيح، وكذلك إنكار ابن مسعود

للمعوذتين جاء من طريق صححه ابن حجر. إذا فليحمل هذا الإنكار على أولى حالات ابن مسعود جمعا بين الروایتين. اهـ

وقال الشوكاني في التحفة: وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا يثبت هاتين السورتين في مصحفه كما روى عبد الله بن أحمد في مسنده، والطبراني عن عبد الرحمن بن يزيد يعني النخعي قال: كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله تعالى. ورجال إسناده عبد الله بن أحمد رجال الصحيح، ورجال إسناده الطبراني ثقات. وهكذا أخرج البزار في مسنده أن ابن مسعود كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما وكان عبد الله لا يقرأ بهما. ورجال إسناده ثقات. وهكذا أخرج الطبراني بإسناد رجاله ثقات قال البزار: لم يتابع عبد الله بن مسعود أحد من الصحاب، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بهما في الصلاة وأثبتتا في المصحف. انتهى.

قلت وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيهما أنهما خير سورتين قرئتا، وتقدم أمره بالقراءة بهما وهذه خاصية من خواص القرآن، وتقدم أيضا أن من قرأهما فكأنما قرأ جميع ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وأجمع على ذلك الصحابة وجميع أهل الإسلام طبقة بعد طبقة، والصحابي بشر وليس قوله حجة في مثل هذا على فرض عدم مخالفته لما ثبت عن الشارع فكيف وقد خالف ههنا السنة الثابتة والإجماع المعلوم.

وقال الشوكاني في التحفة: وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا يثبت هاتين السورتين في مصحفه كما روى عبد الله بن أحمد في مسنده، والطبراني عن عبد الرحمن بن يزيد يعني النخعي قال: كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله تعالى. ورجال إسناده عبد الله بن أحمد رجال الصحيح، ورجال إسناده الطبراني ثقات. وهكذا أخرج البزار في مسنده أن ابن مسعود كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما وكان عبد الله لا يقرأ بهما. ورجال إسناده ثقات. وهكذا أخرج الطبراني بإسناد رجاله ثقات قال البزار: لم يتابع عبد الله بن مسعود أحد من الصحاب، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بهما في الصلاة وأثبتتا في المصحف. انتهى.

التقليد، وهو المانع الخامس من موانع الكفر

والذي يظهر من كلام العلماء رحمهم الله: أنه يُعذر من وقع في الكفر تقليداً إن كان جاهلاً لا بصيرة له ولا فقه، فهو معذور حتى تقوم عليه الحجة

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدْعِ الْمُوَافِقُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُمْ مُخَالَفُونَ فِي بَعْضِ الْأَصُولِ فَهَؤُلَاءِ أَقْسَامٌ: ((أَحَدُهَا: الْجَاهِلُ الْمُقَلِّدُ الَّذِي لَا بَصِيرَةَ لَهُ، فَهَذَا لَا يُكْفَرُ، وَلَا يُفْسَقُ، وَلَا تُرَدُّ شَهَادَتُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى تَعْلَمِ الْهَدْيِ، وَحُكْمُهُ حَكْمُ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةَ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا))^(١)

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم رحمه الله، ص ١٧٤

ريح البيع يا شهيد

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشهادة في سبيل الله تعالى منزلة لا تساويها منزلة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَارَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]

ففي بيعة العقبة خرج العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام مع الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وقال: ليتكلم متكلمكم ولا يطيل، فإن عليكم للمشركين عينا، فقام "عبد الله بن رواحة" وقال للنبي عليهم السلام: اشتراط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبي عليهم السلام: اشتراط لربي أن تعبدوه ولا تشكروا به شيئا، واشتراط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، -يعنى تدافعون عني كما تدافعون عن أنفسكم وأموالكم- قال: فمالنا إذا فعلنا؟ قال عليهم السلام: "لكم الجنة" فقال "عبد الله بن رواحة": ربح البيع، لا نقيلا ولا نستقيلا، يعنى: لا نفسخ هذا العقد، ولا نطلب فسخه، فنزلت هذه الآية.

فالمشتري هو رب العزة سبحانه والبائع هو المؤمن والسلعة هي النفس والمال والثلث الجنة

فمنذ هذا الزمان وقبله وإلى قيام الساعة ستظل فئة مؤمنة محتسبة ظاهرة على عدوها بإذن ربها

تضحي بكل غال وثمين نصره لهذا الدين لم تبخل بمال ولا بنفس علي الله تعالى فاستحقت المزية الكبرى التي لا تساويها منزلة

وهذا هو الشعب الفلسطيني الحبيب في كل يوم يقدم الشهداء رجالا ونساء أطفالا وشيوخا نصره لله تعالى ولدينه ونصرة للأقصى وللفلسطين وللمقدسات المسلمين

فعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك". متفق عليه.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس^(١).

كان قتادة يقرأ هذه الآية ويقول: ثامَنَهُمُ الله، فأغلى لهم الثمن.

وقال جعفر الصادق: -رحمه الله- "ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها"

يقول بعض العلماء هذا منتهى اللطف من الله تعالى، لأن الله تعالى هو الذي يملك أنفسهم، وأموالهم، ومع ذلك فهو يشتريها منهم.

يقول الحسن البصري: ما أكرمَ الله، فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي.

وعنه أنه قال: إن الله أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها، وقال بعض الزهاد: اشترى أنفسي فانية بجنة باقية.

فضل الجهاد في سبيل الله تعالى والدفاع عن المقدسات

لقد أمر الله تعالى عبادة بأن ينفروا خفافا وثقالا ليدافعوا عن دينهم ومقدساتهم وأعراضهم

فقال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]

يقول سفيان الثوري: هذه الآية انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا أول ما نزل من سورة براءة.

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

فنعندما أراد الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام الخروج الى تبوك أمر الله تعالى بالتَّفِير العام مع رسوله عليه الصلاة والسلام وحرص المؤمنين في الخروج معه على كل حال؛ في المنشط والمكره، والغُسر واليُسْر، فقال: انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا.

عن أبي طلحة: كهولاً وشباباً، ما سمع الله عذر أحدٍ

وفي رواية: قرأ أبو طلحة سورة براءة، فأتى على هذه الآية: انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فقال: أرى ربنا استنفرنا شيوخاً وشباباً، جهزوني يا بني. فقال بنوه: يرحمك الله، قد غزوت مع رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فلم نغزو عنك. فأبى، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرةً يدفنوه فيها إلا بعد تسعة أيام، فلم يتغيّر، فدفنوه فيها.

وهكذا زوي عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي صالح، والحسن البصري، وشمر بن عطية، ومقاتل بن حيان، والشعبي، وزيد بن أسلم: أنهم قالوا في تفسير هذه الآية: انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا كهولاً وشباباً.

وقال مجاهد: شباباً وشيوخاً، وأغنياء ومساكين. وكذا قال أبو صالح وغيره.

وقال الحكم بن عتيبة: مشاغيل وغير مشاغيل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والجهاد منه ما هو باليد، ومنه ما هو بالقلب، والدعوة والحجة واللسان والرأي والتدبير والصناعة، فيجب بغاية ما يمكن^(١)

قال ابن القيم رحمه الله: والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع^(٢)

وفي الحديث: عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم^(٣)

(١) الفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٨).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٦٤).

(٣) سنن أبي داود، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في تخريج أحاديث مشكاة المصابيح

ومن المعلوم أن الجهاد في سبيل الله تعالى هو التجارة الربحية،

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُمْئِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف: ١٣)

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرِ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! مَا مِنْ كَلِمٍ، يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمٍ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْتُلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأَقْتُلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأَقْتُلُ»^(١)

وهو أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله،

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ قال: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»، قيل: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، قيل: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مُبْرُورٌ»

والجهاد في سبيل الله تعالى ذروة سنام الدين،

روى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ»، قلت: بلى يا رسول الله! قال: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»^(٢)

(١) صحيح البخاري ومسلم
(٢) الترمذي حديث حسن صحيح.

و الغدوة والروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرُّوْحَةُ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»

والروحة: المرة الواحدة من الرواح، وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها. الغدوة بالفتح: المرة الواحدة من الغدو، وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه. (١)

درجات المجاهدين في سبيل الله عالية، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِثَّةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ قَالَ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»

ومنها أن المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وجاء أن الجهاد خير من العبادة ستين سنة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مر بشعب فيه عين عذبة، قال: فأعجبه - يعني طيب الشعب - فقال: لو أقمت ها هنا وخلوت! ثم قال: لا، حتى أسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله فقال: «مُقَامٌ أَحَدِكُمْ - يَعْنِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ - خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةٍ أَحَدِكُمْ فِي أَهْلِهِ سِتِينَ سَنَةً، أَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَتَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوِّقَ نَاقَةٍ [٢٠]، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» [٢١].

فضل الشهادة في سبيل الله

معلوم أن الشهادة في سبيل الله منزلة لا يعدلها منزلة

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٤٦)

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

والشهادة هبة من الله تعالى لمن يصطفيه من عباده؛ قال تعالى ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمُ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((ما يجدُ الشهيد من مسِّ القتل إلا كما يجدُ أحدكم من مسِّ القرصة))؛ أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

والشهيد لم ينقطع عمله الصالح، بل يزيد ويتضاعف؛ فعند الترمذي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يُنْحَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ)).

لما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ)

ولقد امتاز الشهيد عن غيره بست خصال، روى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيُرَى مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ)

وأرواح الشهداء تسرح في الجنة، فعندما سُئِلَ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]؟ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: «أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ

مُعَلَّقَةً بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رُؤُوسُهُمْ اِطْلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيْ شَيْءٍ نَشْتَهِي، وَنَحْنُ نَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا

وطعامهم وشرابهم من طعام الجنة

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ [نَهْرٍ] بَبَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» [بارق: أي على جانب نهر].

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: «لما بذل الشهداء أنفسهم من أجل الله، أبدلهم الله حياة خيراً من حياتهم التي بذلوها، وجعلهم جيرانه، يبيتون تحت عرشه، ويسرحون من الجنة حيث شاءوا، لما انقطعت آثارهم من السروح في الدنيا»^(١)

قال ابن كثير رحمه الله: «وكان الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح. والله أعلم»^(٢)

من كرامات الشهيد أنه لا يجد ألم الموت الشديد، فقد روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ، إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقُرْصَةِ»

قال ابن القيم رحمه الله: «لا يجد الشهيد من الألم إلا مثل مس القرصة، فليس في قتل الشهيد مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبني آدم، فمن عد مصيبة هذا القتل أعظم من مصيبة الموت على الفراش فهو جاهل، بل موت الشهيد من أيسر الميتات، وأفضلها، وأعلاها»

فضل المجاهدين على القاعدين

(١) أحكام الجهاد وفضائله ص ٨٤.
(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله (٣/ ٢٦٣)

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٥

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: «الجهاد أفضل الأعمال؛ لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك.»^(١)

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغُزْ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»

وروى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ

وهناك أبيات أرسلها عبد الله بن المبارك رحمه الله إلى الفضيل بن عياض من طرسوس:

مذكرا له فضل الجهاد علي العباداة

لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ
فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
فَحُبُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ
رَهْجُ السَّانِبِكِ وَالْغُبَارُ الْأَطْيَبُ
قَوْلُ صَاحِبِ صَادِقٍ لَا يَكْذِبُ
أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ
لَيْسَ الشَّيْءُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ

يَا عَابِدَ الْحَرَمِينَ لَوْ أَبْصَرْتَنَا مَنْ كَانَ
يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ
أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلُهُ فِي بَاطِلٍ
رِيحُ الْعَيْبِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَيْرُنَا
وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِينَا
لَا يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي
هَذَا كِتَابِ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا

فألقيت الفضيل بكتابه في الحرم، فقرأه وبكى، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح والعجب كل العجب من مجموعة تنسب نفسها للعلم، وللسلف وتستشهد بكلام العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية

(١) فتح الباري (٦/ ٨).

وابن القيم وغيرهم وإني أشهد الله أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم براء منهم ومن أقوالهم وأكاد أن أجزم أنهم لو كانوا في زمانهم لضربوهم بالنعال.

فهؤلاء الذين يفرحون في مصاب الأمة ويشمتون في دماءها، ما هم إلا واليهود سواء

قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الحشر ١١)

قال تعالى {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ} المثبطين الصّارفين عن طريق الخير، أي المُخَذِّلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ فَيُعَوِّقُونَهُمْ بِالتَّخْذِيلِ عَنِ الطَّاعَةِ، وهم الذين يُعَوِّقُونَ النَّاسَ عَنْ نُصْرَةِ الرَّسُولِ وَيَمْنَعُونَهُمْ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ ذَلِكَ^(١)

وقوله عز وجل: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [التوبة: ٤٧]، بيان لما كان يترتب على خروجهم لو خرجوا فإنهم لو خرجوا مع المسلمين ما زادوهم قوة وإنما كانوا يسعون في خيالهم، أي: في الإفساد بينهم ونشر الشر في صفوفهم والسعاب في تخذيلهم. ومعنى قوله عز وجل: {وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ}، أي: ولأُسرعوا فيما يخل بكم متخللين صفوفكم لبث بذور الفتنة بين رجالكم، وفي رجالكم من يستمع ويصغي لقولهم ويصدقهم في أكاذيبهم لعدم علمه بنفاقهم مغتراً بما أظهروه بألسنتهم من الإسلام قبل أن يفضح الله أمرهم ويكشف سترهم^(٢).

ومن شبهات هؤلاء المتخاذلين:

يتهم أهل النفاق والمتخاذلين، بأن المقاومة الفلسطينية تارة بأنها مشروعاً إسرائيلياً وصنيعاً للكيان الصهيوني، وإني لأتعجب كل العجب من مقاومة تدك غطرسة الاحتلال وتذيقهم شتى أنواع العذاب وتقدم كل يوم مئات الشهداء ولا تؤمن بأي حق لليهود علي أرضهم، وتعتبر صراعها مع الاحتلال الصهيوني صراعاً عقائدياً دينياً، ويعتقدون بأن الجهاد بأنواعه وأشكاله هو السبيل الوحيد لتحرير

(١) الروض الأنف للسيهلي (٢٤٤/٦). وتفسير ابن عطية.

(٢) تهذيب التفسير وتجريد التأويل: ص ١١٦-١١٧.

الأراضي الفلسطينية، ويؤكدون على أن مفاوضات السلام مع "إسرائيل" مضيعة للوقت ووسيلة للتفريط في الحقوق ، وفي نفس الوقت تتحالف مع عدوها وتكون خادمة وصنيعا له فأى عقل هذا يردد هذا الكلام.

ومن شبههم أيضا أن قيادات المقاومة تعيش خارج مواطن الجهاد والحروب وتعيش في الخارج في قصور فارهة

والحقيقة أن هذه شبهة وأكذوبة من أباطيلهم أيضا فالقادة مثلهم مثل جنودهم يقدمون أرواحهم رخيصة وتنزف دمائهم نصره لله ولدينه ، فالعدو لا يفرق بين قائد ولا جندي

ومن شبههم أيضا أنهم أشاعوا أن «المقاومة الإسلامية» ما هي إلا جيشا من النظام الخميني والحراك الثوري الإيراني، وسلاحا من أسلحة الشيعة وأرادوا من خلال ذلك تقليل التعاطف السني مع حركة «المقاومة»

وهذا الكلام كلام باطل : فحركة المقاومة حركة سنية خالصة معظمة لسنة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ومحبة للصاحبة الكرام وأمهات المؤمنين وهذا معلوم لدي الجميع ولا يحتاج لكثير من التوضيح

وما أجبرهم الي مد أيديهم الي الروافض والشيعة إلا الحاجة الي ذلك وتخاذل أهل السنة عن نصرتهم ولقد اتفق الفقهاء على جواز الاستعانة بالكفار في القتال وذلك في أعمال الخدمة والرمي والحفر ونحوها ، ونقل ابن حزم -رحمه الله- الإجماع على ذلك ،

وعند المالكية والظاهرية: ، جواز الاستعانة بهم على الأعمال والصنائع والخدمة كحفر أو هدم أو رمي بمنجنيق، و استدلو بالنصوص الواردة في السنة النبوية والتي دلت على جواز الاستعانة، ومنها:

قوله -صلى الله عليه وسلم-: (سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صَلَاحًا آمِنًا وَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ) (أخرجه أبو داود)

و روي: (أن سعد بن مالك بن أبي وقاص -رضي الله عنه- غزا بقوم من اليهود فَرَضَخَ (أعطى) لهم) (١). ولا يعلم لسعد مخالفا في ذلك من الصحابة ولا التابعين

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (شهدنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خيبر، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: (هذا من أهل النار)، فلما حضر القتال، قاتل الرجل قتالا شديدا، فأصابته جراحة، فقيل يا رسول الله: الذي قلت إنه من أهل النار، فإنه قد قاتل اليوم قتالا شديدا، وقد مات، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إلى النار)، قال: فكاد بعض الناس أن يَرْتَابَ، فبينما هم على ذلك، إذ قيل: إنه لم يمت ولكن به جراحا شديدا، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فَأُخْبِرَ النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك، فقال: (الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله)، ثم أمر بلالا فنادى بالناس: (إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ (البخاري: مسلم)

"وعن جابر قال: سألت الشعبي عن المسلمين يغزون بأهل الكتاب؟ فقال الشعبي: أدركت الأئمة الفقيه منهم وغير الفقيه يغزون بأهل الذمة فيقسمون لهم، ويضعون عنهم من جزيئهم؛ فذلك لهم نفل حسن- والشعبي ولد في أول أيام علي وأدرك من بعده من الصحابة -رضي الله عنهم-...

وكان سلمان بن ربيعة يستعين بالمشركون على المشركين"،

كما استدلو بما وقع في غزوة حنين عندما قال عليه السلام لصفوان بن أمية: (يا صفوان هل عندك من سلاح؟) قال: عارية أم غصبا؟ قال: (لا، بل عارية)، فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعا، وغزا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حَتَيْنًا فلما هُزِمَ المشركون جُمِعَتْ دُرُوعُ صَفْوَانَ فَقَقَدَ مِنْهَا أَذْرَاعًا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لصفوان: (إنا قد قَقَدْنَا من أَذْرَاعِكَ أَذْرَاعًا فهل نَعْرَمُ، فهل نَعْرَمُ لك؟) قال: لا يا رسول الله؛ لأن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ (٢).

وكان صفوان بن أمية بن خلف، قُتِلَ أبوه يوم بدر كافرا، وحكى الزبير أنه كان إليه أمر الأزام في الجاهلية، هرب يوم فتح مكة وأسلمت امرأته وهي ناجية بنت الوليد بن المغيرة، فأحضر له ابن عمه عمير بن وهب أمانا من النبي -صلى الله عليه وسلم- فحضر وقعة حنين قبل أن يسلم ثم أسلم،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، ٤٨٨ / ٦، وسنن البيهقي الكبرى، ٣٧ / ٩،

وكان استعار النبي -صلى الله عليه وسلم- منه سلاحه لما خرج إلي حنين، وهو القائل يوم حنين: لأن يَرُبني رجل من قريش أحب إلي من أن يريني رجل من هوازن، وأعطاه النبي -صلى الله عليه وسلم- من الغنائم فأكثر، فقال: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي فأسلم، أقام بمكة حتى مات بها قبل عثمان، وقيل: عاش إلى زمن علي، ويقال: إنه شهد اليرموك.^(١)

وجاء في التنبيه في الفقه الشافعي: ولا يستعين بمشرك إلا أن تكون في المسلمين قلة، والذي يستعين به حسن الرأي في المسلمين. اهـ.

في مجموع فتاوى ابن باز: وأما الاستعانة ببعض الكفار في قتال الكفار عند الحاجة أو الضرورة، فالصواب أنه لا حرج في ذلك إذا رأى ولي الأمر الاستعانة بأفراد منهم، أو دولة في قتال الدولة المعتدية لصد عدوانها، عملاً بالأدلة كلها، فعند عدم الحاجة والضرورة لا يستعان بهم. هذه بعض ما جاء في جواز الاستعانة بالكفار فما بالناس إذا كانوا في حالة ضرورة ومعلوم أن الضرورات تبيح المحظورات

ومع العلم أن الشيعة لا يجزم بكفرهم أصلاً ولكن في كفرهم تفصيل فالشيعة فرق كثيرة وفيهم الكافر وفيهم المبتدع

[يقول الشيخ عبد الرحيم السلمي] فالشيعة طوائف متعددة فليست طائفة واحدة، فهناك الباطنية من الشيعة وهم مرتدون بإجماع العلماء، وهؤلاء الباطنية أمثال البهرة الأخائية والإسماعيلية، وتفصيل عقائدهم يمكن مراجعتها في مضانها، وقد كفرهم أهل العلم وقال عنهم العلماء: إنهم أكفر من اليهود والنصارى.

والنوع الثاني من الشيعة هم الروافض أي: الإثنا عشرية، وهم الذين يطلق عليهم الشيعة، وهم الذين يسبون أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، والذين يعظمون أئمتهم إلى درجة أنهم يجعلون للإمام دوراً في التشريع، وهم الذين يتعبدون عند قبور أئمتهم، فدين الشيعة الراضية الإثني عشرية كفر، مخرج عن الإسلام، لكن الذي يكفر على التعيين هم أهل العلم فيهم، يعني: علماؤهم الذين يعرفون هذه

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٣/ ٤٣٢ - ٤٣٣ كتاب الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي [زياد بن عابد المشوخي]

العقائد الموجودة في الكتب هم الذين يكفرون؛ لأنهم يعرفون هذه العقائد، وكذلك من كان باحثاً منهم ويعرف العقائد ويقرها فهو بلا شك كافر، أما عوامهم فهم بحسب أحوالهم، فإن كانوا يعرفون هذه العقائد الكفرية ويقرونها ويعترفون بها، فإنهم كفار والعياذ بالله، أما إذا كانوا غير ذلك فلا يكفرون؛ ولا يصح للإنسان أن يكفر طائفة كاملة قد يوجد فيها أشخاص لا يعتقدون هذه العقائد، فينبغي إدراك هذه المسألة، فعوام الشيعة ليسوا كلهم كفاراً، فبعضهم قد لا يكون لديه هذه العقائد، وقد يكون عنده بدع، وقد يكون عنده بعض الكفریات، لكن لجبهله أو لما عنده من التأويل لا يكفر؛ ولهذا يحتاج الأمر إلى تفصيل، فهو بحسب عقيدة هذا الشخص.^(١)

رحم الله كل شهداء الأمة رجالاً ونساء وأطفالاً وتقبلهم في الصالحين، وألحقنا بهم في أعلى عليين اللهم آمين



(١) كتاب أصول العقيدة - عبد الرحيم السلمي ج ٣ ص ١٤

الطريق الي الفردوس

قال الله تعالى :

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرْزَاقِ يُنْظَرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)
المطففين/ ٢٢ - ٢٦

سئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن الجنة: أفي السماء أم في الأرض؟ فقال: وأي أرض وسماء تسع الجنة؟ قيل: فأين هي؟ قال: فوق السماوات السبع تحت العرش

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ﴾ [الكهف: ١٠٧]،

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ خَافَ أَذْلَجَ وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمُنْزِلَ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ) صحيح الألباني

لماذا الفردوس الأعلى

لأنها أفضل وأطهر مكان في الجنة والسبب ، هو قربها من عرش الرحمن سبحانه وتعالى

يقول ابن القيم رحمه الله

(أنزه الموجودات وأطهرها، وأنورها وأشرفها وأعلاها ذاتا وقدرًا وأوسعها : عرش الرحمن **جل جلاله** ، ولذلك صلح لاستوائه عليه ، وكل ما كان أقرب إلى العرش، كان أنور وأنزه وأشرف مما بعد عنه ؛ ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى الجنان وأشرفها وأنورها وأجلها ، لقربها من العرش ، إذ هو سقفيها. وكل ما بعد عنه كان أظلم وأضيق ، ولهذا كان أسفل سافلين شر الأمكنة وأضيقيها وأبعدها من كل خير.^(١)

(^١) امن "الفوائد" (ص ٢٧ ")

لماذا الفردوس

لأن الفردوس هو أعلى الدرجات في الجنة تتفجر منها أنهار الجنة الأربعة قال رسول الله :

«الجنة مائة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، ومن فوقها يكون العرش، وإن الفردوس من أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، فسألوه الفردوس» صححه الألباني

وقال رسول الله : (إذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس: فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة)) البخاري ومسلم.

لماذا الفردوس

لأن الفردوس أهله يسمعون صوت العرش (ويسمى أطيظ)

عن أبي أمامة الباهلي قال النبي: «سلوا الله الفردوس، فإنها سرّة الجنة، وإن أهل الفردوس يسمعون أطيظ العرش») صحيح: الجامع الصغير

لماذا الفردوس

لأن الفردوس أوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن) صحيح البخاري

لماذا الفردوس

لأن الفردوس ربوة الجنة (وأفضل مكان في الجنة)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْفِرْدَوْسُ رُبُوءُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا وصححه الألباني

وفي الصحيحين: (إذا سألتُم الله الجنة فاسألوهُ الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنهُ تَفَجَّر أنهار الجنة)

لماذا الفردوس

لأن فيها رسول الله والأنبياء والمرسلين

{وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (النساء ٦٩)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) رواه مسلم

الطريق المؤدي الي الفردوس

الإيمان بالله والتصديق بالمرسلين

وفي صحيح مسلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لعمر: يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. قال عمر: فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الجنة ليترأؤن أهل الغرف من فوقهم كما ترأؤن الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لِتَفَاضُلِ ما بينهم» قالوا: يا رسول الله؛ تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين.» متفق عليه

الإسراع في فعل الخيرات

قال الله تعالى: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ الواقعة/ ١٠ - ١٢.

قال ابن كثير رحمه الله: من سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير ، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة ، فإن الجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان ^(١)

الخوف من الله تعالى قال الله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) [الرحمن: ٤٦]

معني مقام ربه: قال مجاهد: هو الذي يهيم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله.

وقيل معني مقام به ، أي من خاف القيام بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة

و قال تعالى: (ومن دونهما جنتان) [الرحمن: ٦٢]

يقول الدكتور عمر الأشقر: من تأمل صفات الجنتين اللتين ذكرهما الله آخرأ ، علم أنهما دون الأوليين في الفضل ، فالأوليان للمقربين ، والأخريان لأصحاب اليمين^(٢) .

قراءة وحفظ القرآن الكريم:

فعن عبد الله بن عمرو عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها) صححه الألباني

قال المنذري ((جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة في الآخرة، فيقال للقارئ ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءا منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة. ^(٣)

الجهاد في سبيل الله ﷺ

(^١) من "تفسير ابن كثير" (٧ / ٥١٧)

(^٢) انظر : "الجنة والنار" عمر الأشقر (١٥٨).

(^٣) الترغيب والترهيب" (٢ / ٢٢٨)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((.. إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)) رواه البخاري

الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلاء والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتَمرون ويجاهدون ويتصدقون..." رواه البخاري

إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ

فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ) رواه مسلم

كَثْرَةُ السُّجُودِ تُؤَدِّي إِلَى: رَفَقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَصَاحِبَتِهِ فِي الْجَنَّةِ

فعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَيْبُتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي: سَلْ فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ هُوَ ذَلِكَ. قَالَ: فَأَعَيَّنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ رواه مسلم

كِفَالَةُ الْيَتِيمِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ) وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى)) رواه مسلم

كَثْرَةُ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ((ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)) {غافر: ٦٠}

وقال تعالى {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} {الأعراف: ٥٥}

وقال رسول الله : (إذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس: فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة)) البخاري ومسلم

يقول ابن القيم إذا رأيت المرء يكثر من قول " اللهم إني أسألك الفردوس الأعلى من الجنة ، فاعلم أن الله قد كتبها له "

وأخير العمل بكل ما جاء في سورة المؤمنون

قال الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ آتَنَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ زُغَوْنَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْيُورِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾

عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، يسمع عند وجهه كدوي النحل فمكثنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه ، فقال : " اللهم ، زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر [علينا ، وارض عنا] وأرضنا " ، ثم قال : " لقد أنزلت علي عشر آيات ، من أقامهن دخل الجنة " ، ثم قرأ : (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر . رواه أحمد

عن أنس ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خلق الله جنة عدن بيده ، لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، ملاطها المسك ، وحصبأوها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، ثم قال لها : انطقي . قالت : (قد أفلح المؤمنون) فقال الله : وعزتي ، وجلالي لا يجاورني فيك بخيل " . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) [الحشر : ٩] فقله تعالى : (قد أفلح المؤمنون) أي : قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح ، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف .^(١)

(١) «تفسير ابن كثير - ط ابن الجوزي» (٥ / ٤٤٧):

قال كعب: لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة؛ خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال: تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون. لما علمت فيها من الكرامة." (١)

رزقنا الله وإياكم الفردوس الأعلى وجعلنا الله وإياكم من سكانها.

تم والله الفضل والمنة والكرم، الجزء الأول

﴿ دَعَاوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠]

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ (١٨٢)



المشرف: ناصر بن صالح السادة

إعداد: محمود أبو نور الدين

(١) «تفسير الطبري» (٥/١٧):

الرقم	الموضوع
٣	١. كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة للفكر والثقافة
٥	٢. التقريظ
٧	٣. المقدمة
٩	٤. سورة الحجرات توجيهات ربانية
١٤	٥. الاستجابة لله وللرسول ﷺ
٢٣	٦. التثبت في الأخبار
٢٧	٧. الأخوة الإسلامية
٣٨	٨. من صفات المسلم الحميدة
٤٥	٩. نعمة الإيمان
٥٤	١٠. الحديث الأول (إنما الأعمال بالنيّات)
٦١	١١. آداب الطعام والشراب
٦٦	١٢. فضل تعلم القرآن الكريم
٧٣	١٣. صفات المؤمن
٧٧	١٤. حب الخير للناس
٨٠	١٥. أهمية علم الفقه:
٨١	١٦. دروس في الفقه
١١٦	١٧. السيرة النبوية
١٣٩	١٨. التعريف بالنبي عليه الصلاة والسلام وأهل بيته الكرام رضي الله عنهم:
١٥٨	١٩. الهجرة النبوية دروس وعبر
١٧٢	٢٠. العقيدة الإسلامية ، والحاجة إلى التوحيد:
١٩٤	٢١. علوم القرآن
٢٥٦	٢٢. علم الفرائض
٢٧٣	٢٣. تاريخ بيت المقدس
٣١٦	٢٤. رقائق الإيمان طريق النصر والتمكين
٣٢٥	٢٥. لن يخزيك الله أبدا
٣٣٢	٢٦. (جوامع الخير وطريق الوصول إليه)
	٢٧. مناسبات
٣٤١	٢٨. من فضائل يوم الجمعة
٣٤٨	٢٩. فضل الأيام العشرة
٣٥٣	٣٠. فضل شهر الله المحرم
٣٥٨	٣١. فضل عاشوراء وما جاء فيها من أحكام
٣٦٤	٣٢. قضايا الأمة خطورة التكفير وما يبني عليه من أحكام
٣٨٠	٣٣. ربح البيع يا شهيد
٣٩٥	٣٤. الطريق الى الفردوس